معجم
أدباء الأطباء

تأليف

محمد الخليلي

الجزء الأول

طبع على نفقة صاحب مطبعة الغري

١٣٦٥ — ١٩٤٦

مطبعة الغري
النجف

معجم أدباء الأطباء

تأليف

محمد الخليلي

الجزء الأول

طبع على نفقة صاحب مطبعة الغري

١٣٦٥ — ١٩٤٦

مطبعة الغري
النجف

الاهداء

الى من خدم الانسانية الانسانية بفنه وادبه

الى من نفع الناس فكان خير الناس

الى الطبيب الاديب

اهدى كتابي هذا

المؤلف

محمد الخليلي

تقدمة

بقلم الاستاذ الكبير جعفر الخليلي صاحب (الهاتف) الغراء

أدباء الأطباء العرب

مر زمن وأنا أسمع بمحاولة هي الأولى من نوعها في عالم التأليف يقوم بها الاستاذ محمد الخليلي ليستخرج طائفة من أدباء العرب الأطباء من بين معاجم الرجال والموسوعات ، ويجمعها في كتاب واحد يعين المبدأ منها ويترك المنتهى للعمر والزمان ، وهي محاولة شاقة يقدر مشقتها الذين ولعوا بتقلبة بطون الكتب ، وغربلة الروايات ، ولكن الذي عرفته عن المؤلف هو انه شديد الصبر كثير الجلد وربما كان أقدر من غيره على القيام بهذه المحاولة واعطائها بعض حقها من العمل .

وعلى رغم ان مثل هذا الأمر لا يعنيني كثيراً لعلاقته بالطب والأطباء فقد كنت كثير الترحيب به ، والتشجيع له ، لأنه موضوع جديد وكل جديد من هذه الاضرب وغيرها ، إنما هو لون من ألوان الأدب .

ومع ذلك كله فلم يتفق لي ان أرى هذا الكتاب على رغم سهولة تناوله وقرب موضعه الى يدي ، حتى اذا تمت المحاولة ، وانتهى التأليف ، اذا بالمؤلف يحمله الي مرة واحدة ويطلب مني قراءته وتقدمته بكلمة مناسبة .

ولا أدري ما هي العلة التي حملته على اختياري أنا دون الذين لهم علاقة بالطب والأدب ، والمؤلف ـ كما قد يعرف الجميع ـ قريبي ومن أقرب أرحامي الي فكان المقتضي أن يتصدى لمقدمته شخص آخر غيري أدرى بقيمة الكتاب وأكثر خبرة واتصالا بموضوعه وكيفما كان فقد وجدتني أقلب هذا الكتاب صفحة صفحة وأقرؤه موضوعاً بعد موضوع ، فألم به بعض الالمام ، وألمس موضع قوة المؤلف وما فات منه وما كان ينبغي له ، وما كان عليه ، فكان من كل ذلك هذه الكلمة المختصرة التي شاء أن يسميها المؤلف (بالتقدمة)

* * * *

لقد فكرت ملياً لعلي أهتدي الى العلاقة بين الطب والشعر وأسباب التقائهما فى صعيد واحد وعند كثير من هولاء الذين ضم تراجمهم هذا الكتاب فلم اهتد الى حل ، بل بالعكس فقد كانت الأدلة تتضافر على أن بين فن الأدب ، ومهنة الطب برزخاً واسعاً لا يجعلهما متدانيين متواصلين وهو رأي يخالف رأي المؤلف الذي حاول جهده بأن يقرب الوسائط والأسباب ليجعل منبع الطب والشعر منبعاً واحداً أو منبعاً قريباً على الأقل ، فالشعر فى حد ذاته فن لا دخل له بعلم الطب وخصائصه وغاياته ، فاذا ما وجد طبيب شاعر فليس لان الطب والشعر فنان متقاربان وعلمان انتزعا من أصل واحد وانما مثل الجمع بينهما كمثل الجمع بين الصياغة والنجارة وبين الهندسة والفلاحة وكان وجود طبيب شاعر كوجود مهندس شاعر ، وحائك شاعر وتاجر شاعر .

ويغلب على ظني أن الأدباء الذين انبروا الى دراسة الطب في الماضي كانوا يرون فى هذه الدراسة شيئاً من الكمال أكثر مما يرون فيه داعياً طبعياً وموافقة فنية

وقد يزيد هذا الرأي رسوخاً ما وجد في بعض التعاريف لعلم الأدب من وجوب الاحاطة بطائفة من العلوم ، ومن ضمنها الطب ، كذلك لا يستبعد أن يكون بعض الأدباء الأقدمين قد درس الطب لهذه الغاية اذا لم يكن له شوق ذاتي وحافز طبعي أوداع آخر يدعوه لدراسة الطب الى جانب دراسة الأدب الذي لا نعتقد ان هنالك جامعة فنيـة تجمع بينه وبين الطب .

وعلى هذا فيكون (أدباء الأطباء) كتاباً قد جمع تراجم الذين ضموا الى فن الشعر علم الطب ، فتغلبت احدى الظاهرتين على الاخرى حتى كادت تنطمس الثانية كأمية ابن ابي الصلت الذي كانت شهرته الشعرية أقوى من شهرته الطبية وكابن سينا الذي كانت شهرته الطبية أجلى من شهرته الشعرية وكغيرهما من الشعرآء الاطباء والاطباء الشعرآء

ولذلك كان لهذا الكتاب فوائده ومزاياه من حيث درس النواحي المغمورة أو تحقيق أخبار الأشخاص الذين أخذوا بطرفي هذين العلمين حتى طغى جانب من ذلك الطرف على الجانب الثاني فلم يعرف أحد عنهم شيئاً إلا المتتبعون .

وهي خدمة يشكر عليها المؤلف شكراً جزيلا على ما بذل من مسعى في سبيل تحقيقها من أجل الأدب والطب والتأريخ .

* * * *

ومن المؤسف أن يجيء بعض التراجم مقتضباً ويكون بعض الشعر قليلا كما أن بعض الأبيات من الركة بحيث لا تستحق الذكر ولا الاستشهاد بها .

ونرانا غير منصفين اذا لم نتلمس العذر للمؤلف في قلة المصادر وقلة ما ورد من البحوث القديمة في مثل هذه المواضيع والغث الذي كثيراً ما تطفح به بعض الكتب والتراجم ، ومع ذلك فاننا نرى ان بعض أخبار هؤلآء الرجال كان يحتـاج من المؤلف تحقيقـاً أوسع مما وقع له وجاء في موسوعته ، وان بعض المواطن من لغـة الكتاب ربما كانت تحتاج الى عناية أكثر .

ولا حاجة للاشارة الى أسلوب الكتاب في تأليفه والى قالب الترجمة فهو ـ كما يرى القارىء ـ غاية في السلاسة ، وغاية في الوضوح حتى لبالامكان قراءة الكتاب والاستفادة منه من قبل جميع الطبقات بلا أية كلفة أو عناء ، وهي ميزة من ميزات هذا المؤلف سواء فى نظمه المنسجم الرقيق أو في نثره السهل الممتنع

والأستاذ محمد الخليلي على رغم كل هذا متواضع لا يرى انه عمل شيئاً وأنجز شيئاً مع أنه قد أضاف الى المكتبة العربية كتاباً أقل ما يقال عنه : انه من أفيد الكتب العلمية والأدبية والتأريخية .

فجزاه الله عن العلم والأدب والتأريخ أفضل الجزاء وأوفاه وأحسنه .

جعفر الخليلي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله على آلائه والسلام على محمد وآله خلفائه

كلمتي

لقد كنت احس ، وانا سائر في طريق دراستي الطبية ، ان بين صناعة الطب وفن الادب شيئاً من الشبه ، ورابطة تجمع بينهما من بعض النواحي ، ان لم تكن من كل النواحي المفروضة ، غير اني لم اكن اتمكن من اقناع نفسي بما ادعم به حجتي ، فضلا عن اثباته لغيري .

وبقيت هذه الخاطرة في مخيلتي ، تذكو وتخبو زمناً طويلا ، وانا شاخص الى ذلك البصيص من النور ، مؤملا ان اهتدي الى منبعه ، طامعاً أن يرشدني الى مخرج لاحب ، اجد به ضالتي ، وابلغ به مبتغاي ، ولقد كان استمرار التتبع ، وكثرة الفحص والتنقيب ، يزيدان في اعتقادي بصواب رأيي هذا ، ويؤكدان لي صحة تلك الفكرة ، ويدنيانها مني ، حتى اقتنعت اخيراً بتحقق تلك الخاطرة وصوابها ، وبانت لي الحقيقة ناصعة جلية ، حيث ظهر لي من وجوه الشبه ما جعلني لا اشك بعدها ، ان الطبيب وان اختلف مع الشاعر في ناحية من النواحي ، فهو متفق معه في اكثر النواحي الاخرى البتة .

ولقد شبههما احد العلماء المفكرين بنحلتين حامتا حول زهرة واحدة ، ثم امتصتاها وسكبتاها عسلا صافياً لذيذاً في انائين مختلفين .

هكذا شبههما هذا الحكيم ، وكأنه قربني الى الحقيقة ، وألمسني الواقع ، مضافا الى ماذكر لهما من وجوه الشبه ، التي لخصتها بما يأتي .

اولا : ــ ان الطبيب ، والشاعر كلاهما يجتمعان معاً في استعمال الحدس الصائب ، والتعمق في دقائق المحسوسات ، وذلك لان الطبيب لا يبني فنه إلا على المنطق والمحسوس ، وان منطقه هذا ليس سوى حدس وتخمين في الابتداء ، فهو بذلك كالشاعر الذي يتكلم بلسان الحدس والعاطفة ، ثم يسوق الامثلة المنطقية بعد نضوج حدسه .

ثانياً : ــ ان الطبيب هو الذي يلاحظ امراض الافراد ، واعراضهم ، فيصلحها بعلاجه ، واستعمال صناعته ، وفنه المؤثر في الاجسام ، بينما الشاعر يلاحظ امراض الامة الاجتماعية واعراضها ، فيعطيها وصفة دواء ناجع بصورة شعرية سامية ، يصلح بها اخلاقها ، ويكون لها ابلغ الاثر في النفوس والعقول . فالطبيب اذاً طبيب افراد والشاعر طبيب امة ، وكلاهما طبيب ــ وان شئت فقل ــ ، الطبيب شاعر اجسام والشاعر طبيب ارواح وكلاهما شاعر .

ثالثاً : ــ ان كلا من الطبيب والشاعر يدعو الى السلامة ، فالاول يدعو الى سلامة البدن ، والثاني يدعو الى سلامة الحس والشعور .

رابعاً : ــ وجود كثير من الاطباء شعراء بل شعراء من الطبقة الاولى ، كما نرى ان كثيراً منهم قد خلف من بين آثاره الطبية ، الشعر الرائق ، والنظم البديع الحسن ، مثل ابن سينا ، وابن زهر ، وابن دانيال ، وامية بن ابي الصلت ، وكثير غيرهم ممن تجدهم في كتابنا هذا .

خامساً : ــ ان من معاني الادب الدأب ، وهو الاستمرار على العمل حتى يكون عادة ، ومن معاني الطب ، العادة ايضاً ، على حد قول الشاعر :

وما ان طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

وقد جاء في القاموس ايضاً ، الطب ، مثلثة الطاء ، علاج الجسم ، والنفس

والسحر ، والرفق ، والارادة ، والحذق ، والشأن ، والعادة . وقال التبريزي في شرح الحماسة : « كان الادب اسماً لما يفعله الأنسان ، فيتزين به الناس ، ثم تطور استعماله ، فصار يطلق على العادة » .

سادساً : ـ ان الطب كثيراً ما كان يعتبر عند الادباء قسما من الآداب فقد قال التبريزي ايضاً في حماسته ما نصه « ثم اطلق لفظ الادب على جميع ما ترجم من العلوم ، ونقل من الالعاب ، والفنون ، بعد اواسط القرن الثاني الهجري . ويدلنا على ذلك . ما روي عن الوزير . الحسن بن سهل . المتوفى سنة ٢٣٦ هـ اذ قال : (الآداب عشرة . فثلاثة شهرجانية . وثلاثة انوشروانية وثلاثة عربية . وواحدة اربت عليهن . اما العود ولعب الشطرنج والصولجان فشهرجانية واما الطب والهندسة والفروسية فانوشروانية واما الشعر والنسب وايام الناس فعربية . واما الواحدة التي اربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس في المجالس) اهـ .

فانت بهذا ترى . أن الطب قد عد من جملة الآداب ، كالشعر ، ومثله الجاحظ فقد ادخل في الآداب جميع العلوم المسماة بالرياضية ، ومنها الطب . وكذلك اخوان الصفا . فقد اطلقوا في رسائلهم الادب على الفنون ، والصناعات ، والطب فن وصناعة .

فظهر مما تقدم من وجوه الشبه ، ان الطبيب والشاعر ، مشتركان في دقة الاحساس والحذق والتعمق لاستخراج الحقائق الخفية . واعمال الفكرة من طريق الحدس . والتوصل منه الى الواقع . فلا بدع إذاً اذا كان الطبيب اديباً . والمعالج شاعراً . لتوافقهما من الوجهة النظرية وتخالفهما من ناحية العمل فقط .

وبعد ان ثبت ما كنت احاول اثباته . اصبحت هذه الناحية من الادب في نظري اعني ادب الطبيب من اهم النواحي التي اغفلها تاريخ الادب العربي . ولم يعرها الادباء والكتاب اهتماماً . اللهم الا ما ذكروه من نتف مبثوثة هنا وهناك طي الكتب . وفي زوايا التاريخ . فكان هذا الاغفال ثلمة في تاريخ الادب العربي يجب سدها . وفراغا يلزم أن يملأ .

ولما لم اجد من التفت الى ذلك . ولا من اهتم لسد هـذه الثغرة الواسعة في الادب ، رأيت من واجبي نحو الطب والادب معاً . ان اقوم حسب مقدوري وجهد امكاني . ولو ببعض ذلك الفرض . وقليل من كثير مما اراه واجباً . فاندفعت بحكم الشوق والغيرة . الى جمع وتأليف ماتيسر لدي من تراجم اولئك الأطباء الادباء الذين جمعوا الى الطب ادبا جماً ونظما بديعاً ، وهم الذين عالجوا الروح والجسد واضافوا الى حذاقة الفن ظرافة الادب . والى متانة العلم رقة الطبع . وسمو العاطفة .

واني بالرغم من العوائق التولدية المستمرة في مهنتي . كنت استرق الفترات من عملي وانتهز الفرص من وقتي لتحقيق هذه الامنية وانجاز هذه الخاطرة .

وعندما حاولت الشروع في تأليفي هذا بدافع الشوق تلفت حولي فلم اجد تحت متناول يدي ما يفي بالمقصود لقلة المظان والمصادر التي عثرت عليها . ولانصراف اكثر المؤرخين والمترجمين عن العناية بتدوين هذه الناحية من الادب . فلا بدع اذا جاءت تراجم بعض شخصيات هذا الكتاب غير محيطة بهم الاحاطة المطلوبة . أو اننا ذكرنا لبعضهم قليلا من الشعر . أو أن شعرهم كان من الركة بحيث لا يستحق الذكر والاستشهاد به . ذلك لقلة ما ورد من البحوث القديمة في مثل هذه المواضيع ولكثرة الغث الذي يطغى على بعض الكتب والتراجم سواء في الطبع أو في الاصل . ولا عجب اذا لم يجيئ هذا الكتاب ـ وهو الاول من نوعه ـ على الطريقة المثلى من التأليف ، وحسبما يرتضيه الاطباء والادباء معاً . وهذا لا يعني اني لم ابذل قصارى جهدي ، أو انني ادخرت شيئاً من وسعي في اخراج كتابي هذا اقرب الى الاتقان . غير اني لم ازل ارى عملي هذا مفتقراً الى مصادر اخرى لم احصل عليها .

هذا وقد راعيت في تأليف هذا الكتاب الامور الآتية :ـ

أولا :ـ اني رتبته على اوائل الاسماء متغاضياً جهد طاقتي عن مراعاة مايسبق الاسماء غالباً من كنية أو لقب ، أو غير ذلك . فمثلا (الشيخ) داود الانطاكي يبحث عنه في حرف الدال بعدها (الف) بعدها (واو) مع صرف النظر عن

حروف كلمة (الشيخ) مثلا . والشيخ الرئيس ابو علي ابن سينا الحسين بن عبد الله يبحث عنه في حرف (الحاء) بعدها (السين) بعدها (الياء) صارفا نظري عن ترتيب حروف الالقاب والكنى التي سبقت الاسم ، ومن لم اظفر له إلا بكنية أو لقب كابن حذيم وابن البني أوردتهم حسب ترتيب اسماء آبائهم ، فابن حذيم في حرف الحاء بعدها الذال ، وابن البني ، في حرف الباء بعدها النون ، وهكذا .

ثانياً : ـ اني التزمت ان اذكر لكل علم سنة وفاته ، وقد اذكر ـ عرضاً ـ سنة ولادته ، ان امكنني العثور عليها . وقد يجد القارئ اعلاماً من الاطباء الادباء لم تذكر لهم سنة وفاة ولا سنة ولادة ، وذلك لعدم وقوفي ـ بعد جهد ـ على ذلك . ولعل القارئ يتصور كما نتصور طبيعياً ، ان حال الاطباء في ذلك كحال مشاهير التاريخ ، ممن لم يسجل لهم في اول ولادتهم تاريخ حتى اذا نبغوا وطار صيتهم وعرفوا ، اتجهت اليهم الانظار ، وكانت وفياتهم حدثاً مشهوداً يسجله كل تاريخ .

ثالثاً : ـ ليس من الضروري ان يجد القارئ في هذا الكتاب شعراً ، أو اثراً ادبياً لكل طبيب ذكر فيه ، فمن ظفرت له بشعر اوردته في ترجمته ومن ظفرت له باثر ادبي ذكرته له كذلك واكتفيت في بعض الاحيان بما ورد في تاريخ بعض الاطباء انه كان اديباً أو كان يتأدب أو كان يتكسب بالادب فعددت هؤلاء في عداد ادباء الاطباء كما تقتضيه مراعاة الدقة والامانة في البحث والتنقيب طالباً من فضلاء القراء والناقدين والبحاثة من المؤرخين أن يكملوا هذا النقص بما توفر لديهم من بعض المعلومات عن هؤلاء .

وعلى كل حال فاني إن لم أكن قد وفقت لاداء واجبي نحو الطب والادب كما احب وكما يجب فلا اشك اني قد وضعت الحجر الاساسي لمثل هذا التأليف ونبهت بذلك المؤلفين بعدي الى هذه الناحية المهمة التي قد يتقدم اليها اهلها من الكتاب والمؤرخين فيعطونها حقها من البحث والتنقيب ويقومون بفرضهم وواجبهم على ما يلزم والله ولي التوفيق .

المؤلف

حرف الألف

١ – ابراهيم الحكيم (*)

ابراهيم الحكيم هو أحد ابناء الشهباء الذين ساعدوا في وطنهم على تلك النهضة الأدبية التي لاح فجرها بين النصارى في القرن الثامن عشر . ولسنا نعرف سنة مولده والراجح انه ولد في اوائل القرن الثامن عشر الميلاد ، او اواخر السابع عشر .

أما أخباره فلم يدونها أحد من كتبة عصره . وانما اطلعنا على بعض اطواره بما ورد في ديوانه الذي استخرجه من زوايا النسيان . الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف . ويؤخذ من ذلك . إن ابراهيم الحكيم ولد في حلب عن اسره كريمة من طائفة الروم الكاثوليك . ونشأ هناك وتخرج على علمائها وقد ذكر منهم منصور الحكيم من اقربائه . ثم دان بالاسلام . ومن شيوخه العالمان الشهيران الشماس عبد الله الزاخر . والخوري نقولا الصائغ .

وكانت اقامته في وطنه . يتعاطى فيه صناعة الطب على مثال اجداده الذين اطلق عليهم اسم « بيت الحكيم » وقد جاء له في ديوانه قصيدة يشكو فيها صناعته ويصف ما ينال المرء بسببها من المصاعب ، وقد افتتحها بقوله :

تبًا لرزق يبتغيه الآسي ... تبًا لذلك من عيون الناس

تبًا لمرء عند ضر الناس ... يأتي ربحه بالكره والاحساس

تبًا لسوء صناعة محسودة ... مضروبة بالقل والافلاس

تلقى الطبيب ولو حوى الاموال لا ... يبقى لديه لآخر الانفاس

وهي طويلة : ختمها بقوله :

يبقى الطبيب عدو كل الاهل و ... الاحباب بل وعدو كل الناس

ثم دعته الظروف واضطرته الاحوال الى الخروج من وطنه ، فرحل الى

(*) عن شعراء النصرانية للاب لويس شيخو .

(أطنة) ثم رجع الى الشهباء ، ثم خرج سائحاً الى اللاذقية ، فزار صهيون وذكر اثارها ، ثم رحل الى حمص واقام فيها مدة ثم عاد لوطنه ، فطلب ليسجن في ثورة الكاثوليك ، فهرب الى لبنان ومنها الى مصر وقضى هناك سنتين ، ثم لا يعلم ماذا حدث له بعد ذلك ، والمرجح أنه مات في وطنه .

ادبه وشعره :

قال الأب شيخو : اما ادبه فان اثار قلمه تدل على رقيه ، فتجد نظمه ونثره في الطبقة الراقية ومن شعره قوله في مدح مريم العذراء عليها السلام :

لقد عفت كل الحب من دون حبها ... فكل وداد ما عدا ودها دها
فحتى مَ ارجو في الانام مودة ... وقد زاد وجدي دون أحبابها بها
فميلوا اليها واملكوا العزّ والعزا ... فمن كان منسوباً الى عزها زها
لقد جمعت فيها المحاسن كلها ... فهيهات ان يحوي محاسنها نهى
واذ لم يكن في الناس ند لحسنها ... ظننا اباها البدر او امها مها
لذا حارت الالباب في وصف حسنها ... وماقدرت احصائنا فضلها لها
اذا سفرت اخفى ضيا الشمس نورها ... وادهش ابصار الورى ما بها بها
فيا حبذا ذلي لديها وحبذا ... دماي فلو شاءت لابذلها لها
هي العروة الوثقى وهي الملجأ الذي ... يقينا اذا ما الخطب من ضدها دها

وقال يمدح البحر ويذم البر :

يقولون ان البحر سائت مصائبه ... وقد كثرت آفاته ومعاطبه
واني رأيت البر اقوى شدائداً ... واعظم اهوالا وتضني متاعبه
حزون واوعار نزول ومرتقى ... وشيل وحط ثم قوم تناهبه
وفي البحر راحات كأن الفتى بها ... ينام على مهد تساوت مناكبه
تسير به الركبان من فوق متنه ... كأن على سطح تعالت جوانبه
تهب عليه الريح في طيب سيره ... ويا حبذا سير تطيب مذاهبه

ترى سفنه من فوق صهوات ظهره | كأن قصوراً زينتها حبائبه
وتحكي قلاعا طائرات مع الهوى | يداعبها ريح الصبا وتداعبه
تمر كمر الطير من غير عنوة | وتجري كسهم جاد بالحزم ضاربه
فكم سائر فيه ينام بساحل | ويصحو على الشط الذي هو طالبه
يبيت ويجري سائراً غير عالم | ولم يدر الا طالبته قواربه (١)
وكم تاجر فيه رأى بعد فاقة | جزيل الغنى لما اتته مكاسبه
وكم سائر فيه يلاقي مع المدا | عجيب امور حين تبدو غرائبه
عليك به يا صاح من دون خشية | ترى ما احيلاه واهنا مشاربه (٢)
ولا تعط اذناً المجيب بلومه | فجل الذي لم تبد منه معائبه (٣)

اقول اين هذا من قول القائل :

لا اركب البحر اني | اخاف منه العواقب
طين انا وهو ماء | والطين في الماء ذائب

٢ — الدكتور ابراهيم ناجي * ١٨٩٨ م — ....

الدكتور ابراهيم بن احمد بك ناجي ، مدير مصلحة التلفونات . ولد عام ١٨٩٨م وخرج طبيباً بكلية الطب ، عام ١٩٢٢ م ، ثم غادر مصر ، فاكمل دراسته الطبية

---

(١) كذا في الاصل ، ولم نهتدي له لمعني

(٢) كذا جاء مرفوعا وهو منصوب

(٣) الظاهر من معناه أن الذي جل فيه معائب ولكنها لم تبد وهذا غير مستحسن

(*) لقد ارسل هذه الترجمة الاستاذ مشكور الاسدي ، يوم كان في مصر طالباً في كلية الآداب .

والادبية والفلسفية في اوربا . وحصل على شهادات عديدة . ثم تدرج بمناصب الحكومة حتى صار مديراً للقسم الطبي لوزارة الاوقاف .

وهو رجل دقيق الجسم ، اصلع الرأس كبيره ، واسع العينين براقهما ، عصبي الحركات ، جم النشاط ، لا يمل من العمل ، بسيط في اعماله غير متكلف فيها ، دمث الاخلاق ، ظريف الحديث ، رقيق القلب رؤف بالمرضى ، حتى لقد حرم نفسه راحة ساعات الظهر ، واعتاد ان ينفقها في تمريض الفقراء مجاناً . اما راحات الصباح والمساء ، فكان يقضيها في عمله الرسمي ، في وزارة الاوقاف ، وفي محل عيادته .

وله في الزواج والمرأة رأي ، وذلك انه يقول ، الزواج خطوة جريئة ، يجب التدبر لها قبل اتخاذها ؛ خصوصاً لمن كانت عنده نزعة فنية ، لأن المفن ميال بطبيعته الى الخروج على التقاليد ، والزواج كله قيود وتقاليد .

اما المرأة ، فانها تستطيع ان تشارك الرجل في كل شيء ، وينبغي ان تكون كذلك ، ولا يمنعها من ذلك تلك الفروق الموجودة بينهما . قال الرجل للمرأة من قديم : « انت للبيت » وكرر هذا القول حتى جعل منه قاعدة تبلورت عليها نفسها . ولو قلنا لها اليوم مكررين « انك مثل الرجل » لتأكد في نفسها هذا المعنى ، ولخلقنا منها شخصية أخرى ، ولكنها لا تفقدها انوثتها ، فالانوثة امر طبيعي ثابت للمرأة ، ولا يتغير منها الا العرض مما يمس الناحية الاجتماعية ، والحياة الاعتيادية .

ادبه وشعره :

الدكتور ابراهيم ناجي شاعر عاطفي ، سلس الاسلوب ؛ ذو ثقافة فنية عالية ، ونفس شعري جميل ، اما نزعته الادبية ، فقد لزمته من سن باكر . فقد نظم الشعر في الثانية عشر من عمره ؛ ونظمه باللغتين العربية والانجليزية ، ونال عليهما جوائز ادبية ، واول قراءته للادب كانت لشعراء العرب الاقدمين ، وبخاصة المتنبي ، والبحتري ، ثم كانت للمحببين اليه من شعراء الغرب ، مثل (بيرون) ، (وشيلي) . ثم تعلم اللغة الافرنسية بنفسه في مدة قليلة . وترجم للامرتين (ودي موسية) شعراً نشره في

السياسية الاسبوعية عام ١٩٢٦ ، ثم عام ١٩٣٤ نشر ديوانه « وراء الغمام » ، وفى عام ١٩٣٥ اصدر كتابه « مدينة الأحلام » وهو مجموع قصص ومحاضرات ، وفى عام ١٩٣٦ اصدر مجلة « حكيم البيت » واستمرت ثلاث سنوات . وهو الآن يستعد لاصدار الجزء الثاني من ديوانه (وراء الغمام) ، كما سيظهر له كتاب (كيف نفهم الناس) فى علم النفس .

قال هو عن نفسه : « نشأت اديباً قبل ان اكون طبيباً . فالادب يجري فى دمي . وطريقتي فى النظم اني لا اكتبه . وطالما قلت لاصحابي انني لا انظم الشعر وانما اتنفسه . ونصيحتي للادباء جملة واحدة ، وهي ان يضعوا الخمر القديم ، فى زجاجات جديدة . أي لا يمكن ان يكون الاديب عصريا ، إلا اذا درس الادب فى اعرق اصوله .

واليك بعض نظمه تحت عنوان . « السراب الجديد » .

لا القوم راحوا باخبار ولا جاؤا ... ولا لقلبك عن ليلاك انبـــاء
جنى الربيـع لياليـنا وغادرهـــا ... واقفر الروض لا ظل ولا ماء
يا شافي الداء قد اودى بي الداء ... فما لذي الظمأ القتــال ارواء

وله فى رثاء امير الشعراء ، احمد شوقي قوله :

شجن عـلى شجن وحرقة نار ... من مسعدي فى ساعة التذكار
قم يا امير افض عليّ خواطراً ... وابعث خيالك فى النسيم الساري
واطلع كعهدك فى الحياة فراشة ... غرلاء حائمـــة عـلى الانوار
يا عاشق الحرية الثكلى افق ... واهتف بشعرك فى شباب الدار
يا من دعى للحق فى اوطـانه ... ومضى ليهتف فى ديار الجـار
الشام جازعة ، ومصر كعهدها ... نهب الخطوب قليـلة الانصار

الى ان يقول ، وهي طويلة :

شوقي . نظمت وكنت براً أخيراً ... فى امة ظمأى الى الاخيـــار

ارسلت شعرك في المدائن هاديا　　شبه المناد يطوف في الاقطار

ثم يختمها بقوله :

ويرى الحياة الحب والحب الحيا　　ة هما شعار العيش اي شعار

وله كما في ابولو

هجرت فلم نجد ظلا يقينا　　احلماً كان عطفك ام يقينا ؟

اهجراً في الصبابة بعد هجر　　ارى ايامه لا ينتهينا

لقد اسرفت فيه وجرت حتى　　على الرمق الذي ابقيت فينا

كأن قلوبنا خلقت لامر　　فمذ ابصرن من نهوى نسينا

شغلن عن الحياة ونحن عنها　　وبتن بمن نحب موكلينا

فان ملئت عروق من دماء　　فانا قد ملأناها حنينا

الى غير ذلك من رائق الشعر الكثير ، واكثره جيد .

٣ — ابراهيم صاحب النفحات ١١٨٧ — ١٢٢٣

ابراهيم (١) بن عبد الله بن اسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين بن علي . وينتهي نسبه بعد اثنين وعشرين ظهراً الى الامام علي بن ابي طالب عليه السلام . هو العلامة الفهامة الأشهر ، مؤلف ﴿ نفحات العنبر ﴾ بفضلاء اليمن الذين هم في القرن الثاني عشر . ولد سنة ١١٨٧ هـ بصنعاء . ونشأ بها في حجر ابيه ، فغذاه من لبان المعارف . وهو من بيت مشهور بالعلم والفضل والصلاح والعفة . اخذ عن والده في بهجة المحافل ، ودرس على الحافظ المحقق ابراهيم بن عبد القادر النحو . والصرف . والمعاني . والبيان . والمنطق . والآداب . والفقه . والحديث ، واسمعه صحيح البخاري ، وقرأ

---

(١) ذكره محمد بن زبارة الحسني في « نيل الوطر » .

عليه الكشاف والبيضاوي في التفسير ثم درس بعد ذلك المساحة والحساب . والجبر والمقابلة . والطبيعي . والرياضي . والهيئة . والتشريح ، ثم الطب بانواعه حتى اكمل ساير العلوم المعقولة والمنقولة ، وحتى اصبح ، كما ذكره الشوكاني حيث قال : « العلامة الفهامة ، والمجتهد المطلق في كل تلك العلوم المذكورة ، حيث كان قد اقبل على العلم بفهم صادق ، ورغبة تامة كاملة ، فحقق العربية بانواعها ، وطالع كلام الحكماء اليونانيين ، فحفظ اقاويلهم وناظر بها ، واحتج عليها ، وقطع فى تحليلها الدهر الطويل وكان كثيراً ما يلمح بطريقة المشائين ، والاشراقيين . كما انه كان كامل الادراك فى علم الفلك والاسطرلاب ، وفى تحرير الاقليدس وقد نظر فى كتب التصوف ايضا . »

وله من المؤلفات ، كتاب نفحات العنبر ، وكتاب قرة الناظر فى ترجمة شيخ الاسلام عبد القادر بن احمد بن عبد القادر ، وجميع مشايخه ومن اخذ عنهم ومن كاتبهم من الاكابر . وقد اخترمته المنية قبل اكمال كتابه نفحات العنبر ، ولكن والده قد جمع ما قدر عليه من بعده ، ورتبها فى ثلاثة مجلدات بطلب من المتوكل احمد . وكانت وفاته سنة ١٢٢٣ هـ عن ٣٦ سنة ؛ بصنعاء اليمن ، وقد اسف الناس عليه اسفاً شديداً ، ورثته الشعراء ، حتى ان أحد تلامذته ؛ وهو العلامة محمد بن اسماعيل مات بعده بثلاثة اشهر حزناً عليه ، وكان قد رثاه فى قصيدة قال فيها :

سقى موضعاً ضم الخليل المودعا ومن شط بعد اليوم ملقىً ومجمعا

ومنها :

مضى صاحبي واستقبل الموت صاحبي ولابد ان القى حماما ومصرعا
ولكنني فارقت منه فضائلا لجيد زماني كان حلياً مرصعا

ادبه وشعره :

كان شعلة من ذكاء ، ومجموعة من اريحية وفضائل . رقيق الطبع ، جيد النظم حسن المعاني والمباني . ومن نظمه قوله مجيباً القاضي البليغ عبد الرحمن بن يحيي الانسي ، عن قصيدة ارسلها اليه كان مطلعها :

بيناي انظر دهري عاطلا تفلا (١) اذا بدا ذو بصيص حليه ارج

قال :

جاءت على غير وعد بعد ما انقطعت عني الظنون وذابت دونها المهج
لكن رأت من رقيب خلة فاتت في روعة الظبي بالقناص تنزعج
فقد سرت وكماة الحي دائرة من حولها وسيوف الهند تختلج
حتى قضيت لبانات (٢) لما بعدت عن التصور لولا انه الفرج

والى قوله :

شرفتني بدرار منك لست لها اهلا وان قلت اهلا حين تندرج
لكنها من اياديك التي عبقت فكل ناد بما عن نشره ارج

وله ايضا مجيباً قصيدة العلامة عبد الوهاب الديلمي بقوله :

براع الهوى فى القلب للحب قد خطا فاحكمه شكلا واوضحه نقطا
وحرر في مرسومه العهد انني ادوم على حكم التصابي وان شطا
ولازم بين الجفن والسهد في الدجى ولم يلتزم لي للكرى في النوى شرطا

٤ ــ ابراهيم بن محمد الادريسي * ... — ١١٨٧

الشيخ ابراهيم بن محمد بن سعيد بن جعفر الحسني الادريسي المنوفي المكي ، الطبيب الأديب ، والشاعر الكاتب المنشيء . ولد في آخر القرن الحادي عشر بمكة . واخذ عن كبار العلماء كالبصري ، والنخلي ، وتاج الدين القلعي ، والعجمي . ثم من الطبقة التي تلي هؤلاء ، مثل علي السخاوي ، وابن عقيلة ، فى آخرين من الواردين على الحرمين من آفاق البلاد . وله شعر نفيس قد جمع فى ديوان . وكانت بينه وبين السيد جعفر البيتي ، والسيد العيدروس ، مخاطبات ومحاورات ، وكان يقول فى حقه

(*) في معجم الادباء ص ٦٠ (١) التفل : نتن الرائحة (٢) الحاجة من غير فاقة
(٣) كذا ، ولو قال الذنوب لكان انسب

انه اديب جزيرة الحجاز ولا استثني . وفيه يقول :

إن ابراهيم اضحى امة ‏ قانتاً لله رب العـالمين
عالم أخلص فى اعماله ‏ هكذا شأن العباد المخلصين

دخل الهند بسفارة صاحب مكة ، فاكرم . وعاد الى مكة ، وولي كتابة السر لملكها . وكان يكاتب رجال الدولة على لسانه على اختلاف طبقاتهم . وكان قلمه سيالا كلسانه . وربما شرع فى كتابة سورة من القرآن ، وهو يتلو سورة اخرى بقدرها ، فلا يغلط فى كتابته ولا في قراءته حتى يتما معاً ، وهذا من اعجب ما سمعت . وكانت له مهارة ومعرفة بعلم الطب . أما انشاءاته ، فاليها المنتهى في العذوبة ، وتناسب القوافي : اما في النظم ، فهو فريد عصره . لا يجاريه فيه مجار ولا يطاوله مطاول . فمن شعره :

اعاتب ريم السرب في لفتاته ‏ واعذره ان قام في خلواته (١)
تراه رأى ظبي الاوانس آنساً ‏ فاشرب حباً في رنا (٢) لحظاته
ام اغتاظ لما ان رأى كل عاشق ‏ يوحـــده في ذاته وصفاته
لحا(٣) الله صباً حاول القلب سلوة ‏ ولم يدر ان الموت عين حياته
ولولا النوى لم يطعم الوصل ذائقاً ‏ اوالفرق (٣) لم يرغب لجمع شتاته
ولولا مجازي ما عرفت حقيقتي ‏ وعلمي بجهلي زاد في شبهاته

ومن شعره بيتان من قصيدة اشتهرا على الألسن ، وهما قوله :

كيف يقوى على المقام محب ‏ قد اتاه النـدا من المحبوب
قد رحمناك اننا نقبل العـذر ‏ ونمحو بالعفو رين العيوب (٤)

وله ديوان سماه « السبع السنابل في مدح سيد الأواخر والأوائل » وله رسالة في الطب . توفي سنة ١١٨٧ هـ .

---

(١) كذا (٢) حسن نظر او لفتة (٣) لحا الله فلاناً لعنه وقبحه (٤) كذا

٥ ـ ابراهيم بن محمد السويدي ٦٠٠ ــ ٦٩٠

ابراهيم بن محمد بن طرخان من ولد سعد بن معاذ، من الأوس. الحكيم الأجل الأوحد العالم ابو اسحق عز الدين الشهير بالسويدي(١). ولد سنة ٦٠٠ ه بدمشق، ونشأ بها كما ذكره ابن ابي اصيبعة وكان طبيباً حاذقاً، واديباً فاضلا، من اطباء القرن السابع الهجري واصله من سويداء، إحدى قرى حوران من اعمال دمشق. وكان ابوه يكتسب التجارة، ولكنه رغب في الطب حتى نبغ فيه واشتهر، واصبح علامة زمانه، وأوحد عصره، مجموع الفضائل، كثير الفواضل، كريم الأبوة عزيز الفتوة، وافر السخاء، حافظ الاخاء. تتلمذ في الطب على كثير من نطس الاطباء وأعلام هذا الفن، لاسيما الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم. حتى اتقنه اتقانا لا مزيد عليه، ولم يصل احد من ارباب هذه الصناعة الى ما وصل اليه. وقرأ الأدب حتى بلغ أعلا الرتب، واتقن العربية وبرع في الفنون الأدبية. وقد كان خطاطا حسن الخط كتب كثيراً من الكتب بخطه، حتى نسخ قانون ابن سينا ثلاث مرات. وكان يقطن دمشق ويعالج في المارستان «النوري»، في باب البريد. كما كان مدرساً في المدرسة «الدخوارية»، وله جامكية فيها. توفي في أواخر المائة السابعة سنة ٦٩٠ عن ٩٠ سنة.

مؤلفاته

ان لعز الدين مؤلفات كثيرة، أشهرها: كتاب الباهر في الجواهر، وكتاب تذكرة الأطباء المعروفة بتذكرة السويدي، وموجز القانون، وشرح منافع الأعضاء لجالينوس، وغيرها.

شعره وادبه:

قال ابن ابي اصيبعة: «اما شعره فهو الذي عجز عنه كل شاعر، وقصرت عنه

---

(١) ذكره ابن ابي اصيبعة في عيون الاطباء ج ٢ ص ٢٦٦ وكان معاصراً له.

الأوائل والأواخر، لما قد حواه من الالفاظ الفصيحة، والتجنيس الصنيع، والتطبيق البديع. فهو الجامع لاجناس العلوم، الحاوي لانواع المنثور والمنظوم. وهو اسرع الناس بديهة في قول الشعر، واحسنهم انشاداً. ولقد رأيته في اوقات ينشي شعراً على البديهة في معان مختلفة. لا يقدر عليها أحد سواه، ولا يختص بهذا الفن إلاه. وكان ابوه تاجراً بالسويداء، بحوران. حسن الاخلاق، طيب الاعراق جميل الافعال. وكان صديقاً لأبي، وبينهما مودة أكيدة، وصحبة حميدة. وكنت أنا وعز الدين ايضا في المكتب عند الشيخ ابي بكر الصقلي. فالمودة بيننا من القدم باقية، على طول الزمان نامية. ولما كان في سنة ٦٣٢ وصل الى دمشق تاجر من بلاد العجم ومعه نسخة من شرح ابن ابي صادق، لكتاب منافع الاعضاء لجالينوس وهي صحيحة منقولة من خط المصنف، ولم يكن قبل ذلك منها نسخة في الشام، فحصلها ابي وكتب اليه عز الدين ابن السويدي قصيدة مدحه بها وطلب منه استعارة ذلك الكتاب، لم يبق منها على خاطري سوى هذين البيتين:

وامنن فانت اخو المكارم والعلى ... بكتاب شرح منافع الاعضاء
واعارة الكتب الغريبة لم تزل ... من عادة الفضلاء والعلماء

فبعث به اليه. وهو في جزئين. فنقل منه نسخة في الغاية من حسن الخط وجودة النقط والضبط. ومن شعره، وهو مما انشدنيه لنفسه فيما يعانيه ويعنيه من كلف الخضاب بالكتم (١)

لو ان تغيير لون شيبي ... يعيد ما كان من شبابي
لما وفى لي بما تلاقي ... روحي من كلفة الخضاب

وانشدني لما الفت كتابي (عيون الانباء) في طبقات الاطباء:

موفق الدين بلغت المنى ... ونلت أعلى الرتب الفاخره
حملت في التاريخ من قدمضي ... وان غدت أعظمه ناخره

---

(١) بفتح الكاف والتاء نبت يخلط مع الوسمة ويختضب به.

فخصك الله باحسانه   في هذه الدنيا وفي الآخره

وقال ملغزاً في علي

ما اسم اذا رخمته كان ما   رخمته جذراً لباقيه (١)
ولا يرى ترخيمه فاضل   للفضل والنقص الذي فيه (٢)

وله ايضاً قوله :

ومدام حرمتها لصيام   قد توالى علي في رمضان
واقاموا الحدود فيها بلا حد   فدامت ندامة الندمان
وتغالي العلوج فيها بزعم   وحموها من كل انس وجان
ثم قال المطبوخ حل فافنوها   طبيخا بلاعج النيران
طبخوها بنار شوقي اليها   ففدت مهجة بلا جثمان

٦ — ابو جعفر الحراني الطبيب الصيدلاني

ابو جعفر «٣» الحراني الطبيب الصيدلاني . وصف غلاماً بما هو من جنس صناعته فقال :

« صدغه مسك ، وخطه عنبر ، وثغره كافور ، وعرقه عود ، »

وجمعه وقوماً مجلس انس ، فاخذوا في الجدل ، فقال « مجلس النبيذ للجذل لا للجدل » . وجرى عنده ذكر مسيلمة الكذاب ، فقال لا نبي صادق ، ولا متنبي

(١) الترخيم هو حذف الحرف الاخير ، وهو الياء من علي ، وحسابها بحروف الجمل عشرة والعشرة جذر المائة التي هي عبارة عن العين وهي سبعون واللام وهي ثلاثون والمجموع مائة .

(٢) الظاهر انه اراد ان الفاضل العارف لا يرى ولا يستحسن ترخيم كلمة على لجلالة هذا الاسم وعلو مرتبته وفضله . ثم انه منقوص لأن في آخره ياء مسبوقة بكسرة ، وهذا النقص في الكلمة , لا يجوز لها الترخيم . والمنقوص لا يرخم .

(٣) معجم الاطباء عن تتمة صوان الحكمة .

حاذق » . ووصف انسانا طروبا ، فقال : « اطرب من زنجي عاشق سكران ، على عود ثبان ، وناي زنام ، وطبل سلمان «١» » . ودعا لكبير فقال « صان الله كرمك عن لوازم الزمان وادام اتعاب الفلك لراحتك » .

وقد رويت من شعره ، قوله :

أنا ممن اذا النوائب نابت ... شاورتني الرجال في النائبات
واذا ما نظرت في امر نفسي ... خانني الرأي واستلنت قناتي

٧ — ابو الحسين بن ابراهيم الشيرازي

هو الحكيم «٢» الآسي والطبيب النطاسي المديد الباع ، والمشيد الرباع ، فارس حكماء فارس ، والمحيي من آثار الحكمة كل عاف ودارس ؛ بلغ على فتوته مالم تبلغه المشايخ الكبار ، وبرع في فن الطب براعة لا يشق لها غبار ، الى تقدس نفس وذات ، ومكارم اخلاق مستلذات ، وطلاقة محيا واطلاق كف .

ورد علينا من الهند سنة ١٠٧٥ وهو يرفل من الشباب في برد قشيب ، ويتخلق من الوقار والسكينة باخلاق المشيب . فعاشرت منه صديق صدق ووفاء ، وصفي محبة وصفا ، واعتنى مدة مديدة بادب العرب ، فملا منه الى عقد الكرب «٣» ، وابرز منه نظما ونثراً حتى اقر له اقرانه بالاعجاز والتفرد في نوعي الحقيقة منه والمجاز .

ومن نظمه ما قاله متغزلا :

من اودع الشهد والسلاف فمه ... والجوهر الفرد فيه من قسمه
وواو صدغيه فوق عارضه ... يا ليت شعري بالمسك من ختمه
ووافر الحسن والجمال له ... من دون كل الحسان من رسمه
وخده الورد في تضرجه ... ما ضره لو محبه لثمه

(١) الظاهر ان ثبان وزنام وسلمان اسماء اشخاص معروفين ذلك اليوم
(٢) عن السلافة (٣) حبل يشد في اعلى الدلو

دمي ولحظي بلحظة سفكا | فلا صفى منه ربه سقمه
كم من قتيل بسيف مقلته | لم يخش ثاراً لما اباح دمه
كتمت حبي عن الوشاة فما | ظن به كاشح ولا علمه
وكم محب اعيت مذاهبه | اذاع سر الهوى وما كتمه

وقال في الجناس وقد أجاد :

قضى وجداً بحب اهيل رامه | وما نال الذي في الحب رامه
محب لم يطع فيهم عذولا | ولا قبلت مسامعه الملامه
فقولوا يا اهيل الود قولوا | علام هجرتم المضنى علامه
وقد امسى بحبكم قتيلا | وحبكم له اضحى علامه

وكتب الى صاحب السلافة جوابا عن ابيات كان قد ارسلها اليه :

يا أيها السيد الحسيني | شرفت قدراً أبا الحسين
ان بنت عنكم فلي فؤاد | لديكم لم يمل لبين
دمت مدى الدهر في سرور | رحيب صدر قرير عين
ترزى مساعيك في المعالي | ذي نواس «١» وذي اعين «٢»

وله معارضاً ابيات الشاعر الفارسي الشهير سعدي التي قال في مطلعها :

يا نديمي قم بليل | واسقني واسق الندامى

بقوله :

كشف الصبح اللثاما | وجلا عنا الظلاما
فاجل لي الكاس ونبه | أيها الساقي الندامى
علنا نقضي كما رمنا | من الانس المراما
ما ترى الورق على | الأيك يجاذبن الحماما

---

(١) زرعه بن حسان من اذواء اليمن سمي لذوابة كانت تنوس على عاتقه
(٢) ملك حمير ورعين حصن له او جبل فيه حصن له

وزهور الروض اصبحن يفتقن الكماما
والحيا تبكي عليهن فيضحكن ابتساما
وحبيب النفس قد لاح لنا بدراً تماما
أي عذر لك ان لم تصل الراح مداما

ولم يذكر صاحب السلافة سنة وفاته ولم نجد غيره من ترجمه .

٨ أبو سعد بن سليمان الهروي

ابو سعد (١) بن سليمان الهروي الطبيب النطاسي الحاذق ، والأديب الفاضل الألمعي ، والشاعر المفلق الحذاقي . وله من الكلام العلوي السماوي ، قال :

أقول لمن يسعى ليدرك شاوه رويدك ان النجم ليس ينال
لزمت الثرى في المكرمات وترتجي بلوغ الثريا ان ذا لمحال
فقد راح بحراً والكرام مراكب (٢) وأضحى يمينا والصدور شمال

وكتب الى صديق يطلب زيارته :

يا ذا الذي راح ذا سجايا معسولة لا تزال ترضى
ومن له ما ألم خطب رأي من السيف فيه امضى
ان زرتنا مكرماً شربنا راحاً ترينا السماء ارضا
مشمولة تكشف الدياجي كالبرق يجلو الظلام ومضا
ويومنا كله شهي فلا تضيعن منه بعضا
واعقل الناس كلهم من يعتقد الانس فيه فرضا

وله في الخمره قوله :

كأن حاملها إذ حثها قمر شمس النهار على كفيه محموله
تنبث منه شعاعات اذا اعترضت حكت سيوفا حذاء الشمس مصقوله
لا تقتلنها بماء المزن ان بها حياتنا حين تجلى غير مقتوله

(١) معجم الاطباء (٢) كذا ، ولو قال جداول لكان اجمل

لا تبك ربعاً خلا عن اهله فبها ... مرابع اللهو فينا جد مأ هوله
طال انهما كي في لهوي وفي بطري ... لكن رحمة رب العرش مأموله

وقال في الخمرة ايضاً من قصيدة :

فاشرب مداما كعين الشمس صافية ... تبدل الليل من ظلمائه نورا
في لون ياقوتة تبدي اذا خرجت ... دراً على الكأس منظوما ومنثورا

وله ايضاً فيها قوله :

خير نقل على المدامة عندي ... لحظات الدمى ورشف الثغور
والذ السماع عندي حديث ... من حبيب يجني كدر نثير

وله في وصف ليلة سهر فيها مع ندمانه :

فيالك ليلا بت ارعى نجومه ... ودمعي اشباه النجوم سواكبه
تدرعت الآفاق ثوب ظلامه ... وزرت على ثوب الظلام كواكبه

وقال ايضا

أتاك المهرجان الطلق فانعم ... به وبانعم فيه دوان
وخذها من يدي ظبي ربيب ... ربيبة خدرها في بيت حان
معتقة يفوح المسك منها ... وان البستها خزف الدمان
كأن على انامل شاربيها ... غطاء شقائق أو اقحوان (١)

وله شعر كثير ، جله في الخمرة ، كأنه كان مولعاً بشربها ومعاقرتها . ولم نعثر له على مؤلف ، ولا على سنة وفاة . حتى كتابة هذه الأسطر .

٩ ابو شبل الطبيب * ...

ابو شبل الطبيب . كان يماجن في بعض معالجاته ، حتى قال لمن سأله عن دواء

(١) وفي نسخة (او ارجوان)

(*) معجم الاطباء عن تمام تتمة صوان الحكمة

عينيه العليلتين : خذ روق الحجارة ، وغبار الماء ، وعصارة الشمس ، ودهن الجلد ، ثم اجعلها شيافا واكتحل بها . وذكر علة رئيس كان يعالجه فقال : هي بيضة الديك وواحدة الدهر ، وساقة الجيش ، وخاتمة السقم .

وقد كان اديباً ، شاعراً ، حسن النظم ، بديع المعنى ، لطيف المبنى ، فمن شعره قوله :

يا طيب نجد وحسن ساكنه … لو انهم انجزوا الذي وعدوا
قالوا وقد قربت ركائبنا … والقلب يظما بهم ولا يرد
أتارك ارضنا ؟ فقلت لهم … انجد قلبي واعرق الجسد

هكذا ذكرت ترجمته . ولم نعثر له على سنة وفاة ولا سنة ولادة .

١٠ ابو القاسم الطبيب (١)

ابو القاسم ، الطبيب البغدادي الملقب بمنتخب الملك ، وينسب اليه هذين البيتين وهما :

لعمركم لقد مات ابن حجان … غنياً والغنى شبع وري
اذا ما المرء لم يبلغ مناه … فاحسن حاله الموت الوحي (٢)

ولم يذكر له سنة وفاة ولا سنة ولادة ولم نقع له على ترجمة في غير معجم الاطباء

١١ ابو عبد الله الجبلي الطبيب (٣)

ابو عبد الجبلي الطبيب . من اهل قرطبة . قال ابن عفيف : « انشدني ابو بكر قاسم ابن حماد ، قال انشدني ابو عبدالله الجبلي الطبيب لنفسه قوله : »

اشدد يديك على كلب ظفرت به … ولا تدعه فان الناس قد ماتوا

---

(١) معجم الاطباء . (٢) العاجل . (٣) معجم الاطباء .

١٢ – ابو علي الطبيب النيسابوري ...

القاضي أبو علي الطبيب النيسابوري. ذكره صاحب معجم الاطباء، عن تتمة صوان الحكمة، ولم يذكر له ترجمة سوى قوله: «انه في الفلسفة أفقه منه في غيرها» ثم ذكر له هذه الأبيات:

مضى ما تهتكناه (٢) مضى   وأوقد في القلب جمر الغضا
قضى الدهر فيما جرى بيننا   لقد جار والله فيما قضى
اسأنا وسائت به حالنا   فاستغفر الله عما مضى

١٣ ابو عبد الله المعصومي * ...ـ ٤٥٠

أبو عبد الله المعصومي (٣) من أفضل تلامذة الشيخ الرئيس. وهو الذي صنف له الشيخ، الرسالة الشهيرة في العشق والتي بين فيها سريانه في جميع الكائنات. أما المعصومي هو نفسه فقد صنف بوجود استاذه كتاباً في المفارقات، واعداد العقول والأفلاك، وترتيب المبدعات وهو كتاب جليل محبوب لدى كافة الحكماء وكان الشيخ الرئيس يقول في حقه: «المعصومي مني بمنزلة أرسطو من أفلاطون.» وقد قتله السلطان محمود الغزنوي فيمن قتلهم من الحكماء.

قال الطبيب عبد الحسين بن محمد الحسن التبريزي في كتابه (مطرح الأنظار) ما تعريبه: ان هذا الحكيم اصفهاني المولد والمنشأ والمسكن. وعند ما ورد الشيخ من همدان الى اصفهان، كان هو بخدمته، ولم يزل ملازماً له حتى مات ابن سينا فكان خليفته في البحث والتدريس، حتى انتشر صيته، وعم علمه ونفعه. وقد توفي

---

(١) معجم الاطباء (٢) كذا، ولعله مضى بالتهالك ما قد مضى

(*) قال البيهقي في تتمة صوان الحكمة. هو أحمد، وقيل محمد بن أحمد وعلى كل حال فان اشتهاره بالكنية أجاز لنا درج ترجمته في حرف الألف.

(٣) عن محبوب القلوب، لقطب الدين الشريف الديلمي اللاهيجي

سنة ٤٥٠ هـ

ثم قال : وأما ما نقله صاحب (محبوب القلوب) من أن السلطان محمود الغزنوي قتله في من قتل من الحكماء ، فهو عار عن الصحة ، وبعيد عن الحقيقة ، لأن وفاة السلطان محمود كانت قبل وفاة ابن سينا ، وابن سينا توفي سنة ٤٢٨ قبل المعصومي باثنين وعشرين سنة .

ثم أيد قوله بقول صاحب (مختصر الدول) حيث يذكر في كتابه : وفي سنة ٤٢١ مات يمين الدين محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وملك ولده محمد ، ثم خلفه أخوه مسعود .

مؤلفاته .

ان مؤلفات المعصومي أكثر من أن يحصرها هذا المختصر ، غير انا نذكر منها ما شاع واشتهر بين الحكماء والعلماء . وهي — كما ذكرها البيهقي واللاهيجي — كتاب في المفارقات (١) العقلية . وكتاب في شرح كلمات المتقدمين من الحكماء وكتاب في المنطق . وكتاب في حفظ الصحة .

وقد اشتهرت عنه كلمات حكمية كثيرة ، تدل على غزارة علمه ، وبعد غوره في معرفة الحقائق منها قوله :

« السلطان ، والمتمول ، والشباب ، سكارى . يدعوهم سكرهم الى غير النافع »

« ليس لمتكبر مادح ، ولا لغدار حبيب ، ولا لملك ظالم إستقامة ملك »

« ليس بانسان من تكلم بغير روية سابقة » وغيرها .

شعره وادبه :

لولا عكوفه وانهماكه في العلوم ، وانصرافه الى تلك الناحية ، لأصبح في مقدمة فحول الشعراء ، ومصاف بلغائهم ، لما طبع عليه من رقة الطبع ، وسمو الخيال . ومن

---

(١) وقيل المقارنات

أجل ذلك فقد كان مقلا ، ومن نظمه الذي عثرنا عليه قوله :

حديث ذوي الألباب أهوى وأشتهي — كما يشتهي الماء المبرد شاربه
وأفرح أن ألقاهم في نديهم — كما يفرح المرء الذي آب غائبه

١٤ ابو عبد الله بن يزيد * ...

أبو عبدالله بن يزيد . هو ابن اخت أبي الحجاج يوسف ابن موراطير ، الطبيب الشهير المذكور في كتابنا في حرف الياء ، كان طبيباً فاضلا ، وأديباً شاعراً وشعره موصوف بالجودة .

هكذا ذكره ابن أبي اصيبعة في ج ٢ من عيون الانباء ، في باب طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب ، وأقاموا بها ولم نعثر له على ترجمة في غيره

١٥ ابو الفضل بن شرف الحكيم الاشبيلي * ...

أبو الفضل بن شرف الحكيم الأديب الأشبيلي هو الناظم الناثر الكثير المعالي والمآثر ، الذي لا يدرك باعه ، ولا يترك اتباعه ان نثر رأيت بحراً يزخر ، وان نظم قلد الأجياد دراً تباهي به وتفخر ، وان تكلم في علوم الأوائل بهرج الأذهان والألباب ، وولج منها في كل باب وقد كان أول ما نجم في الاندلس وظهر ، وتسمى بحوك القريض واشتهر ، تسدد اليه السهام وتنتقده الخواطر والأوهام ، فلا يصاب له غرض ولا يوجد في جوهر احسانه عرض . وهو اليوم بدر هذه الآفاق ، وموقف الاختلاف والاتفاق ، مع جري في ميدان الطب الى منتهاه ، وتصرف بين سماكه وسهاه وتصانيف في الحكمة ، الف منها ما ألف ، وتقدم فيها وما تخلف . فمنها كتابه المسمى « سر البر » ورجزه الملقب « نجح النصح » وسواهما من تصانيف اشتمل

(*) عيون الأنباء

(*) عن قلائد العقيان

عليها الأوان وما حواها الزمان

وله من الكلمات البليغة ما يدلك على شدة غوره ومتانة آرائه . منها :

« العالم مع العلم ، كالناظر الى البحر ، يستعظم منه ما يرى ، وما غاب عنه أكثر » « لولا التسويف لكثر العلم » « الحازم من شك فروى وايقن فبادر » « الفاضل في الزمن السوء ، كالمصباح في البراح « ١ » قد كان يضيء لو تركته الرياح » « لتكن بقليلك أغبط منك بكثير غيرك ، فان الحي برجليه وهما اثنتان ، أقوى من الميت على أقدام الحملة وهي ثمان »

« التعليم فلاحة الأذهان وليست كل أرض منبتة »

وله رسائل بليغة ، وكتابات بديعة ، ذكرها الفتح بن خاقان في القلائد ، نتركها لشهرتها .

أدبه وشعره

إن اشتهاره في الأدب ونظم العالي من الشعر ، كاشتهاره في الطب ومعالجاته العيسوية . فلذا كان الأدباء يذكرونه لادبه والاطباء تعظمه لطبه . ومن نظمه قوله من قصيدة :

قامت تجر ذيول العصب(٢) والحبر (٣) ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخطو فتولى الحصى من حليها نبذاً وتخلط العنبر الوردي بالعفر « ٤ »
غيري الخلي بما تبديه من قلق في الوشح(٥) أو غصص(٦) تخفيه في الازر
لم ادر هل حنق الخلخال من غضب عليه أم لعب الزنار من أشر « ٧ »
تلفتت عن طلى «٨» وسنان وابتسمت عن واضح مثل نور الروضة العطر

ومنها في وصف السيف قوله :

---

(١) الهواء العالي (٢) ضرب من البرود (٣) ملاءة سوداء تلبسها نساء مصر (٤) التراب (٥) الوشاح (٦) كناية عن امتلاء جسمها (٧) البطر (٨) ولد الظبي ساعة يولد

إن قلت نار اتندى النار ملهبة أو قلت ماء أيرمى الماء بالشرر ؟

ومنها في وصف الدرع :

من كل ماذية «١» انثى فيا عجباً ! كيف استهانت بوقع الصارم الذكر

وله أيضاً وقد استدعاه المتوكل في يوم ماطر ونسيم روض عاطر فصحبته في ممشاه اليه سحابة وبلت عليه ثيابه . فلما دخل عليه أدناه وأكرم مثواه ؛ وهزه الى القول في ذلك فاهتز ، وأتى بما طبق مفصل الابداع وحز ثم قال :

صاحبنا الغيث الى الغيث لكنه غيث بلا عيث «٢»

سحابة تهمى حياها سوى لا تخلط الاعجال بالريث

يا ليث غاب حسنه باهر والحسن لا يعرف لليث

أحلني قربك في موضع يجل عن أين وعن حيث

وله غير هذا شعر كثير ؛ إكتفينا منه بما ذكرنا .

١٦ — ابو محمد المصري الحكيم * ...

أبو محمد المصري الحكيم . لا يقصر في حكمه ، ولا يعجزان ينطق من تمادي في بكمه . جرى الأدب بقلمه ؛ وسرى نفس في كلمه ، وحظى بقبول كان يتلقاه حيث حل ، ويحله أكرم محل ؛ ويتحفه بحباء الملوك بما ينعم به حالا ، ويعم حساده وبالا . وكان لا يجيب دعوة الصلاح ، ولا يستطيع سلوة الملاح . قد أثخنته الحدق النجل جراحاً ؛ واوثقته الذوائب الجثل فلا يجد سراحاً . وكان كالخمر في سلب العقول ، وكالسحر في الجلب بما يقول . حاذقاً بصيد الدراهم واستخراج خفايا الجيوب ولو زرت بحدق الأراقم . قال ابن بسام فيه : « شيخ الفتيان ، وآبدة الزمان وكان رحل الى مصر واسمه وسمائه عاطل ، فلم ينشب ان طرأ على الاندلس

(١) الدرع اللينة (٢) الفساد

(*) معجم الأطباء ص ٩٨ عن مسالك الابصار

خلقاً جديداً ، وجرى الى النباهة طلقاً بعيداً فتهادته الدول ، وانتهت اليه التفاصيل والجمل ، وكلما طرأ على ملك فكانه معه ولد واياه قصد . فجرى مع كل احد وتمول في كل بلد ، وتلون في العلوم بلون الزمان وتلاعب بالملوك بافقنا تلاعب الريح بالأغصان حتى ظفر به ابن ذي النون ، فشد عليه يد الضنين . فوجد كفاً سهلا ، وسلطاناً غفلا فسر وساء وارتسم في اي الدواوين شاء وكان بالطب أكلف ، وعليه اوقف . فتعلق بسببه حتى أشهد فيه : وكان حسن الثياب ، مليح المجلس ، حاضر الجواب ، كثير النادرة راوية للشعر والمثل السائر ، نسابة للمفاخر ، عارفاً بالمثالب والمناقب . وكان بالجملة روضة أدب . وهيهات ان يأتي الدهر بمثله . ثم رحل الى اشبيلية فانس المعتمد بمكانه وجعل له حظاً من سلطانه . ثم بقي بعده بمدة على حاله مشتملا بفضل إقباله ممتعاً مقبلا على لذاته . » انتهى

ولم يذكر سنة وفاته ، ولم نجدها في غيره

أدبه وشعره

وكان سريع البديهة ، جميل الديباجة ، متين اللفظ بليغ المعنى ، يصطاد شوارد المعاني ، كما يستخرج خبايا الأسقام ، ويعالج الالفاظ كما يداوي الابدان . ومما أنشده — كما في معجم الأطباء — قوله :

ظلمك أضحى لي بلا مرية … وثراً في خدك الناضر
ما أرفق الله باهل الهوى … اذ صير الجور على الجائر

وله في المدح :

ومن أصبحت فيه المكارم جوهراً … بلا عرض فالمدح فيه قبيح
ولكن رأيت الشعر يثبت ذكره … فلا غرو ان يهدى اليه مديح

وله قوله : وقد نقل قول أبي نواس

وما يحتاج يوم الحرب جيشاً … فان عداه كالزرع الحطيم
وان أبقى لهم فرعون سحراً … ففي يده عصا موسى الكليم

وله في مهر قتله تغالب الفحول عليه :

يا يوسف الخيل يا مقتول إخوته قلبي لفقدك بين الحرب والحَرَب
إن كان يعقوب لم يقنع بكذبهم أني لأقنع منهم بالدم الكذب
وما التناسب في القربى بنافعة إن لم تكن أنفس القربى بذي نسب

وقال يصف قصر طليطلة :

قصر يقصر عن مداه الفرقد عذبت مصادره وطاب المورد
وكأنما الأقداح في ارجائه در جماد ذاب فيه العسجد

وله يصف القبة :

شمسية الأنساب بدرية يحار في نسبتها الخاطر
كأنما المأمون بدر الدجى وهي عليه الفلك الدائر

وقال :

أي هلال أطل فينا مطلعه الطوق والجيوب
يقودنا كيف شاء طوعاً لان أعوانه القلوب

١٧ — أحمد بن أسعد بن العالمة * ٥٩٣ هـ ٦٥٢

هو أحمد بن موفق الدين ابو الفضل أسعد بن حلوان ، الحكيم الجليل ، المعروف بابن العالمة . من أطباء القرن السابع وسمي بابن العالمة لأن أمه كانت عالمة في دمشق وكانت تعرف بدهين اللوز . وقد يدعى أيضاً بابن المنفاخ ، لأن أباه كان يعرف بالمنفاخ . وكان أبوه هذا أيضاً طبيباً ، للملك الاشرف ؛ موسى بن أبي بكر بن أيوب وكان من أهل المعرة . وقد توفي في جمادي الاولى سنة ٦٥٢ هـ .

ولد المترجم ، ابن العالمة في دمشق سنه ٥٩٣ ولم تعرف حياته الاولى غير أن أول دراسته للطب كانت على الحكيم الطبيب ، مهذب الدين عبد الرحيم بن علي

(*) عيون الانباء

الدخوار . ثم درس ساير العلوم العقليه والنقلية ، على علماء كثيرين في عصره حتى نبغ واشتهر في الحكمة ، والطب ، والمنطق ، وفنون الأدب ، وعلم الترسل . والانشاء وحسن الخط . وعلم الموسيقى ، والتوقيع على العود وغيرها حتى أصبح فريد عصره في كل تلك العلوم والفنون .

وكان طبيباً خاصاً للملك مسعود صاحب آمد ولشدة ثقة الملك بعلمه وعقله ودهائه استوزره في بلاطه وبقي مدة وزيراً فكان متميزاً مبجلاً في الدولة محترماً عند العامة ومن ذلك ما كتب له الصاحب جمال الدين بن مطروح في جواب كتاب منه وهو قوله :

لله در أنامل شرفت	وسمت فاهدت أنجما زهرا
وكتابة لو أنها نزلت على (١)	الملكين ما ادعيا اذن سحرا
لم أقر (٢) شطراً من بلاغتها	الا رأيت الآية الكبرى
فاعجب لنجم في فضائله	انسى الانام الشمس والبدرا

ولكن الامراء وأركان الدولة حقدوا عليه ، وسعوا عند الملك ، ونسبوا اليه أشياء ، اوغروا صدر السلطان عليه ، وساعدهم على ذلك سوء خلقه ، وغروره بعلمه ، حتى غضب عليه الملك مسعود وعزله عن منصبه ثم سلبه امواله كلها فاضطر الى الرجوع لوطنه دمشق ، واقام هناك يدرس الطب ويعالج المرضى ، وفي اواخر ايامه دعاه الملك الاشرف ابن منصور صاحب حمص ، واتخذه طبيباً خاصاً لنفسه فبقي عنده حتى وافاه الأجل سنه ٦٥٢ هـ .

قال صاحب طبقات الاطباء ، عن القاضي شهاب الدين : « ان حساده واعداءه سموه غيلة فمات ، والسبب في قتله مستند الى سوء خلقه ، وحدة مزاجه وعدم مداراته للناس ، وغروره بعلمه ومنصبه ، وهذا الخلق هو الذي اوجد له الأعداء والاضداد »

(١) كذا في الاصل وهي زائدة وزناً ، ولكن المعنى لا يتم بغيرها .

(٢) كذا وجد في لأصل

مؤلفاته

إن لنجم الدين ابن العالمة مؤلفات كثيرة . منها كتاب التدقيق في الجمع والتفريق وهو كتاب يبحث عن تشخيص الأمراض ، ورسالة فيما حصل له من التجارب . وكتاب شرح الأحاديث النبوية في الطب و كتاب العلل والاعراض . و كتاب الارشادات المرشدة فى الادوية المفردة . و كتاب هتك الاستار في تموية الدخوار وغير ذلك .

ادبه وشعره :

لم نحتج الى الاطراء على ذوقه الشعري العالي ، وطبعه الرقيق ، ونظمه البديع الغالي ، لشهرة منظومه ومنثوره ولكن نذكر لك ما يدل على ماله من الأدب الصحيح والنظم المليح قوله :

وكنت سمعت ان الجن عند ... استراق السمع ترجم بالنجوم
فلما ان علوت وصرت نجماً ... رميت بكل شيطان رجيم

١٨ ــ احمد بن اسماعيل الحريرى * ... ــ ٣٠٩

أحمد بن اسماعيل بن عبدالله الشهاب الطبيب ويعرف بالحريري اشتغل بالطب وتعانى الأدب ، ونظر فى المنطق وكان خاملا واتفق ان قربه كاتب السر فتح الله من الملك الظاهر برقوق فى عارض عرض له ، فحصل له البرؤ سريعاً ، فاقبل عليه وولاه عدة وظائف ، فنبه قدره بعد خمول ، ولم يطل فى ذلك حتى مات في خامس عشر ذي القعدة سنة ٣٠٩ هـ

قال ابن حجر فيما استدركه على تاريخ مصر للمقريزى وقال : في معجمه (كان ذكيًا فاضلا ، تعانى الاشتغال في الطب والأدب ، وفنون أخرى ومهر فيها وكان يتزيى بزي الأعاجم في شكله وملبسه . وسمعت من فوائده كثيراً ، وأنشدني من نظمه في

(*) معجم الأطباء عن الضوء اللامع

عويس بيتين ».

وقال ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء : « انه مهر في الطب والأدب، والهيئة والمعقولات وله نظم ونثر، ولكنه يطعن في الناس كثيراً ويدعي دعاوى عريضة » ولم يذكر له شعراً.

١٩ احمد بن اسماعيل ابن ابي السعود * ٨١٤ - ٨٧٠ هـ

أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن موسى بن سعيد بن علي بن الشيخ ابي السعود المنوفي نزيل القاهرة. ولد سنة ٨١٤ هـ في منوف العليا في مصر ومات والده وهو صغير فنشأ يتيما حفظ القرآن وقرأ النحو على البرهان الكواكبي، في منوف ثم قدم القاهرة وبحث في الفقه على الزين القحني، والشهاب ابن المحمرة، والعلاء القلقشندي وأخذ الفرائض والحساب على ابن المجدي، وعلم الكلام على الشرواني، وعلم الطب على ابن الجزري، ثم عانى الأدب فبرع فيه وساد وطارح الشعراء، ونظم الجيد من الشعر وترسل في النثر البديع حتى اشتهر اسمه، وذاع صيته في الطب والأدب.

وكان حسن الاخلاق، لين العريكة ملائماً في الطبع لكل احد بحيث كان يجمع بين الاضداد في الصحبة فيرى كلا من أصحابه انه اختص به دون غيره مضافاً الى انه كان حسن المحاضرة، والمفاكهة، والمعاملة، متأنقاً في ملبسه ومشيته وبالجملة فقد كان مجموعة فضائل، وفواضل، فهو الفاضل الكامل والطيب النطاسي البارع والأديب الذكي الفطن، والاخلاقي العالم.

أدبه وشعره

قد تقدم انه عانى الأدب، وبرع فيه وبز أقرانه وظهر عليهم. فمن شعره قوله في منجم كان يهواه :

لمحبوبي المنجم قلت يوماً   فدتك النفس يا بدر الكمال

(*) الضوء اللامع للسخاوي

براني الشوق فاكشف عن ضميري فهل يوماً أرى بدري وفى لي

وله شعر كثير . توفي في القاهرة سنة ٨٧٠ هـ

٢٠ — احمد بن سراج الدين المصرى ٩٤٥ـ١٠٣٦ هـ

أحمد بن سراج الدين الملقب بشهاب الدين المعروف بابن الضايع الحنفي المصري الشيخ الرئيس الطبيب الفاضل .

أخذ العلوم عن الشيخ الامام علي بن غانم المقدسي والامام النهامه محمد بن محيي الدين بن ناصر الدين التحريري وولده الرئيس الشهير ، سري الدين وبه انتفع في الطب وقد تولى قديماً تدريس الحنفية بالمدرسة البرقوقية ، ومات عن مشيخة الطب ، بدار الشفاء المنصوري ورياسة الأطباء .

قال الشيخ مدين : « وكانت ولادته كما أخبرنا به في سنة ٩٤٥ هـ وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٦ هـ ودفن خارج باب النصر ، ولم يعقب سوى بنت وتولت مكانه مشيخة الطب » .

وله نظم بديع وشعر عال فمن ذلك قوله :

ماالناس إلا حباب والدهر لجة ماء

فعالم فى طفو وعالم في انطفاء .

٢٢ـ احمد بن سهل البلخي ابوزيد * ... (٣٢٢) هـ

أحمد بن سهل البلخي ، المكنى بابي زيد كان فاضلا قائماً بجميع العلوم القديمة والحديثة يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة إلا انه باهل الأدب أشبه . ولد في بلخ ، بقرية « شامستيان » من رستاق نهر (غربنكي) من جملة اثنى عشر نهراً من أنهار بلخ . وكان أبوه يعلم الصبيان ، وهو ايضاً كان معلماً غير ان العلم رفعه الى مرتبة

(*) معجم الأدباء ج ٣ ص ٦٥

عالية . وكان – كما ذكره أبو محمد الحسن الوزيري – ربعة نحيفاً صفاراً أسمر اللون جاحظ العينين فيهما تأخر ، وفي وجهه آثار الجدري صموتاً سكيتاً ، ذا وقار وهيبة . قال أبو علي المنيري : (حدثت انه كان في عنفوان شبابه، دعته نفسه ان يسافر الى أرض العراق ويجثو بين يدي العلماء ويقتبس منهم العلوم . فتوجه اليها مع الحاج ، وأقام بها ثمان سنين ولقي الكبار والعلماء ، وتلمذ لأبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، وحصل من عنده علوماً كثيرة وتعمق في علم الفلسفة وهجم على أسرار علم التنجيم والهيئة ، وبرز في علم الطب والطبايع وبحث في أصول الدين . ثم البحث حتى قاده ذلك الى الحيرة ، وزل عن النهج الأوضح فتارة كان يطلب الامام على طريقة الشيعة الذين ينتظرون الامام (ع) وهم الامامية ويسمونه المهدي المنتظر وتارة يسند الأمور الى النجوم والأحكام . » .

قال أبو بكر البكري : « اذ كر اذ كنا عنده – وقد قدمت المائدة – وأبو زيد يصلي وكان حسن الصلاة فضجرت من طول صلاته ، فالتفت الى رجل من أهل العلم يقال له أبو محمد الخجندي وقلت يا أبا محمد ! ريح الامامة بعد فى رأس ابى زيد . فقال نعم وقد كان قد خرج الى العراق فى طلب الامام فتقلد مذهب الامامية « ١ »

قال الحموي – بعد الثناء عليه – « ثم لما قضى وطره من العراق وصار فى كل فن من فنون العلم قدوة وفي كل نوع من أنواعه اماماً ، قصد العودة الى وطنه فتوجه اليه عن طريق هرات حتى وصل الى بلخ وانتشر بها علمه . ولما وردها أحمد بن سهل ابن هاشم المروزي طلب استيزاره ، فأبى حفظاً لدنياه وعقباه فاتخذه كاتباً واتخذ أباالقاسم الكعبي وزيراً وكانا من الكتاب . فعظم محلهما عنده وبقيا على ذلك مدة غير طويلة وعاشوا على جملة جميلة حتى فتكت بهم يد المنون وتوفي أبو زيد عن عمر قصير »

قال : « وقرأت في كتاب البلدان لابي عبدالله النشاري . ان صاحب خراسان استدعاه الى بخارا ليستعين به على سلطانه ، فلما بلغ جيحون ورأى تغطمط امواجه ،

« ١ » قد عيره أبو بكر بذلك لانه كان اماميا شيعيا

وجرية مائه ؛ وسعة قطره ، كتب اليه : ان كنت استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فاني ان عبرت هذا النهر فلست بذي رأي ، ورأيي يمنعني من عبوره « ١ » فلما قرأ كتابه عجب منه وأمره بالرجوع الى بلخ . »

قال : (سمعت لبعض اهل الأدب يقول اتفق اهل صناعة الكلام ان متكلمي العالم ثلاثة . الجاحظ . وعلي بن عبيدة اللطفي . وأبو زيد البلخي فمنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو علي بن عبيدة . ومنهم من توافق لفظه ومعناه ، وهو أبو زيد .)

أما خبر وفاته فقد ذكره ابوزيد الدمشقي فقال : دخلت علي ابي زيد يوم الجمعة ضحوة لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٣٢٢ فوجدته ثقيلا من علته ، فسلمت عليه فقال : قد انقطع السبب وما هو الا فراق الاخوان ودمعت عينه وبكيت أنا وقلت ارجو ان يشفع الشيخ فينا وفي عترتنا بعافية ! فقال إيهات (٢) وقرأ هذه الآية « أفرأيت أن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » ثم لما كان عند العتمة جمع اهله وودعهم ثم سلم عليهم ثم جعل يتشهد ويستغفر ثم قال قوموا فقد جاءت نوبة غيركم ، فخرجوا وهو يتشهد ثم سكت فرجعوا وقد قضى نحبه

مؤلفاته

قال ابن النديم : ولابي زيد من الكتب كتاب اقسام العلوم (٣) وكتاب شرايع الأديان ، وكتاب السياسة الكبير ، وكتاب السياسة الصغير ، وكتاب كمال الدين ، وكتاب مصالح الابدان والأنفس ، وكتاب صناعة الشعر . وكتاب الاسماء والألقاب والكنى ، وكتاب حدود الفلسفة . وكتاب ما يصح من احكام النجوم وغيرها كثيرة . وقد قيل عن حفيده ان لأبي زيد سبعين مؤلفاً في انواع العلوم .

« ١ » نظر فى عبارته هذه الى الكلمة المأثورة (ما خفق الشراع على رأس عاقل ابدا)

« ٢ » لغة فى هيهات (٣) وقيل المعلوم

أدبه وشعره

قال الوزيري كان ابو زيد ضابطاً لنفسه ، ذا وقار وحسن استبصار قويم اللسان جميل البيان ، نزر الشعر قليل البديهة لا يتكلم الا بعد روية وفكر، واسع الكلام في الرسائل والتأليفات . ومن شعره يرثي الحسن بن الحسين العلوي !

ان المنية رامتنا باسهمها ... فاوقعت سهمها المسموم بالحسن
ابي محمد الاعلى فغادره ... تحت الصفيح مع الاموات في قرن
يا قبر ان الذي ضمنت جثته ... من عصبة سادة ليسوا بذي افن
محمد وعلي ثم زوجته ... ثم الحسين ابنه والمرتضى الحسن
صلى الآله عليهم والملائكة ... المقربون طوال الدهر والزمن

٢٣ احمد بن شعيب الفاسي * ...

احمد بن شعيب الفاسي برع في اللسان والأدب والعلوم العقلية ، من فلسفة وتعاليم ، وطب وغيرها وله شعر يسابق به فحول الشعراء المتقدمين والمتأخرين ، وله الامامة في نقد الشعر لم نعثر له على شعر

٢٤ احمد بن عبد الخالق * ٠٠٠ـ٨٠٤

احمد بن عبد الخالق بن علي بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات الشهاب ابن الصدر بن النور البدر القاهري المالكي . نشأ بالقاهرة فاشتغل بالفقه واصوله ، والعربية ، والطب ، والأدب ومهر في الفنون العقلية ونظم الشعر الحسن مع لطافة الشكل ، وبشاشة الوجه ؛ وحسن الخلق قال شيخنا « وكانت بيننا مودة سمع معنا من بعض الشيوخ ، وسمعت من نظمه كثيراً وهو القائل :

إذا شئت ان تحيي حياة سعيدة ... ويستحسن الاقوام منك المقبحا

« * » معجم الاطباء « * » عن السخاوي

تزى بزي الترك واحفظ لسانهم ... وإلا فجانبهم وكن متصولحا

مات في شوال سنة ٨٠٤ هـ ولم يدخل في الكهول .

قال المقريزي : انه كان اذا كتب له البيت من الشعر او نحوه في ورقة لم يرها ورفعت اليه ويده من تحت ذيله قراها ويده وثوبه يحولان بين بصره ورؤيتها . او ان تمر بيده على المكتوب فيها خاصة فيقرأ ما كتب فيها من دون ان ينظر اليه امتحناه في ذلك غير مرة .

وحكى لنا الزيني عبد الباسط بن ظهيرة عن شخص من التجار اسمه عمر بن سيس انه شاهد هو وغيره من المترجم له مثل ذلك .

١٢٥ احمد بن عبد الرحمن بن مندويه * ...

احمد بن عبد الرحمن بن مندويه أبو علي الاصفهاني كان من الاطباء المذكورين ببلاد العجم وكان يطبّ جماعة من ملوكها ورؤسائها وهو من اطباء القرن الرابع الهجري (٢) وكانت له اعمال مشهورة مشكورة مذكورة في صناعة الطب ، اما بيته فكان من اجل بيوتات اصفهان وارفعها وكان ابوه عبد الرحمن من مبرزي الشعراء فاضلا في الأدب وافر الدين والورع .

ولما عمر (٣) عضد الدولة فنا خسرو المارستان العضدي في بغداد جمع له الاطباء من كل موضع فاجتمع اليه اربعة وعشرون طبيباً من خيرة اطباء ذلك العصر كان ابن مندويه احدهم على ماقيل .

مؤلفاته

لابن مندويه هذا — كما في عيون الانباء — كناش مليح في الطب حلو الكلام جميل الاسلوب حسن البيان وله ايضاً عدة مؤلفات منها كتاب نقض الجاحظ في نقضه للطب . وكتاب الجامع الكبير . وكتاب نهاية الاختصار . وكتاب الاغذية

« * » عيون الانباء ج ٢ « ٢ » مطرح الانظار « ٣ » القفطي

كتاب الطبيخ ، كتاب المغيث في الطب ، كتاب الكافي وهذا الأخير يعرف بالقانون الصغير . ومن مؤلفاته — كما في مطرح الأنظار — المدخل الى الطب ، كتاب الاطعمة والأشربة وله عدة رسائل في الطب الى تلاميذه وأصدقائه في اصفهان يتداولونها بينهم

وعن القفطي : ان له كتاب في الشعر والشعراء كبير ، حسن الوصف . وقيل لابيه .

ادبه وشعره :

ذكر القفطي وغيره من المؤرخين ان لابن مندويه ادباً جماً ، وفضلا عالياً ، فهو طبيب ماهر وأديب شاعر ، كما ان اباه ايضاً كان شيخاً في الفقه ، والنحو ، والشعر ومن شعر المترجم — كما ذكره ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء قوله :

ويحرز أموالا رجال اشحة ... وتشغل عما خلفهن وتذهل
لعمرك لا الدنيا بشيء ولا المنى ... بشيء ولا الانسان الا معلل

وذكر له ايضاً قوله :

ويمسي المرء ذا اجل قصير ... وفي الدنيا له أمل طويل
ويعجل بالرحيل وليس يدري ... الى ماذا يقر به الرحيل

أما وفاته فلم نعثر على من ذكرها من المؤرخين في مظانها غير انا علمنا من جملة مصادر انه كان معاصراً للاستاذ ابي ماهر الطبيب الشهير وعلي بن عيسى المجوسي مؤلف كتاب كامل الصناعة . وابي العلاء الفارسي طبيب سلاطين آل بويه وانه كان في ملك عضد الدولة وانتخب لمارستان بغداد من قبل الملك عضد الدولة .

٢٥ – احمد بن شهيد الاشجعي (١) ٣٨٢. ٤٢٦هـ

احمد (٢) بن عبد الملك بن مردان بن ذي الوزارتين احمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الأندلسي القرطبي . ابو عامر من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك بن قيس الفهري يوم المرج .

وفي نفح الطيب « ان احد اجداده ؛ وهو ابو هشام كان بيطاراً في الشام . وابو عبدالملك شيخ من شيوخ وزرآء الدولة العامرية ومن اهل الادب ، و كان في ايام عبدالرحمن الناصر . له شعر وبديهة ؛ ولم يخلف لنفسه نظيراً في علمي النظم والنثر » .

قال الحميدي : « انه مات يوم الجمعة في جمادى الاولى سنه ٤٢٦ بقرطبة ، وكان مولده سنه ٣٨٢ وقال ابو محمد علي بن احمد . ولم يعقب ابو عامر ، وانقرض عقب الوزير — ابيه — بموته . وكان جواداً لا يليق (٣) شيئاً ، ولا يأسى على فائت ، عزيز النفس ، مائلا الى الهزل . وكان له من علم الطب نصيب وافر » .

قال صاحب وفيات الاعيان ج ١ : « ذكره ابن بسام في كتاب الذخيرة وبالغ في الثناء عليه ، واورد له طرفا وافراً من الرسائل والنظم والوقائع . وكان من اعلم اهل الاندلس ، متفنناً بارعا في فنونه . وبينه وبين ابن حزم الظاهري مكاتبات ، ومداعبات . وله التصانيف البديعة . منها ، كتاب كشف الدك وايضاح الشك ، وكتاب التوابع والزوابع ، وهو كتاب يبحث عن شياطين الشعراء ؛ وكتاب حانوت العطار وغيرها .

ادبه وشعره :

قال الحموي : وسائر رسائله وكتبه نافعة جداً ، كثيرة الهزل وشعره كثير مشهور

---

(١) شهيد بضم الشين وفتح الهاء والاشجع نسبة الى اشجع بن ريث بن غطفان وهي قبيلة كبيرة كما في الوفيات (٢) ذكره الحموي في ج ٣ من معجم الادباء

(٣) يقال فلان ما تليق يده شيئاً اي ما تضمه ولا يستقر بها شيء من جوده

وقد ذكره أبو محمد علي بن أحمد مفتخراً به فقال :

ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار ما ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو ، وسهل (١) ومن شعره المختار قوله :

وما ألان قناتي غمز حادثة ... ولا استخف بحلمي قط انسان

أمضي على الهول قدماً لا ينهنهني ... وانثني لسفيهي وهو خردان (٢)

ولا اقارض جهالا بجهلهم ... والأمر امري والأيام أعوان

أهيب بالصبر والشحناء ثائرة ... واكظم الغيظ والاحقاد نيران

وله أيضاً قوله ، كما في نفح الطيب

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلي ... لما وجدت لطعم الموت من ألم

كلا الندى والهوى قدماً ولعت به ... ويلي من الحب اوويلي من الكرم

وذكر له في وفيات الأعيان قوله :

وتدري سباع الطير ان كماته ... إذا لقيت صيد الكماة سباع

تطير جياعاً فوقه وتردها ... ظمآء الى الأوكار وهي جياع

قال : ومن لطيف شعره وظريف قوله :

ولما تملأ من سكره ... ونام ونامت عيون العسس

دنوت اليه على بعده ... دنو رفيق درى ما التمس

أدب اليه دبيب الكرى ... واسمو اليه سمو النفس

وبت به ليلتي ناعماً ... الى ان تبسم ثغر الغلس

أقبل منه بياض الطلا ... وأرشف منه سواد اللعس (٣)

وله كما في الذخيرة في صفة برغوث .

« ١ » أي سهل بن هرون والجاحظ « ٢ » غضبان (٣) سواد مستحسن في الشفه .

ومنفر للنـوم مسكـنه إذا ... نام المملك بين أثناء الثياب
يسري الى الأجسام يهتك عدوه ... عن كل جسم صيغ بالنعمى حجاب
ويعض أرداف الحسان وما له ... كف ولكن فوه من اعدا الحراب
متحكم في كل جسم ناعـم ... متدلل ما بين الحاظ الكعاب
فاذا هممت بزجـره ولى ولا ... يثنيه عما قـــد تعوده طلاب
وترى مواضع عضـه مخضوبة ... بدم القلوب وما تعاوره خضاب
قرم من الليل البهيم مكور ... يمشي البراز وما تواريه ثياب
عظمت رزيته ولـكن قدره ... اخزى وأهون من ذباب في تراب

وعرض لابن شهيد (١) فى أواخر أيامه فالج الزمه الفراش طيلة سبعة أشهر وكان يمشي الى حاجته على عصاً مرة ، واعتماداً على انسان مرة ، الى قبل وفاته بعشرين يوماً فانه صار حجراً لا يتقلب ولا يبرح مع شدة ضغط الأنفاس ، وعدم الصبر حتى هم بقتل نفسه وله في ذلك شعر كثير اعرضنا عن ذكره حباً للاختصار ثم أوصى أن يدفن بجنب صديقه أبي الوليد الزجالي ؛ ويكتب على قبره في لوح رخام هذا النثر والنظم

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون . هذا قبر أحمـــد بن عبد الملك بن شهيد المذنب ، مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . وان محمداً عبده ورسوله . وان الجنة حق ، والنار حق ، وان البعث حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور . مات في شهر كذا من عام كذا ويكتب تحت النثر هذا النظم وهو قوله :

يا صاحبي قم فقد اطلنا ... انحن طول المدى هجود
فقال لي لن نقوم منها ... ما دام من فوقنا الصعيد
تذكر كم ليـــلة لهونا ... في ظلها والزمان عيد؟

« ١ » كما في الذخيرة لابن بسام

وكم سرور همى علينا ... سحابة ثرة تجود؟
كل كأن لم يكن تقضى ... وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ ... وضمه صادق شهيد
يا ويلنا ان تنكبتنا ... رحمة من بطشه شديد
يارب عفواً فانت مولى ... قصر فى امرك العبيد

٢٦ — احمد بن عبد المنعم البغدادى (٦٢٣)

احمد بن عبد المنعم البغدادي . كان حسن المعرفة بالأدب والطب ومن شعره

اذا لم اجد لي في الزمان موانساً ... جعلت كتابى مونسي وجليسي
واغلقت بابي دون من كان ذاغنى ... وامليت من مال القناعة كيسي

توفي عام ٦٢٣ ﻫ

٢٧ — احمد بن على المليانى (٧١٥)

أحمد (١) بن علي الملياني من أهل مراكش، ويكنى أبا العباس صاحب العلامة بفاس، كاتب شهير بعيد الشأو شهير (٢) الاصابة رفيع المكانة أخذ بحظ من الطب عظيم، حسن الخط، مليح الكتابه، قارضاً للشعر يذهب فيه كل مذهب ومن بديع نظمه قوله مفتخراً :

العز ما ضربت عليه قبابي ... والفضل ما اشتملت عليه ثيابي
والزهر ما أهداه غض يراعتى ... والمسك ما أبداه نفس كتابي
والفخر يمنع أن يزاحم موردي ... والعز يابى أن يسام جنابي
فاذا بلوت صنيعة جازيتها (٣) ... تجري طعاماً من دمي وشرابي

«١» معجم الأطباء «٢» كثير خ ل «٣» كذا ولعل القصد منها (جعلتها)

واذا طلبت من الفراقد والسهى ثاراً فأوشك أن أنال طلابي

توفي يوم السبت تاسع ربيع الآخر سنة ٧١٥ ﻫ ودفن بجبانة (١) باب البيرة

٢٨ — احمد بن علي بن خاتمة ٧١٠ — (٧٧٠) ﻫ

أحمد (٢) بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة . الأديب المتفنن الانصاري أبو جعفر المعروف بابن خاتمة . قال الحضرمي : صاحبنا الفقيه الجليل الفاضل كان استاذاً أديباً كاتباً بليغاً صدراً حافلا طبيباً ماجداً ناظما ناثراً شاعراً مبدعاً ، محصلا متفنناً . تصدر للاقراء بالجامع الأعظم بالمرية ، وعقد مجلساً للجمهور ، والف وصنف وكان حسن الالقاء طلق الوجه باراً باخوانه وأصحابه هشاً بشاً أخذ عن جماعة وتوفي في سابع شعبان سنة ٧٧٠ ﻫ عن ٦٠ عاماً .

قال ابن الخطيب في الاحاطة : كان صدراً مشاراً اليه متفنناً مشاركا قوي الذهن والادراك شديد النظر موفور الأدوات كثير الاجتهاد معين الطبع جيد القريحة بارع الخط ممتع المجلس جميل العشرة حسن الخلق من حسنات الاندلس ، طبقة في النظم والنثر بعيد المرقى في درجة الاجتهاد . قعد للاقراء ببلده مشكور السيرة حميد الطريقة أخذ عن مولى النعمه على أهل بلده الخطيب ابي الحسن ابن ابي العيش ولازمه وانتفع به وعن الخطيب الصالح ابي اسحاق ابن ابي العاصي وشيخنا أبي البركات بن الحاج وسمع منه كثيراً واجازه إجازة عامة . وعن المحدث ابن جابر الوادآشي (٣) والقاضي ابي جعفر ابن فركون .

مؤلفاته

لم نعثر على مؤلف له سوى كتاب يدعى (تاريخ المدينة) وجزء صغير سماه « الحاق العقل بالحس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس » وهما كتابان نافعان يدلان على طول باعه وسعة اطلاعه وقيل ان له تآليف اخرى .

«١» مقبرة «٢» معجم الاطباء «٣» نسبة الى وادآش بالاندلس

ادبه وشعره :

كان المترجم كما سبق ذكيا حاد الذهن سريع البديهة رقيق الطبع جميل العاطفة . وكان مع علمه وفضله ينظم الشعر الجيد ويتوارد على مخيلته جليل المعاني ، فيبرزها بجميل المباني ويبدو سحره في تراكيبه الجذابة وأساليبه الخلابة . وهاك انموذجا من أدبه وشاعريته قوله كما في المعجم :

ملاك الأمر تقوى الله فاجعل ... تقاه عـــدة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعتـــه بعزم ... فما تدري متى يمضي بعمرك

وحضر يوما مع شيخه ابي البركات على طعام عند الوزير في محل يدعى جنان فدعي الشيخ أبو البركات للاكل فأعتـذر بالصوم ولما فرغـوا من الأكل أنشد صاحب الترجمة مرتجلا .

دعونا الخطيب أبا البركات ... لا كل طعام الوزير الأجل
وقد ضمنا في نداه جنان ... به احتفل الحسن حتى اكتمل(١)
فاعرض عنا لعـذر الصيام ... وما كل عذر له مقتبـــل
فان الجنـان محـل الجزآء ... وليس الجنان محل العمل

فلما فرغ من انشادها قال الشيخ : لو انشدتنيها وانتم لم تفرغـوا من الأكل لأكلت معكم كرامة لهذه الأبيات والحوالة على الله تعالى .

٢٩ - احمد بن علي الرشيد الاسواني * ٠٠٠ـ٥٦٢ هـ

أحمد بن علي بن ابراهيم بن الزبير الغساني الاسواني المصري الملقب بالرشيد والمكنى بابي الحسين . ولد في اسوان وهي بلدة في صعيد مصر وكان ابن الزبير هذا من افراد الدهر فضلا في فنون كثيرة من العلوم وهو من بيت كبير بالصعيـد من المتمولين وقد هاجر الى مصر وأقام بها واتصل بملوكها ومدح وزراءها وتقـــدم

«١» وفي نسخة « كمل » « * » معجم الادباء ج ٤

عندهم وهو كاتب بليغ وشاعر مجيد وفقيه نحوي ومؤرخ وعروضي ومنطقي ومهندس وموسيقي ومنجم وطبيب حاذق ومعالج بارع وكانت له في الطب معرفة تامة وتفنن في النجوم والموسيقى . ولي النظر في ثغر الاسكندرية والدواوين السلطانية ولكن بغير رغبة منه ولا طلب ثم انفذ الى اليمن في رسالة وبعد مدة قلد احكامها وقضاءها ولقب هناك قاضي قضاة اليمن وداعي دعاة الزمن وقيل لقب علم المهتدين(١) ولكنه لما استقر به الدار سمت نفسه الى الخلافة فسعى لها واجابه قوم وسلموا عليه بها وضربت له سكة كان نقشها على احد الوجهين « قل هو الله أحد الله الصمد » وعلى الوجه الآخر « الامام الأمجد أبو الحسين أحمد » ثم قبض عليه ونفذ مكبلا الى قوص وكان الأمير عليها طرخان سليط فأمر بحبسه في المطبخ الذي كان يتولاه قديماً والذي كان يقول فيه الشريف الأخفش من أبيات يخاطب بها الصالح بن زريك .

يولى على الشيء اشكاله ... فيصبح هذا لهذا أخا

أقام على المطبخ ابن الزبير ... فولى على المطبخ المطبخا

فقال بعض الحاضرين لطرخان ينبغي ان تحسن الى الرجل فان اخاه المهذب الحسن بن الزبير قريب من قلب الملك الصالح ولا يستبعد ان يستعطفه عليه فتقع في خجل وهكذا كان الأمر فانه اطلق وأكرم ، وسير الى محله معززاً

خلقه وخلقه

كان الرشيد على جلالة قدره وفضله ومنزلته من العلم والنسب قبيح المنظر ، أسود الجلدة ، جهم الوجه ، سمج الخلقة ، ذا شفة غليظة ، وانف مبسوط ، كخلقة الزنوج قصير القامة .

قال الحموي : وحدثني الشريف أبو عبدالله محمد بن أبي محمد الاندلسي الحسنى الصعيدي انه اجتمع ليلة عند الصالح بن زريك هو ابن الرشيد وجماعة من الفضلاء

«١» الطالع السعيد

وقـــد طرحت مسألة لغوية فلم يجب عنها بالصواب سواه فاعجب به الصالح فقال الغساني متخراً . ما سئلت قط عن مسألة الا وجدتني اتوقد فهما فقال ابن قادوس الشاعر وقد كان حاضراً مرتجلا

ان قلت من نار خلقت وفقت كل الناس فهما
قلنا صـدقت فمـا الذي أطفاك «١» حتى صرت فحما

اشارة الى سواده وقال فيه ايضاً ، كما ذكر في غيرهذا المقام

يا شبه لقمان بلا حكمة وحاسراً في العلم لا راسخا
سلخت اشعار الورى كلها فصرت تدعى الاسود السالخا «٢»

وأما قبح منظره وسماجة خلقته فيدل عليه ما نقله الشريف عن أبيه قال : كنت أنا والرشيد ابن الزبير والفقيه سليمان الديلمي نجتمع في القاهرة في منزل واحد فغاب الرشيد عنا ، وطال انتظارنا له وكان ذلك في عنفوان شبابه وأبان صباه ، وهبوب صباه فجاءنا بعد مدة ، وقد مضى معظم النهار فقلنا له ما أبطاك عنا فتبسم وقال لا تسألوا عما جرى علي اليوم فالححنا عليه فقال مررت اليوم بالموضع الفلاني واذا بامرأة شابة صبيحة الوجه وضيئة المنظر حسانة الخلق طريفة الشمائل . وعند ما رأتني نظرت الي نظر مطمع لي في نفسه فتوهمت انني وقعت منها بموقع و نسيت نفسي ثم اشارت الي بطرفها فتبعتها وهي تدخل سكة وتخرج الى اخرى حتى دخلت داراً وأشارت الي فدخلت ثم رفعت النقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامه ثم صفقت بيديها منادية يا ست الدار فنزلت اليهـا طفلة كانها فلقة قمر فقالت لها ان رجعت تبولين في الفراش تركت سيدنا القاضي ياكلك ، ثم التفتت إلي وقالت لا اعدمني الله إحسان سيدنا القاضى أدام الله عزه فخرجت وانا خزيان خجل ، لا اهتدي الى طريقي

---

(١) وفي رواية ابن خلكان (اخفاك) (٢) الاسود السالخ فيه تورية بأسم نوع من الحيات السود ، شديدة السواد ، يسلخ جلده كل سنة ، والانثى اسوده، ولا توصف بسالخه ، ويقال . أسود سالخ واسودان سالخ

وذكر صاحب الطالع السعيد . ان بعض شعراء اليمن قال فيه ـ عند ما كان هو هناك ـ وأرسله الى صاحب مصر :

بعثت لنا علم المهتدين ولكنه علم أسود

ومع كل ذلك ، فقد كان لطيف المحادثة ، جذاباً في كلامه غير مملول الحديث بحيث لا يمكن السامع أن يعرض عن حديثه الشهي الجذاب وهذا هو الذي حببه في القلوب ، وامكن للناس ان يتجرعوا بشاعته .

مؤلفاته

ذكر له مؤلفات كثيرة . اشهرها كما في معجم الادباء كتاب منية الألمعي وبلغة المدعي يشتمل على علوم كثيرة ، وكتاب المقامات ، وكتاب جنان الجنان وروضة الأذهان في أربع مجلدات يشتمل على شعر شعراء مصر ومن طرأ عليهم ، وكتاب الهدايا والطرف ، وكتاب شفاء الغلة في سمت القبلة ؛ وديوان شعر نحو مائه ورقة وسط ، وكتاب رسائله نحو خمسين ورقة .

ادبه وشعره :

أما أدبه فغني عن البيان لشهرته . قال السلفي أنشدني القاضي أبو الحسين أحمد ابن علي الغساني الاسواني لنفسه قوله :

سمحنا لدنيانا بما بخلت به علينا ولم نحفل بجل أمورها
فيا ليتنا لما حرمنا سرورها وقينا أذى آفاتها وشرورها

وقال الشريف أبو عبد الله الأدريسي إن أحمد بن الزبير دخل الى مصر بعد مقتل الظافر وجلوس الفائز وحضر المأتم مع الشعراء وأنشد مرثيته الرائية بعدهم فقال في مطلعها :

ما للرياض تميل سكراً هل سقيت بالمزن خمرا ؟

وهي طويلة حتى وصل الى قوله منها .

أفكر بلاء بالعراق وكربلاء بمصر اخرى

فذرفت العيون وضج القصر بالبكاء وانثالت عليه العطايا وبعدها أصبح معززاً في الدولة المصرية ولما تحققوا فضله قدموه في أمورهم وله قصيدة يخاطب بها أخاه المهذب يقول فيها ـ والشطر الأول من المطلع مأخوذ من قصيدة أخيه المهذب محمد بن علي في مدح الداعي لما كان في الحبس

يا ربع اين ترى الاحبة يمموا رحلوا فلا خلت المنازل منهم
احبابنا ما كان أعظم هجركم عندي ولكن التفرق أعظم
غبتم فلا والله ما طرق الكرى جفني ولكن سح بعدكم الدم
وزعمتم اني صبور بعدكم هيهات لا لقيتم ما قلتم

وله أيضاً كما في الخريدة :

اذا ما نبت بالحر دار يودها ولم يرتحل عنها فليس بذي حزم
وهبه بها صباً ألم يدر أنه سيزعجه منه الحمام على الرغم
ولم تكن الدنيا تضيق على فتى يرى الموت خيراً من مقام على هضم

وقال أيضاً :

لان خاب ظني في رجائك بعد ما ظننت باني قد ظفرت بمنصف
فانك قد قلدتني كل منة ملكت بها شكري لدى كل موقف
لانك قد حذرتني كل صاحب وأعلمتني ان ليس في الأرض من يفي

ومن نظمه ايضاً يمدح علي بن حاتم في اليمن .

لان اجدبت أرض الصعيد واقحطوا فلست أنال القحط في أرض قحطان
ومذ كفلت لي مأرب (١) بما ربي فلست على اسوان يوماً باسوان (٢)
وان جهلت حقي زعانف خندف فقد عرفت فضلي غطارف همدان

«١» هي بلاد الأرز باليمن وقيل اسم لكل ملك كان يلي سبا كما في معجم البلدان «٢» حزين

وله كما في السيل والذيل للعماد ، وفي الوفيات . ومما أنشدني له الأمير عضد الدين أبو الفوارس قوله :

جلت لدي الرزايا بل جلت هممي ... وهل يضر جلاء الصارم الذكر
غيري يغيره عن حسن شيمته ... صرف الزمان وما يأتي من الغير
لو كانت النار للياقوت محرقة ... لكان يشتبه الياقوت بالحجر
لا تغررن باطماري وقيمتها ... فانما هي إصداف على درر
ولا تظن خفاء النجم من صغر ... فالذنب في ذاك محمول على البصر

وقد توفي في محرم سنة ٥٦٢ كما في معجم الأدباء . وقال السلفي سنة ٥٦٣ توفي صلباً على يد شاور وزير العاضد لميله الى اسد الدين شيركوه وقيل غير ذلك .

قال الحموي : ان شاور لما ظفر به على صفة لم تتحقق لنا ، أمر باشهاره على جمل وعلى رأسه طرطور ، وورآءه جلواز ينال منه . قال الشريف الادريسي وكان ينشد

ان كان عندك يا زمان بقية ... مما تهين بها الكرام فهاتها

ثم أمر به بعد اشهاره ان يصلب شنقاً ثم دفن في موضع صلبه ثم لم تمض الأيام والليالي حتى قتل شاور وسحب واتفق ان حفر له ليدفن فوجد ابن الزبير مدفوناً في تلك الحفرة فدفنا معاً في موضع واحد ثم نقل بعد ذلك كل منها الى تربة له في قرافة مصر القاهرة

٣٠ — احمد بن فرج ابن بابا * ... — ٧٤٩ هـ

أحمد بن فرج الشهير بابن بابا العالم الفاضل ، المتفنن ، المقري كان عارفاً بالتفسير والحديث ، والفقه والاصلين ، والعربية والطب كتب الخط المليح وكان ديناً خيراً كثير المروءة وله شعر حسن اشتغل على العلم العراقي وغيره وافتى وأشغل ودرس في الحديث بالقبة المارستانية ومات شهيداً بالطاعون في اواخر سنة ٧٤٩ هـ

(*) عن معجم الأطباء عن شذرات الذهب

٣١ – احمد بن القاسم ابن ابي اصيبعة * ٥٩٦ – ٦٦٨

أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفه بن يونس الخزرجي الفاضل المؤرخ الشهير بابن أبي اصيبعة السعدي صاحب كتاب (عيون الأنباء في طبقات الاطباء) ولد – كما في مطرح الانظار الفارسي وغيره – سنة ٥٩٦ هـ في دمشق. ونشأ بها في حجر أبيه وكان أبوه طبيباً كحالا فأخذ عنه بعض فن الطب ، وصناعة الكحل . وبعد أن اتم دراسته الطبية الأولية عند أبيه أخذ يدرس على فطاحل الاطباء في عصره وما أكثرهم يومذاك أمثال مهذب الدين الدخوار ، وعمه (عم المترجم) رشيد الدين خليفة وابن البيطار النباتي الشهير ورضي الدين ابن الرحبي وشمس الدين الكلي(١) واضرابهم . ثم اتم العلم بالعمل والعلاج في المارستان الناصري في القاهرة ثم انتظم في خدمة الدولة الايوبية ونال المناصب العالية في دولتهم وبعد مدة دعاه عز الدين ايدمر الى صرخد من أعمال جبل الدروز فرحل اليه وصادف اجلالا واكراما عظيمين لديه حتى جعله طبيبه الخاص وبقي عنده كل اواخر أيامه حتى توفي عنده سنة ٦٦٨ عن ٧٢ عاماً

قال الطبيب عبدالحسين التبريزي في كتابه « مطرح الانظار الفارسي » : كان ابن ابي اصيبعة من اطباء القرن السابع وكان ذا دراية تامة بعلم الطب ، والفلسفة والنجوم ، والتاريخ ، والفقه ، والحديث خبيراً بمزاولة الأعمال الطبية وفنون العلاج وكان مقيما في المارستان الناصري في القاهرة حتى سنة ٦٣٢ وكان معاصراً للطبيب الشهير ابي المنى ابراهيم ، والطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي شارح فصول ابقراط وغيرهم من نطس الاطباء وفحول العلماء والحكماء .

(*) عن مطارح الانظار وكتابه عيون الانباء ومعجم الاطباء ومصادر كثيرة وغيرها (١) سمي بذلك لانه كان يحفظ كليات ابن سينا على ظهر قلبه

مؤلفاته

لابن أبي اصيبعة مؤلفات كثيرة وكلها جليلة نافعة أشهرها واعرفها كتابه الجليل الذي عرف به « عيون الانباء في طبقات الاطباء » وهو الذي ألفه للوزير أبي الحسن أمين الدولة بن غزال السامري الطبيب(١) وزير الملك الصالح ويقال ان الذي اعانه على تأليف هذا الكتاب هو مكتبة صديقه عمران بن صدقة الطبيب والآمدي صاحب (أبكار الافكار) .

وله من المؤلفات ايضاً كتاب اصابة المنجمين ، وحكايات الاطباء في علاجات الادواء ، وكتاب معالم الأمم في أخبار ذوي الحكم ، وكتاب الأدوية المركبة وغيرها من الكتب الجليلة .

ادبه وشعره :

كان أبو العباس مع غزارة علمه وسعة اطلاعه في الطب والتاريخ ذا أدب جم وروح شفافة ، وطبع شعري رقيق ومعرفة كاملة بفنون الأدب الصحيح ومن بديع نظمه قوله من قصيدة يمدح بها الطبيب موفق الدين عبد السلام ويصف دمشق

لعل زماناً قد تقضى بجلق ... يعود وتدنو الدار بعد التفرق
وان تسمح الأيام من بعد جورها ... بعدل. وأنا بالأحبة نلتقي
فكم لي الى اطلالها من تشوف ... وكم لي الى سكانها من تشوق
ترنحني الذكرى اليها تشوقاً ... كما رنحت صرف المدام المعتق
ومن عجب نار اشتياقي باضلعي ... لها لهب من دمعي المترقرق
لقد طال عهدي بالديار وأهلها ... وكم من صروف البين قلبي قد لاقي
ولو كان للمرء اختيار وقدرة ... لاصبح من كل الحوادث يتقي
ولكنها الاقدار تحكم في الورى ... وتقضي بامر كنهه لم يحقق

---

(١) وقد ذكرت ترجمته في هذا الكتاب .

دمشق هي القصوى لمن كان قصده … يرى كل حسن في البلاد وينتقي
فصفها اذا ما كنت بالعقل حاكماً … فوصف سواها من قبيل التحمق
وما مثلها في ساير الأرض جنة … فدع شعب بوان(١) وذكر الخورنق
بها الحور والولدان تبدو طوالعاً … شموساً وأقماراً باحسن رونق
وانهارها ما بين ماء مسلسل … من الريح او ماء من الدفق مطلق
واشجارها من كل جنس مقسم … وأثمارها من كل نوع منسق
وللطير من فوق الغصون تجاوب … فما اسجع الورقاء من فوق مورق
ولو لم تغن الطير من فوق عودها … لما كان للامواه وقع مصفق
وراح يريح النفس من ألم الجوى … ويبعد همّ المستهام المؤرق
اذا مزجت بالكاس يبدو شعاعها … كمثل شعاع البارق المتألق
ويا حبذا بالواديين حدائق … لها رونق من مائها المتدفق
فكم من مياه حسنها عند روضة … وكم من رياض حسنها عند جوسق(٢)

الى آخرها وهي طويلة وختامها :

فدام سعيد الجد ما هبت الصبا … وما دام تغريد الحمام المطوق

ومما كتبه في صدر كتاب أرسله الى إبن قاضي بعلبك بدر الدين المظفر الطبيب الشهير قوله :

مولاي بدر الدين يا من له … فضائل تتلى وإحسان
ومن علا في المجد حتى لقد … قصر عن علياه كيوان
ومن اذا قال فمن لفظه … يسحب ذيل العي سحبان
شوقي الى لقياك قد زاد عن … حد وصدق الود برهان
لم تخل عن فكري ومالي بما … أنعمت طول الدهر نسيان

---

(١) شعب بارض فارس بين ارجان ونوبندجان وهو احد منتزهات العالم ينسب الى بوان بن ايران بن الاسود بن سام بن نوح ع (٢) الجوسق القصر

وقال ايضاً في تقريظ كتاب (مفرح النفس) لصديقه الطبيب بدر الدين المتقـــدم :

تكاد لنور بدر الدين ... تخفق طالعـــة الشمس
حكيم فاضل حـبر ... شريف الخيم والنفس
وأدرى الناس بالطب ... وعـلم النبض والجس
خبير بالتداوي عن ... يقين ليس عن حدس
فمـــن بقراط والشيخ ... من اليونان والفرس
فكم أوجد من بـرء ... وكم أنقـــذ من نكس
سما فى الرأي عن قيس ... وفي الالفاظ عن قس
وقد أهدى الى قلـبي ... كتاب« مفرّح النفس»
كتاب حـل تأييـد ... له من عالم القـدس
تجـــلى نور معنـــاه ... لنا فى ظلمـــة النفس
ومـا أحسن زهـر الخط ... في روض من الطرس
بدت ابكـار أفكـار ... فكان الطرف فى عرس
وما اكثر لي فيـــه ... من الراحــة والانس
وقــد قابلت ما يحــو ... يه بالتقبيل والدرس
فاجني منـــه أثماراً ... حلت من طيب الغرس

وله من قصيدة يمدح بها الصاحب أمين الدولة وقد أجاد نذكر نبذة منها

فؤادي فى محبتكم أسير ... وأنى سار ركبكم يسير
يحن الى العذيب وساكنيه ... حنيناً قد تضمنه سعير
ويهوى نسمة هبت سحيرا ... بها من طيب نشرهم عبير
واني قانع بعد التداني ... بطيف من خيالكم يزور

الى أن يقول :

وان اشكو الزمان فان ذخري … أمين الدولة المولى الأمير
كريم اريحي ذو أياد … تعم كما هوى الجون المطير

الى آخرها . وله شعر كثير اكتفينا بما ذكرنا ليعرف القارئ مبلغ شاعريته الذي يجعله في مصاف كبار الشعراء ومشاهير الأدباء .

٣٢ — احمد زكى ابو شادى * ١٨٩٢ م ...

الدكتور احمد زكى بن الاستاذ محمد ابي شادي المحامي الشهير طبيب نطاسي قدير وشاعر مبدع شهير . ولد في التاسع من شهر فبراير ١٨٩٢ م في حي عابدين من مدينة القاهرة من اسرتين شهيرتين اسرة نجيب لأمه واسرة ابي شادي لأبيه

دخل مدرسة الهيانم في الرابعة من عمره ثم مدرسة عابدين في السابعة . ثم انتقل الى المدرسة التوفيقية وفيها أتم جل تعاليمه الابتدائية والثانوية فحاز على شهادة المدرسة الابتدائية والكفائة والثانوية . ثم التحق بمدرسة الطب المصرية . ثم انقطع عن الدراسة سنة كاملة والتجأ الى السياحة لمرض عراه واخيراً سافر الى انجلتره باشارة الأطباء حيث اقام بها منذ سنة ١٩١٢ الى نهاية سنة ١٩٢٢ م وقد اتم دراسته الطبية هناك ثم تخصص بعلمي الامراض الباطنية والجراثيم وفاز بشهادة الشرف وجائزة د . ب . في علم البكتريولوجيا من مستشفى (سانت جورج) إحدى مدارس جامعة لندن الشهيرة ثم تعين معاونا اومساعداً بالمعمل البكتريولوجي في المعهد المذكور ثم عني بعلم الحشرات وكانت له اليد الطولى في تأسيس معهد النحال الدولي سنة ١٩١٩ م ولما عاد الى وطنه اسس سنة ١٩٢٣ نادي النحال المصري ثم تقلد منصب طبيب بكتريولوجي بمعهد « الهيجين » بمصر في هذه السنة ثم مديراً لمعمل الحكومة البكتريولوجي بمدينة « السويس » وهو الآن يقطن الاسكندرية

(*) أخذنا هذه الترجمة عن رسالة « شعر الوجدان » لجامعها الأديب محمد صبحي من مختارات شعر المترجم نفسه وعن بعض المجلات والصحف

وقد كان منذ حداثته بالرغم من ضعفه الجسماني معروفا بتوقد القريحة ، وجاذبيته للنفوس ، اذ كان محبوبا لدى زملائه وعارفيه ، كثير السعي في المشروعات الخيرية العامه .

مؤلفاته

ان للدكتور ابي شادي مؤلفات كثيرة . نذكر ثلاثة كتب ذكرتها له المقتطف (١) مها ، وهي قصة غرامية منظومة (٢) روح الماسونية (٣) ذكرى شكسبير منظومة . وقد ظهرت له من الدواوين ، والمنشورات في الصحف والمجلات ما لا مجال لذكرها هنا .

ادبه وشعره :

قالت عنه جريدة الأهرام ، ونحن نكتفي بما قالته لمطابقته الحقيقيه لأدب ابي شادي وشعره قالت

« الاستاذ ابو شادي شاعر يسيل شعره عواطف هن من قلبه خطرات ، ويترسل خواطر كاهن من فكره لمحات . فشعره من قلبه وفكره . ارسل شعره فى الوطنية فكان نغمة عذبة حدا بها مع الحداة الركب المصري ، وهو يسرع السير الى حرم الحرية . وارسله في الوصف تصويراً ناطقاً فانك لتقرأ القطعة منه في صفة الزهرة ، فتكاد تشم عبقها او في صفة قبلة فتكاد تسمع همس قلبين ، وارسله في الغزل والشجن والحنين ، فكان قطعاً وكل قطعة منه هيكل حب ينحني فيه قلب على قلب وارسله في مجد مصر فكان حرفي الترجمة لمصر الحاضرة عن مصر الغابرة . وارسله في الرضا وهو نزعة من الحب . وفي البغض وهو معنى من الغضب .وفي العتب وهو لارضا ولاغضب . وكان في كل ذلك عف السريرة عذب البيان بديع البرهان» انتهى

اما منشأ نبوغه (١) في الادب وظهوره في النظم ، فان له اسباب كثيرة

---

(١) شعر الوجدان ومجلة ابولو وغيرهما

منها انه عاش منذ حداثته في وسط صحفي أدبي حيث كان والده يصدر صحيفتي (القاهرة) و (الامام) كما كان منزل والده منتدى لاهل الفضل والأدب من جميع الطبقات مضافاً لما لأسرته من جهة أبيه وجهة امه من الآثار الأدبية فكان هذا الوسط هو الحجر الاساسي الذي طبعه بطابع الصحافة والأدب وجعله يقول الشعر بالطبيعة ومن دون تكلف واول بيت قاله هو

نشأت وقلبي يصبو لك وأني ربيت على حبك

ونظراً لتقاليد اسرته الوطنية فقد كان واسطة كما كان مصدراً لنشر الدعوة المصرية في اروبا بالكتابة والخطابة . وقد ساح في بريطانيا ، وفرنسا ، وسويسرا وإيطاليا، واليونان ، وتركيا خدمة لوطنه ومتعة لعقله ودراسة لنفسه فكان لهذه السياحات اثرها العميق في لبه وفكره وشاعريته وشعوره ومن شعره الكثير قوله من وطنياته

ولطالما بنت الشعوب حياتها بثباتها وهوى الردى بحرابه
إن الزمان حليف كل مجاهد والصبر قبل السيف من اصحابه

وله ايضاً :

ومن حاز في قلبه امة فاخلق به ان يهز الوجودا

وقال ايضاً وقد اصبحت مثلا في مصر :

عارٍ على البلد العظيم باهله ان يرتضى سفراءه الغرباءا
واذا المبادئ وفيت آمالها نالت من البر السليم وفاءا
وإذا الأخوة انصفت لم يجترى بين الخوارج من يدس اخاءا

وله قوله :

العلم والأخلاق حول واحد ومظاهر الجبروت وهم فان

ومن حكمياته قوله :

لو كنت تدرك للاثير حقائقاً ادركت بعض حقائق الانسان
هو في تكونه حقيقة ربه لكن ظاهره بغير معان

كيف الحقيقة في خيال كاذب ... بل كيف تعرف للفضيلة جاني ؟
شأن الحياة تحـول وتجـدد ... يتلو القـديم بها الجديد الباني
فاصبر على عسر التنقل واعتقد ... ان الحياة حليفة الدوران

وله ايضاً قوله وهي فكرة خاصة اتخذتها بعض الدول مبدءاً لاعمالها في حكمها :

الاصل فى الدنيا الحقوق مشاعة ... فمن الوفاء البر بالقسطاس
ومن الكرامة ان نصون فقيرنا ... فلكم فقـير مثمر الاحساس
واعز سيـدة الشعوب ابرهـا ... بالنفس قبـل المال والحراس
ولعـل ادوآء الأنـام جميعها ... للفقر ثم الجهـل ثم اليـاس

وله شعر غير هذا كثير اكتفينا بما ذكرنا .

٣٣ ــ احمد بن محمد ابن البناء ٦٤٩ هـ ٧٢١ هـ

ذكر فى معجم الاطباء عن نيل الابتهاج للتنبكتي (١) فقال ما ملخصه :

أحمد بن محمد بن عثمان الازدي أبو العباس المراكشي المعروف بابن البنـاء كان أبوه محترفاً حرفة البناء وطلب هو العلم فوصل فيه الغاية القصوى حتى قال فيـه الامام ابن رشيد لم أر عالماً بالمغرب الا رجلين ابن البناء العدوى بمراكش وابن شاطر بسبته . وقال غيره كان اماماً معظماً عند الملوك اخذ من علوم الشريعـة حظاً وافراً ، وبلغ فى العلوم القديمة غاية قصوى ورتبة عليا .

وقال تلميذه أبو زيد عبـد الرحمن اللجاني : كان شيخاً وقوراً حسن السيرة قوي العقل مهذباً فاضلا حسن الهيئة معتدل القامة أبيض اللون يلبس رفيع الثياب ، ويأكل طيب الطعام يديم السلام على من لقيه ما تحدث معه أحد الا انصرف راضياً وكان محبوباً عند العلماء والصلحاء حريصاً على الافادة بما عنده قليل الـكلام لا يتكلم بهذر ولا بما يخرج عن مسائل العلم واذا تكلم فى مجلس سكت لـكلامه جميع من فيه

(١) نسبة الى تنبكتو بلدة بالسودان

قال ابن شاطر كان ينظر فى النجوم وعلوم السنة . قرأ القرآن على عبدالله بن يسر والعربية على القاضي الشريف محمد بن علي بن يحيي كما قرأ عليه ايضاً مسائل من اقليدس وقرأ كتاب سيبويه على ابي اسحق الصنهاجي العطار وأخذ العروض والفرائض على ابي بكر القلاوسي والحديث عن ابي عبدالله وأخيه والموطأ على محمد بن عبد الملك وتأدب فى عقود الوثائق وتفقه على ابي عمران موسى الزناتي وأخذ علم الطب عن الحكيم ابى حجلة وعلم النجوم عن ابى عبدالله ابن مخلوف السجلماني .

قال ابن زكريا كما في معجم الاطباء كان مولده سنة ٦٤٩ وقيل غير ذلك على ضعف

مؤلفاته

ذكر المؤرخون والمترجمون له مؤلفات كثيرة أكثرها فى الفقه والنجوم والطلسمات وعلم البيان والبديع وأشهر مؤلفاته مختصر احياء العلوم للغزالي ومقدمة اقليدس ومقالة فى الحساب ومقالة فى علم الاسطرلاب ومقالة فى عيوب الشعر وقانون في معرفة الشعر وقانون في الفرق بين الحكمة والشعر وغير ذلك .

ادبه وشعره:

كان ابن البناء - كما اتفق عليه كل مؤرخ - قوي الحس رقيق العواطف جميل النثر قوي النظم بليغ العبارة سريع البديهة حسن الشعر .

فمن نظمه كما ذكره أبو عبدالله الحضرمي عن شيوخه عنه قوله :

قصدت الى الوجازة في كلامي   لعلمي بالصواب فى الاختصار
ولم احذر فهوماً دون فهمي   ولكن خفت ازراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شأني   وشأن البسط تعليم الصغار

وله غير ذلك وقد توفي سنة ٧٢١ هـ فى مراكش

٣٤ - احمد بن محمد بن برخش   ... - (٥٦٧) هـ

هو ابو طاهر موفق الدين ابن برخش احمد بن محمد بن العباس الواسطي من

اطباء القرن السادس الهجري ، كان من الفضلاء المعدودين واجلة الاطباء ، ومن الحذاق الذين طارصيتهم في الافاق في هذا الفن الجليل ، وكان عالمًا عاملا في صناعة الطب متفننا في العلوم الادبية ، شاعراً ، كاتباً ، بليغاً ، حسن الخط مليح الكتابه

قال ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء « رأيت لأبي طاهر هذا مؤلفاً في الطب جليل المعاني ، عظيم المباني ، دل على غزارة علمه ، وتقدمه في هذا الفن وفضله وكان في ايام المسترشد التاسع والعشرين من الخلفاء العباسيين ، وكان معظما عند الخليفة محبوبا لدى العامة »

ثم قال « وكان البرخشي هـذا حيـاً بواسط سنة ٥٦٠ ، وقد ادرك زمن الراشد والمقتفي والمستنجد العباسي »

قال ابو عبـد الله ؛ شمس الدين محمـد بن الحسن بن محمد بن عبـد الكريم البغدادي « اتي رجل الى احمد الواسطي الطبيب النطاسي سنة ٥٠٢ ، يستشفى عنده وكان في مرض الاستسقاء فعالجه مدة فلم يبرأ فقـال له ان مرضك متعذر العلاج عندي فلا تشغل نفسك بالمداواة . فخرج منه المريض يائساً من الحياة ، وفي طريقه صادف بائع جراد مطبوخ مملح ، فهشت نفسه اليه ؛ ومال لأكله ، ولمـا كان يائساً من حياته ابتـاع منه كميـة كبيرة واكل منه حتى شبع وفي الحـــال اطلقت بطنه وخرج منها خلط اسود متعفن ، وبقي هكذا مطلوق البطن يومه وليلتـه ، واخـذ الورم يخف تدريجا حتى برىء تماما . واتفق ان رآه الطبيب ابن برخش فعجب من برئه بهذه السرعة ، فاخذ يستفسر الحال منه ، ولما نقل له ان السبب في برئه كان من اكل الجراد المملح ، ازداد عجبه ولم يصدقه لمـا كان يعلم من ان الجراد قابض ولم تكن له تلك الخاصة ؛ ولكنه بعد التأكد بقي متفكراً في العلة والسبب ، واخيراً طلب بائع الجراد ، واستعلم منه محل صيده للجراد فدله على المكان ، ولمـــا تحقق من الزرع الذي كان قد اكله الجراد واذا به نبات (المازريون) فاخذ منه قليلا وامتحن خواصه فعرف انه مسهل عظيم الأثر ، ولكنه اصلح ضرره مرتين

في بطن الجراد ، وبطبخه مع الملح ، وهكذا اخذ يجربه ويداوي به المستسقين بعد اصلاحه بالطبخ ، فرأى منه النفع العظيم ، ثم اخذ يركب منه المعاجين والحبوب والادهان لذوي الاستسقاء وما شاكله من الامراض تسهيلا للعلاج والاستعمال)

وله كثير من امثال هذه النوادر الطبية التي تدل على شدة تعمقه وطول باعه في هذا الفن .

ادبه وشعره

اما ادبه فقد اغنانا عن الاطراء عليه ذكر المؤرخين والمترجمين له مع شهرته في البلاغة ، وجودة التعبير . ولكننا نذكر له قليلا من كثير ، اثباتا لمدعانا . فمن ذلك ان غلاما جميلا ناوله خلالا فقال فيه

وناولني من كفه مثل خصره ... ومثل محب ذاب من طول هجره

وقال خلالي قلت كل حميدة ... سوى قتل صب كان مضى بأسره

وله نوادر شعريه طبية كثيرة منها ، ان نجم الدين ابا الغنائم محمد بن علي الشاعر الواسطي سأله يوما وقد كان يتداوى عنده وكان قد منعه من الأكل بقوله

اصبحت فخراً الملا واغتدى ... قدرك فوق النجم مرفوعا

يا منقذي من حلقات الردى ... حاشاك ان تقتلني جوعا

فأجابه الطبيب ابن برخش على الوزن والقافية بقوله :

تبعت مرسومك يا ذا العلى ... لازال مرسومك متبوعا

لكن اشفاقي على من به ... أمسى غريب القول مسموعا

اوجب تاخير الغذا يومنا ... وفي غد نستدرك الجوعا

اصبر فما اقصرها مدة ... وان تلكأت فاسبوعا

فرد عليه ابو الغنائم بقوله :

ياعالما ابن ثوى رحله ... اجرى من العلم ينابيعا

أعندك الاعمار موصولة ... تضحى ويمسي الرزق مقطوعا

والله ان بت ولم يجدني شعري ياذا الفضل منفوعا
ليخلعن الجوع مني الحيا واوسعن العلم تقطيعا

فأجابه ابن برخش أن كل ولا تخلع الحيا او تقطع العلم فالأكل اهون، ومن نظمه وقد كتبه فى صدر كتاب كان يكتبه صديق له الى احدهم وقد كان الكتاب مصدراً بكلمة العالم .

لما انمحت سنن المكارم والعلى وغدا الأنام بوجه جهل قاتم
ورضوا بأسماء ولا معنى لها مثل الصديق تكاتبوا بالعالم

وله ايضاً فى انسان سوء حج من بعض قرى واسط قوله :

لما حججت استبشرت واسط وقوليا ثا وفتى مرشد (١)
وانتقل الويل الى مكة وركنها والحجر الأسود

وله شعر كثير . ولم يذكر اكثر المؤرخين عام وفاته غير أني رأيت فى بعض المخطوطات القديمة انه توفي سنة ٥٦٧ هـ وهو قول يحتمل الصحة والخطأ وعلى كل فقد اعتبرنا هذا القول أقرب الى الصحة والله أعلم .

٣٥ — احمد بن مسعود القرطبي ...ـ٦٠١ هـ

أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي ابو العباس الخزرجي كما فى البداية والنهاية لابن كثير فى حوادث عام ٦٠١ هـ كان إماماً فى التفسير ، والفقه ، والحساب ، والنحو ، واللغة ، والعروض ، وعلم الطب . وله تصانيف حسان وشعر راق رائق منه قوله :

وفي الوجنات ما في الروض لكن لرونق زهرها معنى عجيب
واعجب ما تعجب منه أني ارى البستان يحمله قضيب

وله شعر كثير وقد توفي عام ٦٠١ هـ كما ذكره عقد الجمان للعيني .

(١) هما اسما قريتين قرب واسط

٣٦ – احمد بن محمد المتيم * ...

احمد بن محمد الافريقي المكنى بابي الحسن والمعروف بالمتيم . احد الأدباء الفضلاء الشعراء قال الثعالبي : « رأيته – اي المتيم – ببخارى شيخاً رث الهيئة ، تلوح عليه سيماء الحرفة وكان يتطبب وينجم . اما صناعته التى يعتمد عليها فالشعر ومما انشدني لنفسه قوله

وفتيـــة ادباء ما علمتهم ... شبهتهم بنجوم الليل اذ نجموا
فروا الى الراح من خطب يلم بهم ... فما درت نوب الأيام اين هم »

وقال في تركي

قلبي اسير في هوى (١) مقلة ... تركية ضاق لها صدري
كأنها من ضيقها عروة ... ليس لها زر سوى السحر

وذكر له ايضا عن الثعالبي

تلوم على ترك (٢) الصلاة حليلتي ... فقلت اعزبي عن ناظري انت طالق
فو الله لا صليت لله مفلســـاً ... يصلي له الشيخ الجليل وفائق (٣)
لمــــاذا اصلي اين مالي ومنزلي ... واين خيولي والحلى والمناطق ؟
اصلي ولا فتر من الارض يحتوي ... عليه يميني انني لمنافق
بلى ان علي الله وسع لم ازل ... اصلي له ما لاح في الجو بارق

وترجم له في كتاب « فوات الوفيات » للصفدي ج ١ ص ٩٢ فقال :

ومن شعره بيت لم يذكره الحموي يقع قبل البيت الاخير وهو قول

ولا عجب ان كان نوح مصلياً ... لأن له قسراً تدين الخلائق »

(*) معجم الادباء ج ٤ ص ٢٤٤ (١) يدى خ ل (٢) تركي خ ل

(٣) الظاهر أن فائق اسم رجل والا لا يعطف النكرة على المعرفة

٣٧ ـ احمد بن محمد ابن مسكويه (٤٢١)

احمد بن محمد (١) بن مسكويه (٢) ابو علي الخازن الطبيب اللغوي المؤرخ (٣) صاحب تجارب الامم الرازي الاصل ، الاصفهاني المسكن والخاتمة (٤) كان اثيراً عند السلطان عضد الدولة ، وصاحب خزائنه وتوفي عن سن عالية في عام ١٠٣٠ م ، وعن يحيي بن منده في تاسع صفر سنة ٤٢١ هـ . قال صاحب تاريخ الفلسفة : « وقد خلف ابن مسكويه فيما خلف مذهباً فلسفياً في الاخلاق لا يزال له شأن في الشرق الى يومنا هذا ، وهو مزيج من آراء افلاطون ، وارسطو ، وجالينوس ، ومن احكام الشريعة الاسلامية ، غير ان نزعة ارسطو كانت غالبة عليه » وذكره صاحب روضات الجنات فقال : « كان من اعيان العلماء واركان الحكماء ، صاحب المراتب الجليلة والدرجات الرفيعة والاخلاق الحميدة ، والأقوال السديدة » وفي الهامش عن الوافي : « انه معدود من فلاسفة الاسلام » وفي الامتاع لابن حيان « واما مسكويه ففقير بين اغنياء وغني بين فقراء لأنه شاذ »

وذكره الحموي بعد كلام طويل . فقال « ولكنه كان مشغولا بطلب الكيمياء مع ابي الطيب الكيماوي الرازي » وفي دائرة المعارف الاسلامية ﴿ انه يظهر ان ابن مسكويه انصرف بادئ الأمر الى الفلسفة والطب والكيمياء ﴾

قال الاستاذ محمد عبد الهادي ابو ريده في هامش كتاب تاريخ الفلسفة « اتجه ابن مسكويه لدراسة الاخلاق ووضع اصولها وغرضه عملي وهو تحصيل خلق تصدر به الافعال كلها جميلة سهلة لا كلفة فيها ومما تحسن ملاحظته ان مسكويه اعتمد في وضع مذهبه على تجاربه الخاصة الى حد كبير ، فهو يحكي عمن رأى وعرف ثم يستنبط

---

(١) كما في معجم الادباء وفي الكنى والالقاب للقمي احمد بن محمد بن يعقوب (٢) وفي دائرة المعارف مشكويه بالشين المنقطة (٣) تاريخ الفلسفة في الاسلام (٤) دائرة المعارف

من ذلك بل ان مذهبه صورة لنفسه وعبر لباعث شعر به ذلك انه اسرف على نفسه في زمن الصبا وسار مع لذاته ولم يفطم نفسه الاعلى كبر ، وبعد استحكام العادة ، فاحب ان ينصح لغيره بما فاته وان يدله على طريق النجاة قبل ان يتيه في مفاوز الضلالة وقد صحب الوزير ابا محمد المهلبي في ايام شبابه وكان خصيصاً به حتى اتصل بخدمة الملك عضد الدولة وصار من كبار ندمائه ورسله الى نظرائه ثم اختص بالوزير ابن العميد وابنه ابي الفتح في خدمة الملك صمصام الدولة

قال ابو حيان في كتاب الوزيرين « وقد اتخذه ابن العميد خازناً لمكتبته فاشتهر بالخازن » وقال البيهقي في تتمة صوان الحكمة « وقد رأيت في بعض الكتب ان ابا علي ابن سينا وكان معاصراً له دخل على الحكيم ابن مسكويه صاحب تجارب الامم وتلامذته حوله فرمى اليه جوزة وقال له بين لي مساحة هذه الجوزة بالشعيرات فرمى ابن مسكويه اليه بأجزاء في الأخلاق وقال له اما انت فاصلح اخلاقك اولا حتى استخرج لك مساحتها فانك احوج الى اصلاح اخلاقك مني الى معرفة مساحة الجوزة : »

مؤلفاته

صنف ابن مسكويه في كثير من علوم الأوائل وله تعليقات في المنطق ومقالات جليلة في اقسام الحكمة والرياضي وكتاب مختار في الاشعار ومجموعة انس الخواطر والطهارة في تهذيب الاخلاق وقد نسج على منوال هذا الاخير العلامة المرحوم الخواجة نصير الدين الطوسي في كتابه الاخلاق الناصرية . كما ينص على ذلك في ديباجته ويصف (كتاب الطهارة) بمقطوعة منها قوله

بنفسي كتاباً حاز كل فضيلة ... وصار لتكميل البرية ضامنا
مؤلفه قد ابرز الحق خالصاً ... بتأليفه من بعد ما كان كامنا
ووسمه باسم الطهارة قاضيا ... به حق معناه ولم يك مائنا
لقد بذل المجهود لله دره ... فما كان في نصح الخلائق خائنا

وله ايضا من المؤلفات الفارسية الشيء الكثير منها كتاب (نزهه نامه علائي) كتبه باسم علاء الدولة الديلمي و كتاب (جاويد خرد) ومعناه العقل الخالد، و كتاب آداب العرب والعجم

ومن اشهر كتبه باللغة العربية كتاب تجارب الامم في نوادر الاخبار والتواريخ من ابتداء الطوفان الى سنة ٣٦٩ ﻫ . وله كتب فى الطب وغيره . وله كتاب السعادة و كتاب الفوز الاكبر ، والفوز الاصغر ، و كتاب الانس الفريد وهو مجموع يتضمن اخباراً واشعاراً وامثالا غير مبوب و كتاب المستوفي ، وهو اشعار مختارة و كتاب الجامع وحقائق النفوس وغيرها

ادبه وشعره

لقد كان هذا الحكيم الجليل والطبيب الفاضل مع علمه وفضله ظريف الطبع رقيقه ينظم الشعر الجيد ويجيد سبكه ويغور فى معانيه

قال ابو منصور الثعالبي « كان في الذروة العليا من الفضل والادب والبلاغة والشعر و كان فى ريعان شبابه متصلا بابن العميد مختصاً به وفيه اي في ابن العميد يقول عند انتقاله الى بيت جديد

لا يعجبنك حسن القصر تنزله — فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في ابراجها مئة — مازاد ذلك شيئا في فضائلها »

وقال في نزاع قام بينه وبين فريق من الفضلاء من قصيدة

من عذيري من حادثات الزمان — وجفاء الاخوان والخلان

وله من قصيدة هنأ بها عميد الملك في عيد الاضحى وقد اتفق مع المهرجان في يوم واحد تفنن فيها وشكى سوء أثر الهرم وبلوغه الى ارذل العمر قال

قل للعميد عميد الملك والادب — اسعد بعيديك عيد الفرس والعرب
هذا بشير بشرب ابن الغمام ضحى — وذا بشير عشيا بابنة العنب
خلائق خيرت في كل صالحة — فلو دعاها لغير الخير لم تجب

اعدت شرخ شباب لست اذكره ... بعداً ورد علي العمر عن كثب
فطاب لي هرمي والموت يلحظني ... لحظ المريب ولولا انت لم يطب
فان تمرس لي خصم تعصب لي ... وان أساء الي الدهر احسن بي

ومنها قوله

وقد بلغت الى اقصى مدى عمري ... وكل غربي واستأنست بالغرب (١)
اذا تملأت من غيظ على زمني ... وجدتني نافخاً في جذوة اللهب

الى ان يقول

وان تمنيت عيش الدهر اجمعه ... وان تعاين ماولى من الحقب
فانظر الى سير القوم الذين مضوا ... والحظ كتابتهم من باطن الكتب
تجد تفاوتهم في الفضل مختلفاً ... وان تفاوتت الاحوال في النسب
هذا كتاج على رأس تعظمه ... وذاك كالشعر الحافي على الذنب

وله في جواب رسالة من البديع الهمذاني كان قد ارسلها له معتذراً من شيء بلغه عنه،منها :

واذا الواشي أتى يسعى لها ... نفع الواشي بما جاء يضر

وفيها يقول :

يابارعا في الادب المجتنى ... منه ضروب الثمر الطيب
لو قلت ان البحر مستغرق ... في بحرك الفياض لم اكذب
اذا تبوأت محلا لما ... نزلت الا منزل الكوكب
احمدتني الشعر وأعتبتني (٢) ... فيه ولم اذمم ولم اعتب
والعذر يمحو ذنب فعاله ... فكيف يمحوه ولم يذنب
انا الذي آتيك مستغفراً ... من زلة لم تك من مذهبي

---

(١) لعل المقصود من الغرب العصا من الغرب، وهي التي يتوكأ عليها
(٢) عذرتني وقبلت عتابي

وانت لا تمنع مستوهبـــاً … مـالا فهب ذنباً لمستوهب

٣٨ - احمد بن يوسف بن ابي البركات * ٦٦١ هـ - ٧٣٨

أحمد بن يوسف بن هلال ابن ابي البركات شهاب الدين الطبيب الصفدي الصنعاني الحلبي ولد في شغراء من أعمال حلب سنة ٦٦١ ثم انتقل الى صفد وبها سمي الصفدي ثم انتقل الى مصر وخدم في جملة اطباء السلطان في المارستان المنصوري

قرأ المقدمات ثم تعانى الطب فمهر فيه وكتب الخط الحسن فكان لحسن خطه يصنع الاوضاع العجيبه من النقش والتزميك (١)

قال القطب: كان طبيباً بالمارستان وكان مولعاً باوضاع مستحسنة في اوراق مذهبة من صنعته وقال صاحب معجم الأطباء: وكانت له قدرة على وضع المشجرات فيما ينظمه ويبرز امداح الناس في اشكال اطيار وعمائر وأشجار وعقد وأخياط ومآذن وغير ذلك.

توفي سنة ٧٣٧ هـ على ما يظن ولكن القطب ذكر انه توفي سنة ٧٣٨ واكده

ادبه وشعره:

كان ابن ابي البركات بديع النظم حسن الاسلوب رقيق الطبع دقيق العاطفة وكانت المعاني طوع يمينه والالفاظ قيد ارادته وهو القائل فيما يكتب على سيف وقد أجاد بقوله على لسان السيف:

أنا ابيض كم جئت يوماً اسوداً … فاعدته بالنصر يوماً ابيضا
ذكراً اذا ما انسل يوم كريهة … جعل الذكور من الاعادي حيضا
اختال ما بين المنيـة والمـنى … وأجول في وسط القضايا والقضا

وله في وصف شيء كتب وذهب

(*) الدرر الكامنه لابن حجر العسقلاني

(٢) التزميك كالتزيين معنى ووزنا وهي لفظة عامية مولدة

ومزمك باللازورد كتابة ذهباً فقلت وقد اتت بوفاق
وأخذت اجزاء السماء حللتها ام قداذبت الشمس في الاوراق
وكتبت بالوجنات حمرتها كما مخضرها بمرائر العشاق
ورقمتها ببياضها وسوادها انى اطاعك رونق الاحداق

وله ايضا في تقريض كتاب ومدح صاحبه قوله

معانيك والالفاظ قد سحرا الورى لكل من الألباب قد اعطيا حظا
فهبك سكبت التبر معنى وصنعة فكيف اذبت الدر صيرته لفظا

وله قوله :

حججت وقد وافيت اول قادم بأول شهر حل اول عامه
وكان خليل القلب في نار شوقه وكنت المنى في برده وسلامه

وقال :

وما زلت انت المشتهى متولعاً بكثرة ترداد الى الروضة الصغرى
الى ان بلغت القصد في كل مشتهى من المصطفى المختار في الروضة الكبرى

٣٩ — احمد بن يوسف ابن الداية * ٠٠٠ — ٣٤٠ هـ

احمد بن ابي يعقوب يوسف بن ابراهيم ويعرف بابن الداية ، لأن اباه كان ابن داية ابن المهدي العباسي ويكنى ابا جعفر ، كان من فضلاء اهل مصر ومعروفيهم وممن له علوم كثيرة في الادب والطب والنجامة والحساب وغير ذلك

ذكره ابن زولاق الحسن بن ابراهيم فقال « كان ابو جعفر رحمه الله في غاية الافتنان ، واحد وجوه الكتاب الفصحاء والحساب والمنجمين مجسطي اقليدسي ، حسن المجالسة حسن الشعر قد خرج من شعره اجزاء »

وقد مات في نيف وثلثمائه وثلاثين واظنها سنة ٣٤٠ هـ . وله مؤلفات كثيرة

« * » معجم الادباء

منها كتاب سيرة احمد بن طولون وسيرة ابنه ابي الجيش خمارويه وسيرة هارون بن ابي الجيش واخبار غلمان بني طولون وكتاب المكافاة وكتاب حسن العقبى واخبار الاطباء ومختصر المنطق ألفه للوزير علي بن عيسى وكتاب اخبار المنجمين واخبار ابراهيم بن المهدي وكتاب البطيخ

ادبه وشعره

كان ابن الداية حسن المجالسة حسن الشعر خرج من شعره اجزاء كما ذكرنا ومن نظمه قوله وقد دخل على ابي الحسن علي بن المظفر الكرخي عامل خراج مصر مسلماً عليه فقال له ابو الحسن كيف حالك يا ابا جعفر فارتجل

يكفيك من سوء حالي ان سألت به ... انى الى ثوب طمر في الكوانين

٤٠ — احمد بن يونس القسنطيني * ٨١٣ – ٨٧٨

احمد بن (١) يونس بن سعيد القسطيني عرف بابيه ، تفقه بمحمد بن عيسى الزيلدوي وابي القاسم البرزالي وابن غلام الله القسنطيني ، وقاسم الهرميزي وكان اكثر اخذه عن الاول اذ درس عليه الحديث والعربية والاصلين والبيان والمنطق والطب واخذ شرح البردة وغيرها عن مؤلفها ابي عبد الله ابن مرزوق الحفيد ، لما قدم عليه واخذ عن البساطي شيئاً من العقليات .

وله من المؤلفات رسالة في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلوات وغيرها ، وله اجوبة عن اسئلة وردت من صنعاء وله قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وآله مطلعها

يا اعظم الخلق عند الله منزلة ... ومن عليه الثنا في ساير الكتب

« * » نسبة الى قسنطينية . مدينة وقلعة في حدود افريقية مما يلي المغرب ، واليها ينسب علي بن ابي القاسم محمد التميمي ابو الحسن المغربي القسنطيني المتكلم الاشعري كما في معجم البلدان « ١ » عن معجم الاطباء عن نيل الابتهاج

ولد سنة ٨١٣ هـ وتوفي سنة ٨٧٨ هـ عن ٦٥ عاما

٤١ — اسحق بن حنين العبادي * (٢٩٨)

ابو يعقوب اسحق بن ابي زيد حنين بن اسحق العبادي الطبيب الحكيم المترجم الشهير، وهو عربي الاصل (خلاف من ادعى انه غير عربي) لأن (عباد)(١) بطن من بطون العرب وهم نصارى الحيرة. كان اوحد عصره في علم الطب، وكان يلحق بابيه في النقل والترجمة ومعرفة اللغات وفصاحته فيها

نقل الحكمة والطب عن اليونانية الى العربية كان يفعل ابوه حنين الا ان الموجود له من الكتب الطبية المترجمة اكثر من كتبه الحكمية وقد شارك اباه في حياته بخدمة الخلفاء والرؤساء حتى انقطع الى القاسم بن عبيد الله وزير الخليفة المعتضد بالله واختص به ونال من قلبه منزلة سامية حتى ان الوزير المذكور كان يطلعه على اسراره ويبدي له ما كان يكتمه عن غيره ولحق به الفالج في اواخر عمره ومات ببغداد سنة ٢٩٨ في شهر ربيع الثاني (٢) ايام المعتضد بالله

قال قطب الدين اللاهيجي في كتابه محبوب القلوب «كان اسحاق بن حنين ممن اسلم وحسن اسلامه في اواخر ايامه» وقال البيهقي في تتمة صوان الحكمة «انه كان من جملة المسلمين وقد حسن اسلامه»

وفي كتاب تاريخ الطب في العراق «ان لحنين ولد اسمه اسحاق اشتهر وتميز في صناعة الطب وله تصانيف كثيرة نقل من الكتب اليونانية الى العربية كتبا عدة الا ان جل عنايته كانت مصروفة الى نقل الكتب الحكمية مثل كتب ارسطاطاليس وغيره من الحكماء، اما حنين ابوه فكان منهمكا في نقل الكتب الطبية خصوصا كتب جالينوس التي اختص بها حتى انه في الغالب كان لا يوجد كتاب

«*» عن وفيات الاعيان وغيره «١» بكسر العين وتخفيف الباء الموحدة
«٢» وعن القفطي في ربيع الاول

من كتب جالينوس المعربة إلا وهي نقل حنين او باصلاحه » وكان حنين هذا احد زعيمي الترجمة بين القرنين التاسع والثاني عشر اما الزعيم الثانى فهو يوحنا بن ماسويه

مؤلفاته

ان لهذا الحكيم الطبيب من المؤلفات ما لا تعد وكلها كانت اسساً للطب العربي نذكر بعضها وهي

كناش الخف واصلاح الادوية المفردة واختصار اقليدس و كتاب المقولات وايساغوجي والنبض ومقالة في الصحة وكتاب صنعة العلاج بالحديد وآداب الفلاسفة ونوادرهم و كتاب التوحيد ونوادر الاطباء

اقواله الحكمية

نقل عنه البيهقي في تتمة صوان الحكمة اقوالا حكمية كثيرة منها قوله « قليل الراح صديق الروح و كثيرها عدو الجسم »

ان من تصدى لحفظ مصالح الناس ذكرته الألسن بالمدح والذم ، فاجتهد ان تكون ممدوحا في ذاتك لا بحسب اغراض الناس »

وقال للمكتفي بالله وقد قرب اجله « يا امير لقد قرب منك ما كنت تبعده عن نفسك فلا تلتفت الى ما بعد عنك ولا يعود اليك واشتغل بما قرب منك ولا يفارقك »

وقال ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء « ولاسحق هذا نوادر وحكايات كثيرة قال هو عن نفسه

شكى الي رجل علة في احشائه فاعطيته معجونا وقلت له تناوله سحراً وعرفني خبرك بالعشي فجاء ني غلامه برقعة من عنده فقرأتها واذا فيها يا سيدي تناولت الدواء فاختلفت لا عدمتك عشرة مجالس ، احمر مثل الريق في اللزوجة واخضر مثل السلق في البقلية ووجدت بعده مغساً (١) في رأسي وهوساً في سرتي فرأيك في

« ١ » لغة في مغص ومغس الراس اختلط من بياض وسواد وهنا كناية عن ألم خفيف

انكار ذلك على الطبيعة بما تراه ان شاء الله ، قال فتعجبت منه وقلت ليس للاحمق جواب الا بما يليق به و كتبت اليه

فهمت نعتك وانا اتقدم الى الطبيعة بما تحب وانفذ اليك الجواب اذا التقينا والسلام »

ادبه وشعره

كان لاسحق هذا طبع رقيق ، وروح شفافة . غير انه مقل فى النظم لانصرافه الى الترجمة والتأليف ، ولاعراضه عن ناحية الادب والنظم الغريزي ، اللهم إلا حين ما يهيجها حادث ، أومناسبة ، كما نقل الطبيب ابن بطلان في رسالته (دعوة الاطباء) ان الوزير القاسم بن عبيد وزير المعتقد بالله بلغه يوماً ان الطبيب اسحق بن حنين قد استعمل مسهلا وحبس من اجله في داره ، فكتب له مداعباً هذين البيتين .

أبن لي كيف امسيت ... وما كان من الحال
وكم سارت بك النا ... قة نحو المنزل الخالي

فاجابه اسحق على الفور بقوله :

بخير بت مسروراً ... رخي البال والحال
فاما السير والناقة ... والمرتبع الخالي
فاجلا لك انسانيه ... يا غاية آمالي

وقيل بل كتب فى جوابه (١)

كتبت اليك والنعلان ما إن ... أقلهما من المشي العنيف
فان رمت الجواب الي فاكتب ... على العنوان يوصل في الكنيف

٤٢ – اسحق بن محمد النصري الطبيب ... ـ ٣٦٠ هـ

إسحاق بن محمد بن إسحق بن إبراهيم بن مطرف النصري من أهل استجه (٢)

(١) ذكر ذلك ابن خلكان فى وفياته عن كتاب « الكنايات »
(٢) بلدة فى الاندلس

ويكنى أبا بكر .

سمع من أبيه ومن محمد بن عبد الملك بن ايمن ، وقاسم بن اصبغ وكان حافظاً للخبر متصرفاً فى علم اللغة والنحو والشعر والطب وكان شاعراً مطبوعاً ومترسلا بليغاً مع مشاركته فى حفظ الرأي لم يكن فى استجة آدب منه ومن ابن عمه ابي القاسم توفي في استجة في شعبان سنه ٣٦٠ هـ

٤٣ ـ اسماعيل الجحاف الطبيب ١٠٢٤ ـ ١٠٩٧ هـ

اسماعيل بن ابراهيم بن يحيي بن المهدي بن احمد الجحاف (١) السيد الكبير الحبوري الحسني .

ولد سنة ١٠٢٤ هـ اخذ عن والده وعن الحسين بن علي الجحاف وعن السيد عبد الرحمن بن حسين الجحاف وغيرهم وكان محققاً في الفروع والاصول ، والعربية وعلم الطب بفروعه مع أدب وحافظة .

وله شعر ونظم بديع مما يدل على رقة طبعه وشفافية روحه ومن ذلك ما يحث به المتوكل على احياء مدارس العلم من قصيدة له :

اصبح الدهر طيب الأوقات   كامل الحسن وافر الحسنات
يا إمام الزمان قد أسعد الله اناساً رأوك قبل الممات
شاهدوا فيك من صفات علي   جملة اخبرت عن الباقيات
حجة الله لا برحت بخير   فى رياض انيقة مغدقات
أصبحت عبرة لكل نسيب   عرصات من أهلها مقفرات
فتميل القلوب تشكو اليها   هجرها دائماً بكل الجهات
ليس خلق سواك يحنو عليها   يا إماماً فوات قبل الفوات
وانتعش اهلها وشيد بناها   واعدها فى احسن الحالات

---

(١) من آل القاسم الرسي الحسنى

وتوفي في حبورى سنة ١٠٩٧ هـ

٤٤ ـ اسماعيل بن صالح الخماطي * ١١٧٢ ـ ١٢٣٢

اسماعيل بن صالح الخماطي العلامة الاديب الشاعر والأريب الطبيب الماهر الانسي المولد، والصنعاني المسكن والوفاة والمدفن.

ولد سنة ١١٧٢ هـ ورحل عن مسقط رأسه الى مدينة ذمار سنة ١٢٢٠ هـ فتجرم من سكناها وسئم البقاء بها وبعد ايام غادرها الى صنعاء اليمن واتخذها وطناً له حتى مات وكان أديباً اريباً عالماً متفنناً وطبيباً حاذقاً ذا قريحة مساعدة وفطنة منقادة.

قال الشبجي في التقصاد: قرأت على المترجم له اعني اسماعيل الخماطي تعليقة السيد على كافية ابن الحاجب وكنت اذا حضرت مجلس مفاكهته اكثرت العجب عن تطلعه في الادب وحسن محاضرته وغزارة مادته وسرعة نادرته وسعة حفظه وكثرة روايته للاشعار والنوادر والاخبار، وأما علم الطب فكان من الحذاق فيه والمطلعين على سر خوافيه وله فيه معاجز ومبهرات يرويها الخاص والعام وقد توفي في صنعاء سنة ١٢٣٢ ودفن بها.

ادبه وشعره:

أما أدبه فهو أشهر من أن يطرى عليه إذ لا يختلف اثنان في اتقاد قريحته ورقة طبعه وسرعة بديهته ومن ذلك ما نقله الشبجي اذقال: وحضر الخماطي بموقف بعض الوزراء ليلا وقد اسرجت الشموع بين يديه في مغرز مصطف الانابيب وكان ذلك في مفرج في بئر العزب ودونه بستان فيه الاشجار مدوحة قد تدلت اغصانها الى سطح المفرج والريح تميل بها يميناً وشمالا · فقال الوزير صاحب المفرج للمترجم له صف لنا مجلسنا هذا فقال مرتجلا

كف اصابعه اللاجين تقمعت ... منه الرؤوس بخالص العقيان

(*) نيل الوطر

كعرائس تجلى لملك دونـــه ‏ ‏ ‏ ‏ هزت عليه غوالي المران

فاسنى الوزير جائزته وخلع عليه .

ومنها انه تجرم (١) من اقامته بمدينة « ذمار » وتذمر من سكناها فهجرها ثم قال فيها قصيدة ذكر مالا ينبغي له ان يذكره من التعرضات وهي :

اذا سقت السحاب الجون أرضاً ‏ ‏ ‏ ‏ على ظمأ فلا سقيت ذمار

ولا برحت يعاهدها عهاد (٢) ‏ ‏ ‏ ‏ جهام (٣) صـــوبها ضر ونار

وتضحى واخضرار العيش فيهـا ‏ ‏ ‏ ‏ لفرط الخوف والوجل اصفرار

بلاد لا يعز بهـا نزيـــل ‏ ‏ ‏ ‏ له أهـــل بساحتها ودار

ودار أهلهـا نـــاس صغـار ‏ ‏ ‏ ‏ وان كانت لهم جثث كبار

رعاع طوع ذي نهي وأمر ‏ ‏ ‏ ‏ شعـارهم المــذلة والصغـار

وان نزل الجليل القدرفيهم ‏ ‏ ‏ ‏ فغايتـــه اهتضـام واحتقـار

مـودتهم له تزداد نقصـاً ‏ ‏ ‏ ‏ كضوء البدر يدركه السرار

ولو صيغ الوفاء بهـا سواراً ‏ ‏ ‏ ‏ على عضد لبـاينه السوار

فدع « لا يخضعون » فذاك زور ‏ ‏ ‏ ‏ إذا صح انتقـاد واختبـار

الى أن يقول في الختـام

أجل صفاتهـا ان لا ذمام ‏ ‏ ‏ ‏ بهـا يرعى ولا يحمى ذمـار

وقد أجاب عليهـا جماعة من اهل ذمار ولـكن احسن الاجوبة ابداعاً وابعدها فحشاً هو جواب السيد العلامة محمدبن علي بن احمد بن اسماعيل بن علي بن عبدالله بن الامام القـاسم وهو قوله :

نظام يسحر الالبـاب وافى ‏ ‏ ‏ ‏ كزهر الروض باكره (٤) انهمار

يريك حماسة الآساد عتبـــاً ‏ ‏ ‏ ‏ يمـازجـــه عبوس واقترار

---

(١) ضجر وتذمر (٢) العهاد جمع عهد وهو المطر يكون بعدالمطر

(٣) مظلم متراكم (٤) باكره اي نزل عليه بكرة

فمبتسم الى خل وفي | وعن اهل الجفاء له ازورار
براعـة نظمه في ذم ارض | بها للضيف لم يطب اقرار
اذا سقت السحاب الجون ارضاً | على ظمإ فلا سقيت ذمار
ولكن الضياء اتى اليها | على هرم وقد خلت الديار
وكانت كالعروس لمجتليها | وحليتها المحامد والفخار
محط ركائب الاعلام فيها | وفي الاقطار صارلها اشتهار
فهاهم طي احداث تفانوا | وذكرهم الجميل له انتشار
فكيف تقول يا خدن المعالي | لجانبك اهتضام واحتقار ؟
وقد حليت عاطلها واضحى | اليك بكل مكرمة يشار
لأنك فرع أصل يوسفي | مناقبه هي العلم المنار
قتيل الترك في غمدان صنعا | شهيد في الجنان له جوار
عليك تحية وعليه منا | سلام كلما طلع النهار

وله شعر جميل كثير منتشر في كتب التواريخ والتراجم لو جمع لكان ديوانا كبيرا

٤٥ - اسماعيل بن على الملك المؤيد صاحب حماة *

٦٧٢ - ٧٣٢

اسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب بن شادي الأيوبي أمير حماة وصاحبها .

ولد سنة ٦٧٢ هـ ومات سنة ٧٣٢ كان اميراً بدمشق ، وخدم الملك الناصر لما كان في الكرك وبالغ في ذلك فوعده بحماة ووفى له بذلك واعطاه حماة وجعله فيها سلطاناً يفعل فيها ما يشاء من اقطاع وغيرها وكان معززاً محترماً لدى السلطان وعظماء الدولة حتى لقب بالملك الصالح ثم بعد قليل لقب بالملك المؤيد .

(*) عن البدر الطالع للشوكاني وعن غيره

وكانت فيه مكارم وفضيلة تامة ، من فقه وطب ، وحكمة ، وغير ذلك ، واجود ما كان يعرفه ، علم الهيئة ، لانه اتقنه وان كان قد شارك فى ساير العلوم مشاركة جيدة ، وكان محباً لاهل العلم ، مقربا لهم ، ولما مات رثاه الشيخ جمال الدين بن نباتة بقصيدة ، منها

ما للندى لا يلبى صوت ناعيه   اظن ان ابن شادى قام ناعيه
ما للرجاء قد استدت مذاهبه   ما للزمان قد اسودت نواحيه
نعي المؤيد ناعيه فوا اسفى   للغيث كيف غدت عنا غواديه
كان المديح له غرس بدولته   فاحسن الله للشعر العزا فيه
يا آل ايوب صبراً ان ارثكم   من اسم ايوب صبر كان ينجيه
هي المنايا على الأقوام دائرة   كل سياتية منها دور ساقيه

وقبل موته فرق كتبه على اصحابه ووقف جملة منها ، ومن الغريب انه كان يقول : (ما اظن اني استكمل من العمر ستين سنة فما من اهلي (يعنى بيت تقي الدين) من استكملها وفي اوائل الستين نظم الموشحة التي سنذكر مطلعها ومات في اواخرها

مؤلفاته

ان لهذا الملك المؤيد والعالم الكامل الفاضل والطبيب الشاعر مؤلفات كثيرة منها نظم الحاوي في الفقه وتاريخ كبير والكناش في الطب في مجلدات وتقويم البلدان وكتاب في الموازين الى غير ذلك .

ادبه وشعره

اما ادبه فهو ملك الادباء واديب الملوك واما شعره فهاك بعضه لترى ماله من طول باع ورقة طبع في النظم البديع الجيد من ذلك قوله :

اقرأ على طيب الحياة   سلام صب مات حزنا
واعلم (١) بذاك احبة   بخل الزمان بهم وضنا

---
(١) كذا

لو كان يشري قربهم ... بالمال والارواح جدنا
متجرع كاس الفراق ... يبيت للاشجان رهنا
صب قضى وجداً ولم ... يقضى (١) له ما قد تمنى

وله في الغزل قوله

كم من دم حلات وما ندمت ... تفعل ما تشتهى فلا عدمت
لو امكن الشمس عند رؤيتها ... لثم مواطى اقدامها لثمت

وله ايضاً قوله

سرى نشر الصبا فعجبت منه ... من الهجران كيف صبا إليا
وكيف المربي من غير وعد ... وفارقني ولم يعطف عليا

وله هذه الموشحة التي عارض بها موشحة ابن سناء الملك التي مطلعها :

عسى ويا قلما تفيد عسى ... ارى لنفسي من الهوى نفسا
مذ بان عني من قد كلفت به ... قلبي قد لج في تقلبه
وبي اذن شوقي عاتي ... ومدمعي يوم شاتي

فقال المؤيد في مباراتها

اوقعني العمر في لعل وهل ... ما حال من عمره مضى بلعل
والشيب وافى وعنده نزلا ... وفر منه الشباب وارتحلا
ما اوقح الشيب الآتي ... اذ حل لا عن مرضاتي
الشوق اضعفني ولازمني ... وخانني نقص قوة البدن
لكن هوى القلب ليس ينتقص ... وفيه مع ذا من جرحه غصص
يهوى جميع اللذات ... كما له من عادات
يا عاذلي لا تطل ملامك لي ... فان سمعي نأى عن العذل
وليس يجري الملام والفند ... فيمن صبابات عشقه جدد

(١) كذا

دعني انا في صبواتي ... انت البرىء من الآتي
كم سرني الدهر غير مقتصر ... بالكأس والغانيات والوتر
يمرح في طيب عيشنا الرغد ... طرفي وروحي وسائر الجسد
وكم صفت لي خطراتي ... وساعـدتني اوقاتي

وله غير هذا من الموشحات والشعر الجيد الشيء الكثير ، اكتفينا بما ذكرنا .

٤٦ ـ اسماعيل العطار ٥٥١ ـ ٦٠٦ هـ

اسماعيل بن نعمة بن يوسف بن شبيب الرومي المصري العطار المتطبب البارع الأديب ابو طاهر ابن ابي حفص .

ولد سنة ٥٥١ هـ وكان بارعا في الأدب ، وله مصنفات ادبية ، منها مائة جارية ومائة غلام ، وغير ذلك . وله براعة ومعرفة كاملة في العقاقير ، وقد توفي في ٢٠ محرم سنة ٦٠٦ ، ودفن الى جنب ابيه بسفح المقطم ، وكان ابوه رجلا صالحاً ، واخوه مكي ، هو الذي جمع سيرة الحافظ عبد الغني .

ولم نجد له شعراً مع شهرته في النظم .

٤٧ ـ الياس الزهار الطبيب الصيداوي * ١٣٣٧ هـ

الياس الزهار الصيداوي اللبناني . تلقى الطب في الجامعة الامريكية في بيروت على اساتذتها الشهيرين ، من جملتهم ، الاستاذ الكبير (فانديك) الامريكي . المستشرق والجراح المعروف ، الدكتور (بوست الامريكي) حتى انهى دروسه فيها ، ونال شهادته منها ، متخصصاً بالجراحة على انه كان طبيباً نطاسياً بارعا في الامراض الداخلية ، كما انه لم يبخس الطب القديم اليوناني حقه حيث كان ياخذ

(*) تفضل بهذه الترجمة العلامة الفاضل الشيخ سليمان الظاهر العاملي ايده الله تعالى فلخصناها

منه ومن طبابة العرب الذين جربوا كلما ينتفع به المرضى ويداوى به الاسقام المعضلة .

نشأ في مدينة صيدا وتوفي بها في اوائل الاحتلال الفرنسي بعدما القت الحرب العامة اوزارها سنة ١٩١٨ م الموافق لسنة ١٣٣٧ ﻫ .

وقد كان ذكياً ، خفيف الروح حاضر الجواب ، حسن العشرة ، كريم الخلق وفياً ابياً اديباً اريباً ينظم الشعر الجيد غير انه كان ناثراً اجود منه شاعراً وكان مع مهامه الطبية وتزاحم ذوي الامراض في عيادته التي كادت ان تكون اول عيادة في صيدا ، يصرف وقتاً ثميناً في الكتابة لارسالها الى الصحف والمجلات الطبية السيارة في بيروت والقطر المصري ، وكانت له صلة وثيقة بجمهرة الكتاب والادباء في عصره ، وقد كان صديقاً حميماً للعلامة الشيخ سليمان الظاهر العاملي ، والاستاذ اللغوي الكبير الشيخ احمد رضا ، والفاضل الاديب محمد جابر ، وقد جرت بينه وبين هؤلاء مراسلات كثيرة .

منها ما ارسله اليهم يلتمسهم نقد قصيدته التي مدح بها (شوكة باشا) بعد فتحه القسطنطينية ، والقضاء على الرجعية ، بعد اعلان الدستور العثماني فصدر الكتاب بهذه الابيات .

يا ابا الحكمة يابن الظاهر ... يا رضا احمد يابن الجابر
دونكم من دونكم منزلة ... بيت شعر لم يكن من شاعر
محصوه واجعلوا تمحيصه ... معنويا اولا كالآخر
لا تراعوا صحبتي كلا ولا ... تنظروا الا بعين الجائر
هو ذا الزهار في جناتكم ... يجتنى من كل زهر زاهر
ولكم منه سلام كلما ... صافح الجابر ابن الظاهر

ولما توفي اسف عليه عارفو فضله ومطوقو جميله الطبي ورثاه جملة من الشعراء ومن جملتهم صديقه العلامه الشيخ سليمان الظاهر اذ قال :

هيهات اصبو لسمار وجلاس ... من بعد فقد سمير الحي الياس

قد كان طباً بادواء النفوس وكم ... له يد كرمت في هذه الناس
آس لادوائهم طوراً وآونة ... اخلاقه الغر تهدي الطيب للآسي
يريك خلقاً وآدابا روائعها ... اشهى واطيب للحاسي من الكاس
يا حاسي الكاس من اخلاقه بدلا ... عن الحميا وكاس الراح للحاسي
قد كان خفة روح الدهر تعشقه ... م الارواح عشق عليل طيب انفاس
قد كان الطف من مر النسيم على ... زهر الرياحين من ورد ومن آس
قد كنت احذر مر الريح يؤلمه ... فكيف ابصره من تحت ارماس
يا ذاهباً من ودادي في نفائسه ... وما الكامن شعوري لطف احساسي
كانت مساعيك وهي الغر مشرقة ... ابهى والطف من عقد من الماس
قد كنت جساس نبض الدهر كم بعثت ... يمناك برء له في كف جساس
غادرتني لنواك اليوم نضو أسى ... مستسلماً للجوى لا نضو احلاس
فاذهب حميد المساعي غير منغمس ... في حمأة الظلم والاضرار بالناس

وكتب المترجم له الى شيخ محي الدين الحر العاملي ، وقد وعده بجوز واخلف قوله :

يا شيخ محي الدين هل قد اثمرت ... جوزاتكم واكلت من اثمارها
قد قيل وعـــد الحر دين ثابت ... فاذا وفيت فانت من احرارها

٤٨ — امية ابن ابي الصلت الاشبيلي ٤٦٠ — ٥٢٩ هـ

امية ابن عبد العزيز بن ابي الصلت الاندلسي الداني الاشبيلي الحكيم الأديب المغربي الشهير ، ويكنى ابا الصلت لقب جده ، من اطباء القرن السادس واصله من بلدة دانية في شرق الاندلس .

ولد في دانية سنة ٤٦٠ وتوفي بالمهدية سنة ٥٢٩ بمرض الاستسقاء ، كما في معجم الادباء عن ٦٩ عاما ، ودفن بالمنستير (١)

(١) منستير بليدة بافريقية بناها هرثمة ابن اعين والي افريقية من قبل الرشيد سنة ١٨٠

كان ماهراً في علوم الاوائل من طبيعي ورياضي وإلهي بديع النظر في علم النجوم والموسيقى (١) ، اخذ العلم اولا عن جماعة من اهل الاندلس ، كابي الوليد الوقشي قاضي دانية ، وغيره .

قدم الاسكندرية مع امه يوم عيد الأضحى سنة ٤٨٩ ونفاه الافضل شاهنشاه من مصر سنة ٥٠٥ وتردد بالاسكندرية الى ان سافر سنة ٥٠٦ فحل بالمهدية . وقد كان كثير التصانيف متقنها .

قال ابن ابي اصيبعة فى عيون الانباء ج ٢ : « لقد بلغ ابن ابي الصلت من صناعة الطب مبلغاً لم يصل اليه غيره من الاطباء ، وحصل له من معرفة الادب ما لم يدركه كثيرون من الادباء ، وكان مع ذلك اوحداً فى علم الرياضي ، متقناً لعلم الموسيقى وعمله ، جيد اللعب بالعود ، و كان لطيف النادرة ، فصيح اللسان جيد المعاني ، ولشعره رونق » .

قال الحموي فى معجمه . « كان اديباً فاضلا ، وهو صاحب صناعة بارعة وعلم فى النحو ، والطب ، ورد الى مصر فى ايام الملك (الآمر) سنة ٥١٠ وهو من مشاهير ملوكها فاتصل بوزيره ومدبر دولته الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش ، بدر . واشتمل عليه رجل من خواص الافضل يعرف بمختار ويلقب بتاج المعالي ، وكانت منزلته عند الافضل عالية ، فحسنت حال امية عنده ، وقرب من قلبه ، وكان كاتب الافضل رجلا حسوداً لايرضى بتقرب اهل العلم من الافضل ولكنه لم يتمكن من معارضة تاج المعالي ، فاضمر لابن ابي الصلت المكروه ، وبعد مدة اتفق ان غضب الأفضل على تاج المعالي واعتقله وهناك وجد الكاتب السبيل على امية فوشى به عند الافضل فحبسه وبقى فى الحبس ثلاث سنين ثم اطلق ، فغادر مصر وقصد ابا طاهر ، يحيى ، صاحب القيروان فحظى عنده وحسنت حاله » .

---

(١) ابن خلكان

وحكى ابن ابي اصيبعة عن سديد الدين المنطقي سبباً آخر لاعتقال الافضل له. وملخصه : ان مركبًا موقراً بالنحاس قد وصل الى الاسكندرية وغرق دونها في البحر ، ولم تكن لهم حيلة في تخليصه لطول المسافة في عمق البحر ففكر امية في اخراجه ثم خطر له طريق لاخراجه ، فأخبر الافضل بذلك فهيء له ما طلب من دواليب وحبال ابريسم وغيرها ، وبعد اجراء العملية اخرج المركب حتى سطح البحر ، ثم افلت ورجع الى قعره ، فغضب الامير وحبسه وهو غير مستحق للحبس ، اذ لم يساعده القدر مع انجاز نصف العمل واحكام آلاته وصنعتها .

قال صاحب نفح الطيب : « ان ابن ابي الصات قد عمر ستين عاما كما يقال قضى منها عشرين سنة في بلده وعشرين سنة في مصر محبوساً في خزانة الكتب فرجع بعد خروجه من ذلك السجن العلمي اماما في فنون العلوم متقنًا للفلسفة والطب والتلحين وله في ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته . وهو الذي لحن الاغاني الافريقية الموجودة حتى الآن » .

قال القفطي : « الحكيم ابو الصلت المغربي وحيد عصره وفريد دهره والمنفرد بفرائد نظمه ونثره ذو يد قوية في علوم الاوائل وعارضة عريضة في اكثر الفضائل تأدب ببلاده وتفلسف ثم سار في الافاق وطوف ودخل في ايام افضلها فلم ينل منها افضالا وقصده للنيل فلم يجد لديه نوالا » .

مؤلفاته

لابن ابي الصلت مؤلفات جمة ومصنفات كثيرة وكلها جليلة القدر غزيرة المادة عميمة النفع واشهرها .

حديقة الدهر على نسق يتيمة الدهر للثعالبي والادوية المفردة في الطب وتقويم الذهن في علم المنطق وحديقة الأدب والملح العصرية والانتصار في الرد على ابن رضوان في رده على حنين ، ورسالة في الموسيقى ، وكتاب الهندسة ، والوجيز

في الهيئة ، وديوان شعر كبير ، وكتاب الديباجة في مفاخر منهاجه ، ورسالة في الاسطرلاب ، وكتاب الرسالة المصرية ، وكتاب ديوان ورسائل .

ادبه وشعره

كان هذا الطبيب الحكيم اديباً بكل معنى الكلمة ، رقيق النظم ، متين الالفاظ دقيق المعاني ، واذا ذكرنا بعض نظمه فانك ستقرأ شاعريته وادبه فيه جلياً واضحاً فمن نظمه قوله ــ وقد استثقل من احدهم ــ وكان يجله ويحترمه :

لي جليس عجبت كيف استطاعت ... هذه الارض والجبال تقله
انا ارعاه مكرهاً وبقلبي ... منه ما يقلق الجبال اقله
فهو مثل المشيب اكره مرآه ... ولكن اصونه واجله

وله فيمن اسمه واصل :

يا هاجراً سموه عمداً واصلا ... وبضدها تتبين الأشياء
الفيتني حتى كأنك واصل ... وكأنني من طول هجري الراء

وقال في جميل لابس قرمزية يسمى ابو الفوارس :

اقبل يسعى ابو الفوارس في ... مرأى عجيب ومنظر انق
اقبل في قرمزية عجب ... قد صبغت لون خده الشرق
كأنما جيده وغرته ... من دونها اذ بدون في نسق
عمود فجر من فوقه قمر ... دارت به قطعة من الشفق

واتفق ان كان في مجلس وامامه امرد . فقام وجلس مكانه رجل قبيح اسود فارتجل قائلا :

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم ... فقد صرت اشقى بعدما كنت انعم
وما هي إلا الشمس آن افولها ... واعقبها قطع من الليل مظلم

قال ابو عبد الله الشامي وكان من تلامذته : « ان الافضل كان قد تغير

عليه وحبسه بالاسكندرية في دار كتب الحكيم ارسطاطاليس ، وكنت اختلف اليه فدخلت عليه يوماً فصادفته مطرقاً ، ولم يرفع رأسه على العادة فسألته فلم يرد الجواب ثم رفع رأسه بعد ساعة وقال لي اكتب ، وانشدني قوله :

مارست دهري وجربت الانام فلم ... احمدهم قط فى جد وفي لعب
وكم تمنيت ان القى بها احداً ... يسلى من الهم او يعدى على النوب
فما وجدت سوى قوم اذا وعدوا ... كانت مواعيدهم كالآل فى الكذب
وكان لي سبب قد كنت احسب ان ... احظى به فاذا دائي من السبب
فما مقلم اظفاري سوى قلمي ... وما كتائب اعدائي سوى كتبي

فكتبتها ثم سألته عن سبب الابيات ؛ فقال . ان فلاناً تلميذي قد طعن فيّ عند الأمير الأفضل ؛ ثم رفع رأسه الى السماء ؛ واغرورقت عيناه دمعاً ودعا عليه ؛ فلم يحل الحول حتى استجيب له » .

وقال شاكياً دهره :

وقائلة ما بال مثلك خاملا ... أأنت ضعيف الرأي أم انت عاجز؟
فقلت لها ذنبي الى القوم انني ... لما لم يجوزوه من المجد جائز
وما فاتني شيءٌ سوى الحظ وحده ... واما المعالي فهي فيّ غرائز

وله فى وصف الاسطرلاب ، وهو ابرع وصف وصفت به هذه الآلة العجيبة .

افضل ما استصحب النبيل ولم ... يعدل به فى المقام والسفر
جرم اذا ما التمست قيمته ... جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو اذ تفتشه ... عن ملح العلم غير مختصر
ذو مقلة تستبين ما رفعت ... عن صائب اللحظ صادق الأثر
تحمله وهو حامل فلكاً ... لولم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الأرض وهو ينبئنا ... عن جلّ ما في السماء من خبر
ابدعه رب فكرة بعدت ... غايتها ان تقاس بالفكر

فاستوجب الشكر والثناء له ... من كل ذي فطنة من البشر
فهو لذي اللب شاهد عجب ... على اختلاف العقول والنظر
وان هذي الجسوم بائنة ... بقدر ما اعطيت من الصور

وقال في ايام مرضه هذه الابيات :

حسبي فقد بعدت فى الغي اشواطي ... وطال فى اللهو ايغالي وافراطي
انفقت فى اللهو عمري غير متعظ ... وجدت فيه بوفري غير محتاط
فكيف اخلص من بحر الذنوب وقد ... غرقت فيه على بعد من الشاطى
يارب مالي ما ارجو رضاك به ... إلا اعترافى باني المذنب الخاطي

ومن نصائحه لولده عبد العزيز وهو في سكرات الموت ، قوله :

عبد العزيز خليفتي رب السماء عليك بعدي
انا قد عهدت اليك ما تدريه فاحفظ فيه عهدي
فلئن عملت به فانك لا تزال حليف رشد
ولئن نكثت فقد ضللت وقد نصحتك حسب جهدي

وقال واوصى أن يكتب على قبره بعد موته :

سكنتك يا دار الفناء مصدقاً ... باني الى دار البقاء اصير
واعظم ما في الأمر اني صائر ... الى عادل في الأمر ليس يجور
فياليت شعري كيف القاه عندها ... وزادي قليل والذنوب كثير
فان أك مجزياً بذنبي فانني ... بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو منه عني ورحمة ... فثم نعيم دائم وسرور

وله غير هذا شعر كثير لو جمع لكان ديواناً كبيراً .

حرف الباء

٤٩ – باقر بن الخليل الطبيب الخليلي ١٢٤٧ – ١٣٣٢ ﻫ

هو ابو صادق باقر بن خليل بن علي بن ابراهيم بن علي الطبيب الرازي النجفي جد المؤلف لابيه واصغر انجال الطبيب الشهير الحاج مرزا خليل الطبيب ابي الاسرة الخليلية العريقه فى النجف وثالث الاطباء من اخوته محمد بن الخليل والحسن بن الخليل

ولد سنة ١٢٤٧ في النجف وتوفي بها ١٣٣٢ عن ٧٥ سنة ودفن فيها مع اخيه الحجة الحاج مرزه حسين الخليلي في مقبرته الخاصة جنب مدرسة آل الخليلي .

كان المترجم له طبيباً حاذقاً واديباً كاملا ومعالجاً ميمون العلاج متكلماً فصيحاً وفقيهاً فاضلا ومتديناً دمث الاخلاق مهابا محترما بمجالس العظماء والعلماء فيكبرونه ويتكلم بينهم فتصغى له الاسماع لعذوبة منطقه وانسجام كلامه وكان حسن الهندام حسن الملبس ميالا للترف والنظام فى مجلسه وملبسه ومأكله وحتى في محل عيادته وكان مرجعاً في الامراض المعضلة والعاهات الصعبة المزمنه جيد التشخيص بعيد النظر في العلاج وقد ظهرت على يده خوارق الفن ومعاجز الطب مما جعله مفرداً في عصره ووحيداً في مصره

تخرج في الطب على ابيه وحيد هذه الصناعة في العراق يومذاك كما حضر على كثيرين من نطس الاطباء من الفرس وغيرهم ممن كانوا يفدون الى النجف وتلمذ في الفقه والاصول على العلامة الشيخ محمد تقي الكلبايكاني والعلامة الشيخ عبد على الرشتي وفي الحكمة والمنطق وساير العلوم العقلية على الحكيم الآلهي الشهير الشيخ محمد باقر التركي وهكذا كان مجداً لا يفتر عن درس وتدريس وبحث ومطالعة حتى برع في جملة تلك العلوم واصبح الوحيد في تدريس قانون ابن سينا وكانت له حلقة تدريس كبيرة يحضرها جمع من فطاحل العلماء وجهابذه الفضلاء من عرب وفرس

وهنود وقد تخرج عليه جماعة اطباء سافروا الى بلادهم واصبحوا من مشاهير اطباء تلك النواحي وقد كان من ابرز تلامذته ولداه ابو علي الصادق بن الباقر ابو المؤلف وستأتي ترجمته في حرف الصاد وابو الرضا كاظم بن الباقر

ولم نعثر له على مؤلف كامل التأليف سوى ما جمعه بعض تلامذته من تقاريره الطبية وما كان من متفرقات كتاباته من ارآئه الحكمية الحكيمة واقواله القيمة وردوده المتينة وكلها لم تزل غير مطبوعة

وفي أواخر ايامه طعن في السن وعجز عن العلاج فترك المهنة واعتزل المداواة ولزم بيته حتى توفي ليلة الجمعة سابع جمادى الاولى سنة ١٣٣٢ وقد كان لنعيه شأن عظيم ورثاه الشعرآء وابنه الادباء وأرخوا وفاته بتواريخ عديدة ومنها ما ارخته انا بقولي:

يا باقر العلم ويا من غدى للطب والآداب عنوانا
اصم سمع الدهر ناعيك اذ عم الورى رزؤك اشجانا
فاهنأ فقد نلت باعمالك الغراء في التاريخ (غفرانا)

ادبه وشعره

لقد كان المترجم مضافاً لماله من الشهرة الكاملة في الطب والتقدم في هذا الفن اديبا كاملا اريحي الطبع يرتاح لجيد الشعر ويميز غثه من سمينه وكان ينظم رائق الشعر ويبدع فيما ينظم وان كان مقلا .

واني وان لم أعثر على شيء من شعره ولكن انشدني المرحوم العلامة الشيخ محمد حرز الدين هذين البيتين وقد سمعها منه وكان صديقه وهما بيتان انشأهما ارتجالا في محفل احد السادات القزوينية في الحلة وقد كان هذا السيد الجليل سجين متصرف اللواء (عاكف باشا) واتفق ان مرض هذا السيد الجليل وهو في الحبس فخيرته الحكومة في انتخاب طبيب للعلاج فاختار المترجم له ولما دخل السجن سمح لمعاريف السيد بالدخول اليه وهكذا فقد وجدت الناس فرجاً بواسطته لزيارة عميدهم وسيدهم

فكان بعد ذلك يعقد محفل حاشد بالشخصيات البارزة والشعراء والادباء

وذات يوم وقد اقترح احدهم ان يمدح السجين كل اديب كان حاضراً في ذلك المجلس قصداً للتسلية ، فنظم كل من الادباء ما جادت به قريحته حتى انتهت النوبة الى المترجم له فارتجل قائــلا :

لاغرو انك قد سجنت بحبس من ... هو عاكف ابداً على الحساد

ما انت الا صارم متجرد ... والسيف لا يبقى بلا اغماد

وله اليد فى نظم الشعر الفارسي ايضاً فمن ذلك قوله من قصيدة

اي كاعذار جهره مه گونه كلشني ... وي دلرباي يوسف عصرت در اين صفات

يك بوسه زلعل لبت كرعطا كني ... باشم ازو سكندر ويابم ازو حيات

٥٠ — ابن البنى الطبيب * ...

ابو جعفر ابن البني الطبيب مطبوع النظم نبيله واضح نهجه فى الاجادة وسبيله ويضرب فى علم الطب بنصيب وسهمه يخطي اكثر مما يصيب، وكان اليف غلمان وحليف كفر لا ايمان ما نطق متشرعا ولا رمق متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا وربما تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتكه هتكا، لا يبالي كيف ذهب وبماذا تمذهب وكانت له اهاجي جرع فيها صابا ودرع فيها اوصابا وقد اثبت له ما يرتشف ريقا ويلتحف به الاوان شوقا .

قال الفتح في القلائد (وكنت (بميورقة) فدخلها متسمّا بالعبادة وهو اسرى في الفجور من خيال ابي عبادة (٢) قد لبس اسمالا وانس الناس منه اقوالا لا اعمالا فسجوده هجود، واقراره بالله جحود وكانت له بسواحلها رابطة كان بلوازمها مرتبطا وبسكناها مغتبطا سماها بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحمى وكان لا يتصرف الا في صفاته

« * » البستاني في دائرة المعارف والفتح فى قلائد العقيان

« ٢ » البحتري

ولا يقف الا فى عرفاته ولا يشوقه الاهواه فدخلت عليه يوما لازوره وارى زوره ، واذا انا باحد دعاة محجوبه فقال له: كنت البارحة عند فلان بحماه وذكر له خبراً ورى عنه وعماه فقال ابن البنى مرتجلا .

تنفس بالحمى مطلول روض فاودع نشره ريحاً شمالا
وصبحت العقيق الي كسلى تجرر فيه اردانا خضالا
اقول وقد شممت الترب مسكاً بنفحتها يميناً او شمالا
نسيم بات يجلب منك طيباً ويشكو من محبتك اعتلالا
ينم الي من زهرات روض حشوت جوانحي منه ذبالا

وكان اكثر شعره في الغزل والمجون ومن ذلك قوله فى القاضي عبد الحق ابن اللجوم

وسائل كيف حالي اذ مررت به ومن لواحظه كل الذي اجد
ولي يد اذ توافقنا اشد بها على فؤادى وفى يمنى يديه يد
والجمر في خده الوضاح رونقه يندى وفى قلبي المشغوف يتقد

وله ايضاً قوله :

يا من يعذبني لما تملكني ماذا تريد بتعذيبي واضراري
تروق حسناً وفيك الموت اجمعه كالصقل في السيف او كالنور في النار

وله في غلام اسمه علي :

من لي بغرة فاتر يختال فى حلل الجمال اذا مشى وحليه
لو شب في وضح النهار شعاعها ما عاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت بماء الحسن حتى خلصت ذهبية فى الخد من فضيه
في صفحتيه من الحياء ازاهر غذيت بوسمي (١) الصبا ووليه (٢)
سلت محاسنه اقتل محبه من سحر عينيه حسام سميه (٣)

« ١ » مطر الربيع الاول « ٢ المطر ياتي بعد المطر (٣) وهو الامام على بن ابى طالب « ع »

وقال :

وذي وجنة وقادة الصقل قسمت حياتي فبلت صقلهـــا بجراحي
نظرت اليـه فاتقـاني بمقـلة ترد على نحري صـــدور رماحي
حميت الجفون النوم يارشأ الحمى واظلمت ايامي وانت صبـــاحي

وله ايضاً قوله في غلام لبس درعا مخططا :

وكانما رشأ الحمى لما بـدا لك فى مضلعـة الحديد المعـلم
غصب الحمام قسيه فاعارهـا من حسن معطفه قـــوام الاسهم

حرف الثاء

٥١ - ثابت بن سنان الصابي الحراني * ... ٣٦٥ هـ

ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي الحراني (١) عده الحموي في معجمه فى الادباء الشهيرين وقال: (كان طبيباً حازماً، واديباً بارعاً وله كتاب التاريخ الذي ابتدأ به من اول ايام المقتدر وكتاب مفرد فى اخبار الشام ومصر مجلد واحد)

قال القفطي في تاريخ الحكماء: (كان فى ايام المطيع لله العباسي وفي امارة الاقطع احمد بن بويه ابي الحسن. وقبل ذلك كان مختصاً بخدمة الراضي. وكان بارعاً في الطب عالماً باصوله فكاكاً للمشكلات من الكتب. وكان يتولى تدبير المارستان ببغداد فى وقته. وهو خال هلال بن المحسن بن ابراهيم الكاتب البليغ الصابي المشهور)

عمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الافاق الذي ما كتب فى تاريخ اكثر مما كتب هو فيه وذلك من سنة نيف وتسعين ومائتين الى حين وفاته في شهور سنة ٣٦٣ وعليه ذيل لابن اخته هلال بن المحسن ولولاهما لجهل كثير من التاريخ فانه اتمه الى سنة ٤٤٧ ولم يتعرض احد فى مدته الى ما تعرض من الاحكام في الامور والاطلاع على اسرار الدول وذلك انه اخذ ذلك عن جده فقد كان كاتب الانشاء ويعلم الوقائع وتولى هو أي المترجم الانشاء ايضا فاستعان بعلم الاخبار الواردة بعلمه على جمعه ثم يتلوه كتاب ولده (غرس النعمة) محمد بن هلال وهو كتاب حسن الى بعد سنة ٤٧٠ بقليل ثم اكمله ابن الهمداني الى سنة ٥١٢ ثم كمل عليه العفيف صدقة الحداد

(*) معجم الادباء والقفطي «١» الحراني نسبة الى حران وهي مدينة مشهورة بالجزيرة معربة هاران اسم بانيها وهو عم ابراهيم الخليل عليه السلام كما ذكره ابن خلكان. قال الجوهري حران اسم بلد النسبة اليه حرناني على غير قياس، والقياس حراني على ما عليه العامة.

الى سنة نيف وسبعين وخمسمائة ثم ابن الجوزي الى سنة ٦١٦

قال الذهبي فى تاريخ الاسلام في ترجمة ثابت بن قرة الصابي

واما حفيده صاحب التاريخ المشهور ثابت بن سنان فكان ايضا علامة فى الطب تركن النفس الى ما يوجبه مات على كفره

وقد توفي على ما ذكره ابن اخته هلال بن المحسن ليلة يوم الاربعاء لاحدعشر ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٣٦٥ ه

ورثاه ابن اخته ابو اسحاق الصابي كما في معجم الادباء بقوله:

اسامع انت يامن ضمه الجدف (١) نشيج باك حزين دمعه يكف
وزفرة من صميم القلب مبعثها يكاد منها حجاب الصدر ينكشف
اثابت بن سنان دعوة شهدت لربها انه ذو غلة اسف
ما بال طبك ما يشفي وكنت به تشفي العليل اذا ما شفه الدنف
غالتك غول المنايا فاستكنت لها وكنت ذائدها والروح تختطف
فارقتني كفراق الكف صاحبها اطنها ضارب من زندها نطف (٢)
فتت في عضدي يا من عنيت به افت في عضد الباغي وانتصف
ثوى بمغناك في لحد سكنت به الدين والعقل والعلياء والشرف
لهفي عليك كريماً في عشيرته ممهداً جسمه من نعمة ترف
قد اسلموه الى غبراء يشمله فيها التراب فمنها الفرش واللحف

(١) القبر «٢» رجل مريب

حرف الجيم

٥٢ - جرجيس الانطاكي * ...

جرجيس الانطاكي الفيلسوف نزيل القاهرة في مصر يزعم انه قرأ على علماء بلده واستوطن مصر وطب بها وادركه امية ابن ابي الصلت المغربي بمصر سنة ٥١٠ وذكره فقال: « وكان بمصر طبيب من انطاكية يسمى جرجيس ويلقب بالفيلسوف على نحو ما قيل في الغراب ابو البيضاء وفي اللديغ سليم وقد تفرغ للتولع بابي الخير سلامة إبن رحمون اليهودي الطبيب المصري « ١ » والازراء عليه وكان يزور فصولا طبية وفلسفية يبرزها في معرض الفاظ القوم وهي محال لا معنى لها وفارغة لا فائدة فيها ثم ينفذها الى من يسأله عن معانيها ويستوضحه اغراضها فيتكلم عليها ويشرحها بزعمه دون تحفظ وتيقظ باسترسال واستعجال وقلة اكتراث واهمال ويوجهه بوجوه يضحك منها »

ادبه وشعره

ان لجرجيس الانطاكي اقوالا في الشعر حسنه « ٢ » وكلها في هجو ابي الخير سلامة الطبيب اليهودي المذكور. ويظهر من كلام امية الطبيب انه لم يكن محققاً بل متشدقاً قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء: « انه اي ابا الخير كان يكثر كلامه فيضل ويسرع جوابه فيزل وكان مثله في عظيم ادعائه وقصوره عن ايسر ما هو متعاطيه على حد قول الشاعر

يشمره اللج عن ساقه ... ويغمره الموج في الساحل

اقول او كما قال الآخر .

تمنيتم مائتي فارس ... فردكم فارس واحد

« * » القفطي (١) عيون الانباء (٢) شعراء النصرانية

قال الطبيب جرجيس في هجائه كما فى تاريخ القفطي :

ان ابا الخير على جهله   يخف فى كفته الفاضل
عليله المسكين من شؤمه   في بحر هالك ما له ساحل
ثلاثة تدخل في دفعة   طلعته والنعش والغاسل

قال الطبيب امية ابن ابي الصلت ولبعضهم يعني جرجيس فى ابي الخير « ١ » قوله

لابي الخير فى العلا   ج يد لا تقتر
كل من يستطبه   بعد يومين يقبر
والذي غاب عنكم   وشهدناه اكثر

وقال ايضاً فيه

جنون ابي خير جنون بعينه   وكل جنون عنده غاية العقل
خذوه وغلوه وشدوا وثاقه   فما عاقل من يستهين بمختل
فقد كان يؤذي الناس بالقول وحده   وقد صار يؤذي الناس بالقول والفعل

اقول : وعلى ذكر هجو الطبيب نذكر هجاء بعضهم لبعض الاطباء . قال الاب شيخو في شعراء النصرانية : ولبعضهم في هجو الطبيب ابن زهر الاندلسي قوله :

قل للوبا انت وابن زهر   قد جزتما الحد في النكايه
ترفقا بالورى قليلا   في واحد منكما كفايه

وقال آخر في غيره :

ما خطر النبض على باله   يوما ولا يعرف ما الداء
بل ظن ان الطب دراعة   ولحية كالقطن بيضاء

ولغيره في غيره :

وطبيب مجرب ما له بالنجح في   كلما تجرب عاده
مر يوماً على مريض فقلنا   قر عيناً فقد رزقت الشهاده

«١» كما فى عيون الانباء ج ٢

٥٣ - جعفر بن مطهر الادفوي * ٠٠٠ _ ٦٧٠ هـ

جعفر بن مطهر بن نوفل بن جعفر بن احمد بن جعفر بن احمد بن يونس التغلبي الادفوي وينعت بالنجم.

كان عالماً بعلوم الاوائل من الطب والفلسفة وكان اديباً شاعراً وله نظم توفي ببلده في حدود السبعين والستمائة ظنا.

اقول ولم نجد له ترجمة ولم نعثر له عن منظوم مرسوم في كتب التراجم.

« ١ » معجم الاطباء عن الطالع السعيد

حرف الحاء

٥٤ـ الحارث بن كلدة ....ـ ٥٠ هـ

الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي « ١ » كان نصرانياً على مذهب النساطرة . وقال جمال الدين القفطي « ٢ » « الحارث بن كلدة طبيب العرب في وقته اصله من ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس واخذ الطب من اهل تلك الديار في « جند يسابوز ».وغيرها في الجاهلية قبل الاسلام وجاد في هذه الصناعه وطب بارض فارس وعالج وحصل له بذلك مال كثير وشهد اهل فارس ممن رآه بعلمه وكان قد عالج بعض اجلائهم فبرئ.واعطاه مالا جزيلا وجارية سماها «سميه»(٣) ثم ان نفسه اشتاقت الى بلاده فرجع الى الطائف واشتهر طبه بين العرب وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يامر من كانت به علة ان ياتيه ويسأله عن علته » .

قال ابو عمرو: امر رسول الله (ص) سعد بن ابي وقاص بان يأتيه ويستوصفه في مرض نزل به وهذا يدل على انه جائز ان يشاور اهل الكفر في الطب اذا كان من اهله

وقال محمد بن زياد الاعرابي(وكان لحارث بن كلدة تقدم في النحو واللغة وقال ابوعمرو : (ومات الحارث في اول الاسلام ولم يصح اسلامه، وكان الحارث يضرب العود تعلم ذلك في فارس واليمن وبقى الى زمن معاوية فقال له معاوية : ما الطب يا حارث ؟ فقال : الأزم يا معاوية يعني الجوع والحمية من الطعام

وروى له عبد الرحمن بن بكرة قوله : من سره البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء (٤) وليقلل غشيان النساء .

قال ابن ابي اصيبعة :(٥) (انه بقي ايام رسول الله ص وايام ابي بكر وعمر وعثمان

---

(١) شعراء النصرانية بعد الاسلام «٢» تاريخ الحكماء «٣» قيل انه وطاها فولدت له زياداً ابن ابيه وقيل ان اباسفيان وطاها سفاحاً بالطائف فحملت به منه « ٤ » اراد بخفة الرداء ان لا يكون مديوناً «٥» عيون الانباء

وعلى ومعاوية) وقال ابوزيد : (وكانت للحارث معالجات ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه من المداواة .)

قال خير الدين الزركلي في الاعلام : (ومات الحارث في سنة ٥٠هـ - ٦٧٠م) وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره ، فمن ذلك ما ذكره ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء (١)

انه لما وفد على كسرى انوشيروان اذن له بالدخـول عليه فلما وقف بين يديه منتصباً قال له : من انت ؟ قال : انا الحارث بن كلدة الثقفي قال : فما صناعتك ؟ قال الطب قال: اعرابي انت قال: نعم من صميمها وبحبوحة دارها قال: فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء اغذيتها قال: ايها الملك اذا كانت هذه سنتها كانت احوج الى من يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس من ابدانها ويعدل امشاجها فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ويميز موضع دائه ويحترز عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه قال كسرى فكيف تعرف ما تورده عليها ولو عرفت الحـلم لم تنسب الى الجهل قال : الطفل يناغى فيداوى والحية ترقى فتحاوى ثم قال . ايها الملك العقل من قسم الله تعـالى قد قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم فكل من قسمته اصاب وخص بها قوم وزاد فمنهم مثر ومعدم وجاهل وعالم وعاجز وحازم وذلك تقـدير العزيز العليم .

فاعجب كسرى من كلامه ثم قال له فما الذي تحمد من اخلاقها ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال : أيها الملك انفس سخية وقـلوب جريه ولغة فصيحـة والسن بليغة وانساب صحيحه واحساب شريفة يمرق من افواههم الكلام مروق السهم من نبعـة الرام اعذب من هواء الربيع والين من سلسبيل المعين مطعمو الطعام في الجدب وضاربو الهام في الحرب لا يرام عزهم ولا يضـام جارهم ولا يستباح حريمهم ولا يذل كريمهم ولا يقرون بفضل للانام الا الملك الهمام الذي لا يقاس به احد ولا يوازيه سوقة ولا ملك

فاستوى الملك كسرى جالساً وجرى ماء الحلم فى وجهه لما سمع من محكم كلامه

«١» ج ١ ص ١١٠

وقال لجلسائه : اني وجدته راجحاً ولقومه مادحا وبفضيلتهم ناطقاً وبما يورده من لفظه
صادقاً وكذا العاقل من احكمته التجارب ثم امره بالجلوس فجلس

فقال له : كيف نظرك بالطب ؟ قال : ناهيك . قال فما اصل الطب ؟ قال :
الأزم ؟ قال : فما الأزم ؟ قال ضبط الشفتين والرفق باليدين قال . اصبت فما الداء
الدوي ؟ قال : ادخال الطعام على الطعام هو الذي يفني البريه ويهلك السباع فى جوف
البرية قال اصبت فما الجمرة التي تصطلم منها الادواء ؟ قال : هي التخمة ان بقيت في
الجوف قتلت وان تحللت اسقمت . قال : صدقت فما تقول في الحجامة ؟ قال : في
نقصان الهلال في يوم صحو لا غيم فيه والنفس طيبة والعروق ساكنة لسرور
يفاجئك وهم يباعدك قال : فما تقول دخول الحمام ؟ قال لا تدخله شبعانا ولا تغش
اهلك سكرانا ولا تقم الليل عريانا ولا تقعد على الطعام غضبانا وارفق بنفسك يكن
ارخى لبالك وقلل من طعامك يكن اهنأ لنومك قال : فما تقول في الدواء ؟ قال :
ما لزمتك الصحة فاجتنبه فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه فان البدن
بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت وان تركتها خربت قال فما تقول في الشراب ؟ قال
اطيبه اهنأه وارقه امرأه واعذبه اشهاه لا تشربه صرفا فيورثك صداعاً ويثير عليك
من الاداء انواعا . قال : فاي اللحمان افضل ؟ قال : الضان الفتي والقديد المالح مهلك للاكل
واجتنب لحم الجزور والبقر قال : فما تقول في الفواكه قال : كلها في اقبالها
وحين اوانها واتركها اذا ادبرت وولت وانقضى زمانها وافضل الفواكه الرمان
والاترج وافضل الرياحين الورد والبنفسج وافضل البقول الهندبا والخس قال : فما
تقول فى شرب الماء ؟ قال : هو حياة البدن وبه قوامه ينفع ما شرب منه بقدر وشربه
بعد النوم ضرر ، افضله امراه وارقه اصفاه ..قال : فما طعمه ؟ قال لا يوهم له طعم
الا انه مشتق من الحياة . قال فما لونه ؟ قال : اشتبه على الابصار لونه لانه يحكي
لون كل شيء يكون فيه قال : اخبرني عن اصل الانسان ما هو قال اصله من حيث شرب
الماء (١) قال : فما هو النور الذي في العينين ؟ قال مركب من ثلاثة اشياء فالبياض

« ١ » يعني رأسه

شحم والسود ماء والناظر ريح قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن ؟ قال على اربع طبايع المرة السوداء وهي باردة يابسة والمرة الصفراء وهي حارة يابسة والدم وهو حار رطب والبلغم وهو بارد رطب قال فلم لم يكن من طبع واحد ؟ قال لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك قال: فمن طبيعتين قال لم يجز لأنهما ضدان يقتتلان قال: فمن ثلاث ؟ قال لم يصلح موافقان ومخالف فالاربع هو الاعتدال

قال فاجمل لى الحار والبارد في احرف جامعة قال: كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مر معتدل وفى المر حار وبارد الى آخرها وهي طويلة راجع عيون الانباء وغيره من مفصلات التراجم

فقال له كسرى (لله درك من اعرابي لقد اعطيت علما وخصصت فطنة وفهما) ثم احسن صلته وامر بتدوين ما نطق به

كلماته الحكمية

قال الواثق في كتابه (البستان) ان الحرث بن كلدة مر بقوم وهم فى الشمس فقال عليكم بالظل فان الشمس تنهج الثوب وتنقل الريح وتشحب اللون وتهيج الداء الدفين

ومن كلامه البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاده وقيل هو كلام عبد الملك بن ابجر وقد نسب قوم هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه واله وان اوله المعدة بيت الداء وهو ابلغ من لفظه البطنه

وروي عن أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام انه قال

(من اراد البقاء ولا بقاء فليجود الغذاء ولا يأكل الا على نقاء وليشرب على ظماء وليقلل من شرب الماء وليتمدد بعد الغذاء ويتمشى بعد العشاء ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء ودخول الحمام على البطنة من شر الداء ودخلة الى الحمام في الصيف خير من عشر في الشتاء وأكل اليابس من القديد في الليل معين على الفناء ومجامعة العجوز تهدم اعمار الاحياء) .

وروى داود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال : لما احتضر الحرث بن كلدة اجتمع اليه الناس فقالوا مرنا بامر ننتهي اليه من بعدك . فقال : لا تتزوجوا من النساء الا شابة ولا تأكلوا الفواكه الا في اوان نضجها ولا يتعالج احدكم ما احتمل بدنه الداء وعليكم بالنورة في كل شهر فانها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبتة للحم واذا تغدى احدكم فلينم على اثر غذائه واذا تعشى فليخطو اربعين خطوة) .

ومن معالجاته العجيبة ما نقله سليمان بن جلجل عن الحسن بن الحسين عن سعيد بن الاموي عن عمه محمد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال : كان اخوان من ثقيف من بني كنة يتحابان لم يرقط احسن منهما الفة فخرج الاكبر الى السفر واوصي الاصغر بزوجته فوقعت عينه عليها فهواها وضني وقدم اخوه فجاءه الاطباء فلم يعرف علته الى ان جاءه الحرث بن كلدة فقال : ارى عينين محتجبتين وما ادري ماهذا الوجع وسأجربه فاسقوه نبيذاً فلما عمل النبيذ قال

الا رفقاً الارفقا قليلا ما اكونه
الما بي الى الأبيات بالخيف ازرهنه
غزالا ما رأيت اليوم في دور بني كنه
اسيل الخد مربوب وفي منطقه غنه

فقالوا له انت اطب العرب ثم قال ردوا النبيذ عليه فلما عمل فيه قال :

ايها الجيرة احلموا وقفوا كي تكلموا
وتقضوا لبانة وتحيوا لتنعموا
خرجت مرة من البحر ريا تخمخم
هي ما كنتي وتز عم أني لها حم

فطلقها اخوه ثم قال تزوجها يا أخي فقال والله لا اتزوجها ثم مات وما تزوجها.

وقد توفي كما ذكره الزركلي سنة ٥٠ من الهجرة . قال العسقلاني في الاصابه انه يقال في سبب موته انه نظر الى حية فقال : ان العالم ربما قام علمه له مقام الدواء واجزأت عنه حكمته موضع الدرياق فقيل له يا ابا وائل الا تأخذ هذه بيدك ؟ فحملته

النخوة ان يمد يده اليها فهشته فوقع صريعاً فما برحوا حتى مات

اربد وشعره

روى له ابن عبد ربه في العقد الفريد ابياتاً قالها في يوم الحريرة وهو احد ايام حرب الفجار الآخر لهوازن على كنانة .

تركت الفارس البذاخ (١) فيهم تمج (٢) عروقة علقاً (٣) عبيطا (٤)
دعست «٥» بنانه بالرمح حتى سمعت لمتنه فيه اطيطا «٦»
لقد ارديت قومك يابن صخر وقد جشمتهم «٧» امرا شطيطا (٨)
وكم اسلمت منهم من كمي جريحاً قد سمعت له غطيطا «٩»

وروى له البحتري في حماسته وصاحب مجموعة المعاني في مجموعته . قوله . في المؤاخاة عند الرخاء والخذلان عند الشدة .

واما اذا استغنيتم فعدوكم وادعى اذا ما الدهر نابت نوائبه
فان يك خير فالبعيد يناله وان يك شر فابن عمك صاحبه

وروى الجاحظ في البيان والتبيين بيتين للحارث ابن حلزة هما للحارث بن كلدة كما ذكرهما وصححها له في كتاب الحماسة ابن الشجري واكد نسبتهما له . وهما .

لا اعرفنك ان ارسلت قافية تلقى المعاذير ان لم تنفع العذر
ان السعيد له في غيره عظة وفي التجارب تحكيم ومعتبر

قال الأب لويس شيخو في ملحق القسم الاول لكتابه شعراء النصرانية وقد ورد للحارث في رسالة الغفران للمعري قوله في صديق .

وما عسل ببارد ماء مزن على ظماء لشاربه يشاب
باشهى من لقيكم الينا فكيف لنا به ومتى الاياب

وله كما في الحماسة البصرية قوله :

«١» المتكبر «٢» تقذف «٣» دماً «٤» خالصاً طريا «٥» طعنت
«٦» صوتاً «٧» حملتهم «٨» بعيداً شديداً «٩» صوت النائم اوزفيره

ان اختيارك لا عن خبرة سلفت الا الرجاء ومما يخطئ البصر
كالمستغيث يبطن السيل يحسبه جزراً يبادره ان باله المطر

***

الى غير ذلك مما يدل على شاعريته الفذة وقريحته الوقاده

٥٥ ـ ابن حذيم التيمى * …

ابن حذيم التيمي من تيم الرباب قال الآلوسي فى بلوغ الارب كان ابن حذيم له قدم راسخة في الطب وله فيه طول باع وهو من اطباء العرب وكان اقدم من الحارث بن كلدة وقال الميداني في مجمع الامثال نقلا عن ابي الندى (حذيم رجل من تيم الرباب. وكان اطب العرب واطب من الحارث بن كلدة) وقد ذكره اوس بن حجر فى شعره بقوله :

وهل لكم فيها الي فانني بصير بما اعيي الطبيب ابن حذيما

وفى تاج العروس في مادة حذم بعد ذكر نحو ذلك قال فى شرح ديوان اوس لابن السكيت : الطبيب هو حذيم نفسه او هو بن حذيم وانما حذف ابن اعتماداً على الشهرة وفي المستقصى للزمخشري وفي المرصع لابن الاثير. ضرب به المثل فقيل : اطب فى الكي من ابن حذيم

وكان شاعراً فى قديم الدهر. وذكره الشعراء ونوهوا به

قلت ومن ذلك ما جاء فى شعر امرء القيس قوله :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

قال السندوسي في الشرح هو ابن حذيم وهو شاعر اقدم من امرء القيس وهو اول من بكى الديار. ولم نعثر له على شعر.

«*» بلوغ الارب للآلوسي ومجمع الامثال للميداني وتاج العروس وغيرها من مختلف المصادر

٥٦ - حسن بن احمد الاشبوني *٠٠٠ - ٦٠٣ هـ

حسن بن احمد بن عمر بن مفرج بن خلف بن هاشم البكرى الاشبوني اصله منها وسكن الجزيرة الخضراء يكنى ابا علي ويعرف بالزرقالة ،

سمع من ابي الحجاج يوسف بن لبيب المرادي وولي الاحكام ببلده وكان بصيراً بعقد الشروط اديباً طبيباً موفقاً في العلاج فاق اهل عصره في تميز النبات والعشب مع حظ صالح من قرض الشعر .

توفي سحر ليلة الجمعة في العاشر من ذي القعدة سنة ٦٠٣ عن سن عالية يقال انه نيف على خمسة وثمانين عاماً .

٥٧ - الحسن بن احمد بن الحائك ٠٠٠ - ٣٣٤ هـ

الحسن بن احمد بن يعقوب بن داود بن سليمان المعروف بذي الدمينة وهكذا يسوق نسبه كما في معجم الاطباء الى نوف بن همدان ويكنى ابا محمد ويعرف بابن الحائك (١) الطبيب المنجم واللغوي الاخباري اليمني المعروف

كان نادرة اوانه وفاضل زمانه الكبير القدر الرفيع الذكر صاحب الكتب الجليلة والمؤلفات الجميلة ولو قال قائل انه لم تخرج اليمن مثله لم يزل لان المنجم من اهلها لاحظ له من الطب والطبيب لا بد له من الفقه والفقيه لا بد له من علم العربية وايام العرب وانسابها واشعارها وهو قد جمع هذه الانواع كلها وزاد عليها

وقد صحب اهل زمانه من العلماء وراسلهم وكاتبهم ومن جملتهم ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري وهو احد عيون العلماء باللغة العربية واشعار العرب وايامها وكذلك ابوه القاسم وابو عمر النحوي صاحب ثعلب وابو عبد الله الحسين بن خالويه

(*) معجم الاطباء «١» وذكره بعضهم بابي محمد الهمداني وبعضهم بابن ابي الدمينة وانما سمي بابن الحائك لان جده سليمان كان شاعراً يحوك الشعر ولم يكن احد من اهله حائكاً

وكان آباؤه ينزلون المراثي من بلاد (بكيل) ثم انتقل داود بن سليمان الى الرحبة من نواحي صنعاء فكان بها ولده المترجم له وبها ارتفع صيته وعظمت شهرته وكان ملوك اليمن واجلاؤها يكرمونه ويعظمونه وكان أكثرهم تعظيما له واكراما لمقامه الملك اسماعيل بن ابراهيم الحميري التبعي وفي مدحه قال المترجم هذين البيتين

يطلبن من عرض البلاد وطولها — بلداً به التبعي اسماعيل
فضياء غرته وفيض نواله — لوجوههن الى حماه دليل

قال القمي في الكنى والالقاب ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب اليمني صاحب الاكليل ولد بصنعاء ونشأ بها ثم ارتحل الى مكة المعظمة وعاد فنزل صعدة وهاجى شعراءها فسجن بصنعاء .

وقال القاضي صاعد بن الحسن الاندلسي قاضي طليطلة في كتابه : اني وجدت بخط امير الاندلس ان أبا محمد الهمداني توفي بسجن صنعاء سنة ٣٣٤ هـ

وفي بغية الوعاة انه نسبوه الى هجاء النبي (ص) في شعره فسجن لذلك وفي معلمة الاسلام في مادة الهمداني ان الهمداني كان في عصر الامام الصفدي احمد الناصر واسعد بن ابي يعفر الحوالي المتوفى سنة ٣٣٢ في سجن صعدة او سجن صنعاء فاستغاث بابي الحسن علي بن داعي القرامطة ابي القاسم الحسن المنصور ومدحه بقصائد عامرة الابيات وكانت في ديوانه

مؤلفاته

له مؤلفات كثيرة كلها جليلة جميلة نافعة اشهرها كتاب الاكليل وقد طبع منه الجزء الثامن سنة ١٩٣١ م وهو كتاب يبحث في محافد اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات كما في شرح الاكليل المطبوع سنة ١٩٣١ م

وذكره السيوطي في بغية الوعاة ص ٢١٧ وجاء ملحق كتاب الاكليل في عداد مؤلفاته ان له كتاباً في صفة جزيرة العرب وعن القفطي ان له كتاب سرائر الحكمة او سر الحكمة وهو تعريف بجمل علم الافلاك ومقادير حركات الكواكب

وتبيين علم احكام النجوم وكتاب القوى وكتاب اليعسوب في القسي والرمي والسهام والنضال وقد سماه السيوطي في البغية اقوس. وكتاب الزيج المعروف باسمه وعليه اعتماد اهل اليمن والقصيدة الدامغة وشرحها يتضمنها مجلد كبير وهي القصيدة التي اولها (الا يا دار لولا تنطقينا فانا سائلوك فخبرينا). وكتاب الحيوان المفترس كما في كشف الظنون وسماه السيوطي كتاب الحيوان وكتاب الممالك والمسالك في عجائب اليمن وجزيرة العرب واسماء بلادها كما في كشف الظنون وديوان شعر في ست مجلدات، قال الذهبي : وقد شرحه ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ والظاهر ان اكثر هذه المؤلفات قد فقد .

٥٨ - الحسن بن احمد الاربلي ٦٥٣ - ٧٢٦ هـ

الحسن بن احمد بن زفر الاربلي الدمشقي (١) كان يعرف طرفاً صالحاً من الطب والتاريخ مقيما بدويرة حميد، وهو مرتب في مدرسة الطب واذن له بالمعالجة فلم يفعل

كان حسن المجالسة وقد اثنى عليه البرازلي في نقله وحسن معرفته مات بالمارستان الصغير في جمادى الآخرة سنة ٧٢٦ هـ ودفن بباب الصغير عن ٧٣ عاما

وله شعر جميل منه قوله :

واذا المسافر آب مقلى (٢) مفلسا صفر اليدين من الذي رجاه
وخلا من الشيء الذي يهديه للاخوان عند لقائهم اياه
لم يفرحوا بقدومه وتثقلوا بوروده وتكرهوا لقياه
واذا اتاهم قادماً بهدية كان السرور بقدر ما اهداه

---

(١) معجم الاطباء عن البداية والنهاية لابن كثير « ٢ » كذا ورد

٥٩ - الحسن القطان المروزي * ...

الحسن القطان المروزي عين الزمان ، كان من تلامذة الاديب ابى العباس اللوكري وكان طبيباً حكيما مهندسا اديباً له طبع شعري رقيق وله تصانيف منها كتاب (كيهان سياحت) في الهيئة وكتاب في العروض وكتاب الدوحة في الانساب ورسائل في الطب واكثر معالجاته في تقليل الطعام وتلطيفه وربما ينهى المريض عن الدواء الغذائي فضلا عن الغذاء نفسه .

ومن اقواله المشهورة قوله : ام الفضائل النفسية الحكمة وظئرها المزاج المعتدل وابوها الاستعداد الكامل وابنها السعادة العظمى ولم نعثر له على شعر ابداً ولا على سنة ولادته ووفاته

٦٠ - الحسن بن نجا الاربلي * ٥٨٦ — ٦٦٠ هـ

الحسن بن محمد بن احمد بن نجا عزالدين الاربلي. وهو النحوي الضرير الفيلسوف كان بارعاً في العربية والادب رأساً في علوم الاوائل سيما الطب وكان بمنزله بدمشق منقطعاً يقري المسلمين واهل الكتاب والفلاسفة وله حرمة وافرة وكان يهين الرؤساء واولادهم بالقول وكان يصرح بتفضيل علي على ابي بكر وكان حسن المناظرة والجدل وله نظم ولكنه خبيث الهجو ولد بنصيبين سنة ٥٨٦ وتوفي في ربيع الاول سنة ٦٦٠

قال عز الدين بن ابي الهيجاء : لازمت العز الضرير يوم موته فقال : هذه البنية قد انحلت وما بقي يرجى بقاؤها واشتهي ارزاً بلبن فعمل له واكل منه ولما احس بشروع طلوع الروح منه قال : قد خرجت الروح من رجلي . ثم قال وصلت الى صدري فلما ارادت المفارقة الكلية تلا . « الا يعلم وهو اللطيف الخبير » ثم قال . صدق الله العلي العظيم وكذب ابن سينا ثم فاضت روحه ومات ، ودفن بسفح القاسيون

(*) معجم الاطباء عن تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي وتتمة صوان الحكمة

(*) بغية الوعاة للسيوطي ونكث الهميان للصفدي وفوات الوفيات لمحمد بن شاكر

أدبه وشعره

كان العز الضرير ذكياً جيد الذهن حسن المحاضرة جيد النظم لا سيما في الهجو ومن شعره الغزلي قوله :

وكاعب قالت لأترابها يا قوم ما أعجب هذا الضرير
هل تعشق العينان ما لا ترى فقلت والدمع بعيني غزير
هب ان طرفي لا يرى شخصها فانها قد صورت في الضمير

وذكر له الصفدي في نكت الهميان « دوبيت » وهو قوله

لو كان لي الصبر من الانصار ما كان عليه هتكت استاري
ما ضرك يا أسمر لو بت لنا في دهرك ليلة من السمار

وله دو بيت آخر وهو قوله.

لو ينصرني على هواه صبري ما كنت الذ فيه هتك الستر
حرمت على السمع سوى ذكرهم مالي سمر سوى حديث السمر

وقال متغزلا .

توهم واشينا بليل مزاره فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تلازماً فلما اتانا ما رأى غير واحد

قال الصفدي . قلت لانه امسكه امساكة اعمى على المثل

ومن هجائه قوله في العماد بن زهران وكان يلقب اولا بالشجاع .

تعمم بالظرف من ظرفه وقام خطيباً لندمانه
وقال السلام على من زنى ولاط وقاد لاخوانه
فردوا جميعاً عليه السلام وكل يترجم عن شانه
وقال يجوز التداوي بها وكل عليل باشجانه
وافتى بحل الزنى واللواط فقيه الزمان بن زهرانه

وله ايضاً كما في فوات الوفيات .

قالوا عشقت وانت اعمى ظبياً كحيل الطرف المى
وحلاه ما عاينتها فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك فى المنام فلا اطاف ولا الما
من اين ارسل للفؤاد وما رأته العين سهما
فأجبت انى موسوي العشق انصاتا وفهما
اهوى بجارحة السماع ولا ارى ذات المسمى

وله ايضاً قوله .

ذهبت بشاشة ما عهدت من الجوى وتغيرت احواله وتنكرا
وسلوت حتى لو سرى من نحوكم طيف لما حياه طيفي فى الكرى

١٦١ الحسين بن عبد الله الرئيس ابن سينا (*) ٣٧٠ـ٤٢٨ هـ

الحسين بن عبد الله بن سينا ابو علي البخاري الشهير فى الشرق ـ بالشيخ الرئيس ـ وفى الغرب ـ بامير الاطباء ـ كان من اشهر الاطباء ، واعظم الحكماء المسلمين وقرين ابقراط في الطب. وارسطو في الحكمة عند الافرنج .

ولقد اجمع المؤرخون في العالم على اعتبار شخصيته احدى الظواهر الفكرية العجيبة التي سجلها التاريخ في الطب والفلسفة حيث جمع في نفسه شخص الطبيب والفيلسوف والشاعر والفلكي ، والسياسي ، والعالم بطبقات الارض . وقد بلغ فى ذلك كله ذروة النبوغ وقمة الشهرة بين علماء الاسلام شرقاً وغربا .

وحسبك ما ذكره المؤرخ الطبيب الامريكي « كامستون » الشهير حيث قال : يعتبر ابن سينا معجزة من معجزات العقل الراجح ويجوز انه لم يسبقه ولم يظهر بعده من العلماء من يدانيه فى حدة الذكاء وسرعة نبوغ العقل بالنسبة لعمره ، مع عزم ونشاط لا يعرف الملل وهمة شاسعة الحدود ، وقد جمع في فسيح صدره كتابات

---

(١) عن عيون الانباء وتاريخ القفطي ومطرح الانظار وغيرها

ارسطو ، ووعى في خزانة معارفه حكمه وقواعده .

حياته

كان ابوه عبد الله ، من اهالى بلخ ، وانتقل فى ايام شبابه الى بخارا على عهد نوح ابن منصور الساماني ، ولما كان من العمال الكفاة فقد تولى بعض اعمال الحكومة في قرية من قرى بخارا تدعى « خرميثن » وفيها تزوج بفتاة من اهالى قرية (افشنة) تسمى « ستاره » وبقي حتى اولد بها الشيخ الرئيس وأخاه الاكبر ثم انتقل عبد ألله الى بخارا ، ولم يغادرها حتى ترعرع ولده المترجم فاحضر له معلماً للقرآن والادب (١) وسرعان ما اتقن ما أخذه ، ثم درس من هنا وهناك ، ولم يبلغ العاشرة من عمره حتى اتقن علم القرآن والادب وحفظ اشياء كثيرة من اصول الدين والحساب الهندي والجبر والمقابلة كما انه قرأ الشيء الكثير من الفقه على اسماعيل الزاهد.

ونقل تلميذه ابو عبدالله عبد الواحد ألجرجاني انه ـ اي الشيخ نفسه قال: كان ابي ممن أجاب داعي المصريين، ويعد من الاسماعيلية هو واخي الاكبر وانه سمع منها ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يعرفونه ويقولون به ، وربما كانا يتذاكران بينهما وانا اسمع منهما وادرك ما يقولانه ، ثم ابتدءا يدعوانني انا ايضاً اليه ويجريان على لسانهما ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ثم اخذ والدي يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى اتعلم منه وفي تلك الايام ورد الى بخارا ابوعبدالله الناتلي وكان يدعي الفلسفة فانزله ابي دارنا رجاء تعلمي منه فشرعت عنده بكتاب (ايساغوجي) وكنت قد اتقنت طرق المكالمة ووجوه الاعتراض على الوجه الذي جرت عادة القوم عليه ، فكنت اي مسألة قالها لي اتصورها خيراً منه حتى قرأت عليه ظواهر المنطق واما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر . ثم اخذت اقرأ الكتب بنفسي واطالع شروحها حتى احكمت علم المنطق ، وقرأت من كتاب اقليدس عليه خمسة

---

[١] وفي دائرة المعارف الاسلامية ان معلمه فيها يحتمل ان يكون ابا بكر احمد بن محمد الخوارزمي البرقي عن حاج خليفه

او ستة اشكال ، ثم توليت انا حل بقية الكتاب ، ثم انتقلت الى المجسطي ، وعندما فرغت من المقدمات وانتهيت الاشكال الهندسية . قال لي الناتلي : « تول انت قراءتها وحلها بنفسك ثم اعرض علي ما تقرأه لابين لك صوابه من خطائه) فكم كان من شكل مشكل ما عرفه الاوقت ما عرضته عليه وفهمته اياه ، ثم فارقني الناتلي متوجهاً الى كركانج انتهى كلامه

ولما انصرف الناتلي اخذ الشيخ يشتغل بنفسه في تحصيل الألهيات ، والطبيعيات وغيرهما وجد في مطالعتها وفهمها فكانت ابواب االعلم تنفتح عليه فيفهمها ويدركها ادراكا صحيحاً . ثم رغب بعد ذلك في علم الطب فتلمذ اولا على ابي سهل المسيحي ثم على ابي منصور الحسن بن نوح ثم اخذ يقرأ بنفسه ويطالع ويتأمل ويحل رموزه حتى اخذ يعالج المرضى لا على طريق الاكتساب بل تأدباً وممارسة وكان يقول :

« ان علم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم انني برزت فيه باقل مدة وهكذا درس ودرس العلماء والفضلاء من اهل هذا الفن فكانت نطس الاطباء واكابرهم يفدون عليه من كل حدب وصوب يأخذون منه ويستفيدون ثم تعهدته المرضى فانفتحت له ابواب المعالجات الصعبة من التجربة فاصبح عديم النظير والقرين وكان اذ ذاك عمره ستة عشر سنة وهو مع ذلك لم يفتر عن الفقه وساير العلوم والمناظرة فيها وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكاملها ولا اشتغل في النهار بغير المطالعة وكان ينظر الى كل مسألة نظر الناقد البصير فيراعى شروط مقدماتها ويحكم القياس فيأخذ النتيجة واذا ما اشكلت عليه مسألة توضأ وذهب الى المسجد الجامع وصلى وابتهل الى الله تعالى ان يسهلها دليه فيفتح الله له مغلقها .

واتفق ذات يوم ان نوح بن منصور الساماني سلطان بخارا قد اعتراه مرض عضال فعالجه الشيخ وبرىء على يده بسرعة فاكرمه واحترمه وسأله يوما الدخول الى مكتبته الشهيره فاذن له واذا بها دار كتب عديمة النظير وفيها من الكتب ما لم تره العيون ولم يطلع عليها احد فاخذ الشيخ يطالع ويستفيد اشياء لم يكن يدركها غيره حتى

حفظ كثيراً وطالع اكثر .

واتفق بعد مدة ان احترقت تلك المكتبة فلم ينل منها سواه واصبح منفرداً فيما حصله منها ، وعمره اذ ذاك لم يكمل الثامنة عشر سنة . وينقل عنه انه قال :

(لما بلغت الثامنة عشر من عمري فرغت من هذه العلوم كلها وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ولكنه معي اليوم انضج والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء ابداً)

وقد كان مع ما هو عليه من الاشتغال والبحث والتأليف والمطالعة والتدريس ، يتقلد هو وابوه بعض اعمال السلطان الساماني نوح بن منصور ثم توفي ابوه وهو ابن اثنى عشرة سنة ، وبقي هو بعده على الوظيفة ولكن لما اضطربت الامور السامانية خرج ابو علي من بخارا الى (كركانج) وهي قصبة من خوارزم وفيها علي بن مأمون بن محمد ملكا ، ووزيره ابو الحسين السهل ، وكان هذا محباً للعلوم ، وعندما حل الشيخ هناك اكرمه هذا الوزير واحترمه كثيرا ، وقربه من السلطان فعين له مرتباً شهريا يليق به وبامثاله . وقد كان الشيخ اذ ذاك بزي الفقهاء يلبس الطيلسان وتحت الحنك ثم بعد مدة انتقل من بخارا الى (فسا) ومنها الى (باورد) ومنها الى « طوس » ثم منها الى « مثقان » ثم الى (سمنقان) ثم الى « جاجرم » رأس حد خراسان ثم الى (جرجان) وقد كان كل قصده بهذا التنقل هو الوصول الى الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير ولكن لما كان الامير اذ ذاك قد قبض وحبس حتى مات ، عدل منه الى « دهستان » ومرض بها مرضاً شديداً فعاد بعد شفائه الى (جرجان) وهناك اتصل به ابو عبد الله الجرجاني الحكيم الشهير وتلميذه المعروف ونزل في الدار التي اشتراها له ابو محمد الشيرازي وكان من هواة هذه العلوم وفيها اي في جرجان الف كتابه « الاوسط » ولذلك سماه الاوسط الجرجاني املاه على تلميذه ابي عبدالله ثم صنف لابي محمد كتاب (المبدأ والمعاد) وكتاب (الارصاد) كما انه صنف كتباً كثيرة ايضاً فيها كان اهمها الكتاب الاول من القانون ومختصر المجسطي ، ثم انتقل الى الري ثم الى قزوين ثم الى همذان وهنا تقلد الوزارة للامير شمس الدولة وفي

وزارته هذه اختلف عليه العسكر فهجموا على داره ونهبوها وقبضوا عليه وسألوا شمس الدولة قتله فامتنع ، ثم اطلق فتوارى مدة في دار ابي سعد بن دخدوك حتى اتفق ان اصيب شمس الدولة بالقولنج فاحضره للعلاج واعتذر اليه واعاده وزيراً حتى مات شمس الدولة وخلفه تاج الدولة فلم يستوزره . ثم اتهمه تاج الملك بمطابقته لعلاء الدولة خصم الامير تاج الدولة فحبسه اربعة اشهر فى قلعة (فردجان) وهناك انشأ قصيدته التي يقول منها :

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في امر الخروج

ثم اطلق فغادر همدان الى اصفهان وكان فيها علاء الدولة ابو جعفر بن كاكويه فصادف عنده احتراما وتبجيلا ثم قصد علاء الدولة همدان فاخذها وانهزم تاج الدولة ثم رجع علاء الدولة عن همدان وعاد اليها تاج الدولة وحمل معه الشيخ الى همدان معززاً محترماً .

مؤلفاته

هناك اي في همدان بعد رجوعه من اصفهان مع تاج الدولة اشتغل بالتصنيف فكان من تصانيفه المنطق من الشفا وكان قد صنف الهداية وكتاب حي بن يقظان وكتاب القولنج والادوية القلبية وغيرها كثيراً .

وبالجملة فان سرد كتبه الجليلة النافعة جميعها لا يحتملها هذا المختصر غير ان العلامة الالماني (ويستنفلد) قد حصر مؤلفاته فى الطب والفلسفة والدين والفلك واللغة والادب والموسيقي والهندسة والمنطق والعلوم الطبيعية وغيرها فى ١٥٠ كتابا .

وقد نقل اكثرها الى اللغات الاجنبية الغربية والشرقية واتخذت كلها للتعليم وللاستفادة حتى كانت اروبا مدة قرون عديدة وكتب الشيخ مرجعها الوحيد فى الدراسة الطبية والفلسفية .

وكان من اشهر ما ترجم الى اللغات الاجنبية الاروبية هو كتاب القانون وقلب الانسان والارجوزة الطبية ومختصر الحيوان وكتاب الحجر الفلسفي والسماء والعالم

والنفس وما بعد الطبيعية والطبيعيات والكيميا والمنطق والحدود والتعريفات والفلسفة الاولى وغيرها .

وحيث ان القانون من اشهرها تأليفا واعمها نفعا واسماها منزلة نذكر لك بعض ترجماته وطبعاته .

فقد ترجم الى اللاتينيه في طليطلة في القرن الثالث عشر ترجمه «جيراردي تريمونا» ونشرت منه طبعة عربية في روما سنة ١٥٩٣ م وفي بولاق بمصر سنة ١٨٧٧ م وفي الهند سنة ١٣٢٣ م . وظهرت له في اروبا عدة شروح وترجمت اجزاء اخرى منه الى اللغة الافرنسية والالمانية والانجليزية وغيرها من لغات اروبا كما ترجمت الى التركية والفارسية ايضاً .

وبالجملة فقد كان القانون من اجل الكتب التي تدرس في جامعتي (مونبيلية) «ولوفان» الى اواسط القرن السابع عشر كما كان البرنامج الطبي في « فينا » سنة ١٥٢٠ م وفي « فرنكفورت » سنة ١٥٥٨ م اكثره على القانون وعلى المنصوري قال العلامة الاستاذ « ساربوري» في كتابه (تاريخ العلم) كان كتاب القانون ذلك المعلم الطبي العظيم توراة الطب اي دستوره المقدس وقال الدكتور المحقق « ماكس مايرهوف » في كتابه تراث الاسلام ان ابن سينا قد جمع في قانونه تراث اليونان الى اختبار العرب فكان أسمى ما بلغه التنظيم العلمي العربي . ثم قال في موضع آخر (والمرجح انه لم يوضع في تاريخ الطب كتاب عني العلماء بدراسته كهذا الكتاب اي القانون

ولكن منذ القرن السابع عشر الى التاسع عشر وضعت كتب افرنجية زاحمت القانون في نفوذه وان كان تأثيره لم ينقطع تماماً

ومن مشاهير كتبه ايضاً كتاب الشفا وكتاب النجاة وهما اللذان يقول فيهما بعض خصوم الشيخ « ١ » عندما حبسه علاء الدولة ومات في الحبس على قول ضعيف

(١) كما في ابن خلكان

رأيت ابن سينا يعادى الرجال وفي الحبس مات اخس الممات
فلم يشف ما نابه بالشفا ولم ينج من موته بالنجاة

وقد انكر المؤرخ الطبيب ابن ابى اصيبعة واللاهجي وغيرهما حبسه وموته في السجن وقالا : ان الراوي لهذين البيتين هو كمال الدين بن يونس خصم الشيخ : ان الحبس هنا مؤول بحبس الطبيعة الذي مات به الشيخ

ميزته الطبية

لقد امتاز الرئيس ابن سينا على ابقراط وارسطو وجالينوس بدقته في مناقشة الحالات المرضية ومهارته في فن التشخيص ومبحث اسباب الامراض .

فهو أول من وصف الالتهاب السحائي اي البرسام الحاد وميزه عن سائر الامراض الحادة المصحوبة بالهذيان وقد كان ذلك يشتبه على اليونانيين ، وهو اول من اوضح ان التهاب البللورا « ذات الجنب » والتهاب الرئة (ذات الرئة) قد تنتج عنهما اعراض سر سامية ، وان التهاب السحايا في تلك الحالات يعتبر نذيراً بالموت .

وهو اول من اجاد في شرح امراض الجهاز التنفسي ، وأتقن وصف الامراض العصبية وله الفضل في ابتكار كثير من طرق العلاج النفساني .

وهو اول من اختص بالقول بان الحصبة اكثر ما تكون عدواها في الربيع والخريف ، وأنها أكثر وقوعاً في هذين الفصلين وأن الاطفال اكثر اصابة بها وهو اول من وصف علاج البواسير بالشق .

وهو اول من اكتشف اندغام عضلات العين وادخل من انواع العقاقير الطبية في العلاج كثيراً لم يكن مستعملا من ذي قبل .

وهو اول من اكتشف الطفيلية اي الدودة الموجودة في الانسان المسماة اليوم في اصطلاح الطب الحديث « انكلستوما » وقد ذكرها في فصل ديدان المعدة من كتاب القانون وقد اعاد اكتشافها الدكتور (روبينى) الايطالي في القرن التاسع عشر اي بعد اكتشاف ابن سينا بتسع قرون وقد اخذ جميع مؤلفي الغرب بهذا

الرأي في مؤلفاتهم الحديثة سيما في مؤسسة (روكفلر) معترفين لابن سينا بالفضل في سبقه وهو اول من اكتشف الآلة المسماة اليوم (الوارنية) وهي الآلة المستعملة لقياس الاطوال بالدقة المتناهية .

وهو اول من شرح قلب الجنين وقسمه الى الاقسام المعروفة عندنا اليوم ووصف الثقب الموجود في الجدار الفاصل بين الاذينين وقال : ان هـذا الثقب يسد حالا عندما يتنفس المولود لاول مرة وبذلك تبتدىء الدورة الدموية الرئوية .

قال الطبيب المورخ الشهير (غريغور يوس) وهو قريب العهـد من ابن سينا : ان اول حكيم توسم بخدمة الملوك هو ارسطاطاليس الفيلسوف اليوناني وبعده الشيخ الرئيس وقد كانت الحـكماء تترفع عن امثال هذه الخدمة ثم قال : وان الشيخ كان هو اول حكيم شغف بشرب الخمرة واستفراغ القوة الشهوانية .

تلاميذه :

ان تلاميذ الشيخ كثيرون لاتحصى اسماؤهم غير انا نذكر منهم من لازمه وكان في خدمته واشهر هؤلاء اثنان احـدهما الحكيم الفاضل ابو عبد الله عبد الواحد بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٤٣٨ في همدان والمدفون عند استاذه ، وثانيهما الحكيم الماهر الكامل ابو عبد الله المعصومي (١) الذي قال استاذه الرئيس فيه ابو عبدالله مني بمنزلة ارسطو من افلاطون . وهو الذي كتب الشيخ له رسالة العشق باسمه .

وذكرت له دائرة المعارف الاسلامية : نقلا عن البعمر قنديّ . اباالحسن بهمنيار ابن المرزبان الآذربايجاني وابا منصور ابن زيلا (٢) واضاف بن ابي اصيبعة . ابا القاسم عبد الرحمن النيسابوري ، والسيد عبدالله بن يوسف شرف الدين الايلاقي هؤلاء هم اشهر تلاميذه الذين حملوا عنه رسالة العلم والحـكمة الى انحاء المعمورة

« ١ » المذكور في حرف الالف من هذا الكتاب

٢ وفي تاريخ الفلسفة في الاسلام هو ابو الحسين بن طاهر بن زيلة المتوفي سنة ٤٤٠

وهناك فطاحل كثيرون غيرهم لا يسع هذا المختصر ذكر اسمائهم جميعا اكتفينا بمشاهيرهم

ولادته ووفاته

اختلف المؤرخون في تأريخ ولادته واكثرهم على انه ولد سنة ٣٧٠ وتوفى سنة ٤٢٨ منهم القفطي وابن خلكان مستندين على قول تلميذه الجرجاني وخالفهم في ذلك ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء ومحب الدين الخطيب في منطق المشرقيين وقالا : ان ولادته كانت في سنة ٣٧٥

اما المستشرقون من المؤرخين كالعلامة (كارادو) الافرنسي صاحب (عظماء الفلاسفة) والفيلسوف الالماني « بوثر » وغيرهما من علماء الغرب فكلهم على ان ولادته كانت سنة ٩٨٠ م الموافقة سنة ٣٧٠ هـ وعلى هذا يكون عمره عند وفاته وهي سنة ١٠٣٨ م وسنة ٤٢٨ هـ ٥٨ عاما

وقد كانت وفاته في همدان وبها دفن وقبره معروف حتى اليوم . اما سبب وفاته فقد كان الشيخ قوي المزاج تغلب عليه شهوة الجماع وكان مكثراً حتى انهك وضعف ولم يكن يداري مزاجه او يعتني بصحة بدنه واتفق ان عرض له مرض القولنج فحقن نفسه في يوم واحد ثمان مرات حتى تقرحت بعض امعائه وحدث له سحج وقد اضطر وهو في تلك الحال الى السفر مع علاء الدولة فحصل له الصرع الذى قد يعقب القولنج احيانا فامر بوضع دانقين من بزر الكرفس في جملة مايحقن به غير ان الطبيب الذى كان يتولى تمريضه وضع بدل الدانقين خمسة دراهم فازداد السحج ثم طرح بعض غلمانه في دوائه الذي يشربه كثيراً من الافيون لانهم كانوا قد خانوه في امر من اوامره وخافوا من عاقبة عملهم اذا برىء ، فاشتدت حاله وقوى المرض وهو مع ذلك لا يحتمي في الاكل ، فاخذ يمرض اسبوعا ويصحو اسبوعا ثم رجع الى همدان بصحبة الامير فعاوده المرض وهو القولنج مرة اخرى في الطريق ولم يصل همدان حتى ضعفت قوته واشرفت على السقوط ولكنه اهمل العلاج وكان يقول ان الذى في بدني قد عجز المدبر عن تدبيره فلا تنفعني المعالجة ولاجل ذلك فقد

اغتسل وتاب توبة نصوح عن كلما مضى من افعاله وليس له من الاعمال المنكرة الا معاقرة الخمرة ثم تصدق بكلما معه على الفقراء ورد المظالم على اهلها الذين عرفهم واعتق مماليكه وجعل يختم في كل يوم وقيل كل ثلاثة ايام ختمة قرآن حتى مات سليم العقيدة سليم الباطن رحمه الله

وقد كان له عهد خاص كتبه عند توبته عن شرب الخمر منه قوله :

اللهم ليس لك شريك فارجوه ولا وزير فارشوه اضعتك لمشيتك فلك المنة لدي وعصيتك بجهلي فلك الحجة علي فانا متبع سيد الرسل ومقر بتحريم هذا الخمر غير ان قضاءك حاكم علي وقدرك نافذ في واخلاق الطباع البشرية جاذبة بزمام نفسي الامارة بالسوء الى الأستلذاذ بشربها وذلك لامرين احدهما للتداوي في البلدان الوخمة عن مضار الاهوية الوبائية والثاني لابداء الشهادة التي نطق بها كتابك العزيز وهو قولك ومنافع للناس ولفظ الجمع دال على احتمالات اصلها ما استمد به بدن الانسان صحته لتحصل به قوة الهيكل البشري على الطاعة لقوله (ص) من صحت طبيعته فقد صحت شريعته فان استغرقت في استعماله واشغلني السكر عن الشكر ، فانت اولى بالعفو عن جريمتي لانك انت القادر وذلك منك اجمل الى آخر العهد وهو طويل جميل

ادبه وشعره

كان الشيخ الرئيس مع فضله العظيم وعلمه الغزير ومكانته السامية في الفلسفة وجميع الفنون النظرية والعملية اديباً كاملا وشاعراً بليغاً دقيق الطبع حسن النظم رقيق المعاني نفيس المباني تتخلل الفاظه الغضة ازاهير الخيال المنير وتمازج نظمه الحكمة والفلسفة في اغلب الاحيان . ولقد رأينا اراجيز شتى في فنون عديدة منها ارجوزته المشهورة في الطب ومنها ارجوزته في المنطق المساة بالقصيدة المزدوجة والتي عملها باسم ابي الحسن بن سهل بن محمد السهيلي الوزير واولها .

الحمد لله الذي لعبده ... نيل السناء لا له في حمده
والحمد لله كما يستوجب ... لعزه العالي الذى لا يغلب

وعدد ابياتها ٢٩٧ بيتاً وهو مع ذلك كاتب بليغ وناثر لايجارى .

وقد ذكر في سبب تعلمه اللغة والادب : ان اتفق حضوره ذات يوم في مجلس علاء الدولة في اصفهان ، وفي المجلس ابو منصور الجبائي ، فدار الكلام في اللغة العربية ، والأدب العربي ، فتكلم الشيخ وعارض ابا منصور ، فقال له ابو منصور : انما انت مسلم الفضيلة في العلوم العقلية ، اما اللغة والادب فلست فيها حجة . فسكت الرئيس ولم يتكلم ، ولكنه اضمر تعليمهما واخذ نصيبه منهمافقام يجد في الخفاء حتى برع فيهما في مدة ثلاث سنين ثم انشأ ثلاث قصائد بديعة تشتمل على الفاظ فصيحة عربية ومعان بليغة مبتكرة وعمل ثلاث رسائل كانت احداها على طريقة ابن العميد والثانية على طريقة الصاحب ابن عباد ، والثالثة على نسق اسحاق الصابي ، ثم جلدها واخلق جلدها وارسل الجميع الى الملك علاء الدولة وطلب منه ان يسأل بها ابامنصور وانها وجدت بين الكتب القديمة حيث لا يعلم صاحبها ولا قائلها وهكذا فعل الملك فتأملها ابو منصور متعجباً ولكنه لم يفهم بعضها وحضر الرئيس فاخذ يفسر هاله . ويسند الفاظها ومعانيها الى كتب اللغة حتى تفوق بها عليه . فادرك ابو منصور انهاله فخجل واعتذر للشيخ عما بدر منه قبل ثلاث سنين وسلم له بالفضل والفضيلة في كل معقول ومنقول .

ثم ان الشيخ شرع في تأليف كتاب في اللغة اسماه « لسان العرب » ولكنه نهب ولم تبق له نسخة ابداً .

اما بديع نظمه فكثير منه قوله .

هذب النفس بالعلوم لترقى ... وذر الكل «١» فهي للكل بيت
انما النفس كالزجاجة والعلم ... سراج وحكمة الله زيت

«١» كل وبعض معرفتان ولم يأتيا بالالف واللام عند العرب قال الجوهري ولسان العرب وغيرهما ولكن ذلك جائز لانهما اي الالف واللام يعتبر ان بدلا من الاضافة اللازمة لهما اي للفظة كل وبعض

فاذا أشرقت فانك حي　　واذا اظلمت فانك ميت

وله في الشيب والحكمة والزهد قوله :

أنا اصبحت عن ليل التصابي　　وقد اصبحت عن ليل الشباب
تنفس في عذارك صبح شيب　　وعسعس ليله فكم التصابي
شبابك كان شيطاناً مريدا　　فرجم من مشيبك بالشهاب
عفا رسم الشباب ورسم دار　　لهم عهدي بها مغنى رباب
فذاك ابيض من قطرات دمعي　　وهذا اخضر من قطر السحاب
فذا ينعى اليك النفس نعياً　　وذلكم نشور للروابي
كذا دنياك ترأب لانصداع　　مغالطة وتبنى للخراب

الى آخرها . وله في الخمرة قوله .

حيها في الكأس صرفاً　　غلبت ضوء السراج
ظنها في الكأس ناراً　　فطفاها بالمزاج

وله فيها ايضاً .

قم فاسقنيها قهوة كدم الطلا　　يا صاح بالقدح الملا بين الملا
خمر تظل لها النصارى سجداً　　ولها بنو عمران اخلصت الولا
لو انها يوماً وقدولعت بهم (١)　　قالت ألست بربكم قالوا بلى

وله فيها ايضاً قوله .

شربنا على الصوت القديم قديمة　　لكل قديم أول هي أول
ولو لم تكن في حيز قلت انها　　هي العلة الاولى التي لا تعلل

وقال في شكوى الزمان

عجباً لقوم يحسدون فضائلي　　ما بين عيابي الى عذالي
عتبوا على فضلي وذموا حكمتي　　واستوحشوا من نقصهم وكمالي

«١» كذا ولو قيل ولهوابها لكان اظهر

اني وكيدهم وما عتبوا به ... كالطود يحقر نطحة الاوعال
واذا الفتى عرف الرشاد لنفسه ... هانت عليه ملامة الجهال

وشكى اليه الوزير ابو طالب العلوي يوماً آثار بثور بدت على وجهه وجبهته وانفذ الشكاية شعراً بقوله :

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه ... وغرس انعامه بل نشأ نعمته
يشكو اليه أدام الله مدته ... آثار بثر تبدى فوق جبهته
فامنن عليّ بحسم الداء مغتنماً ... شكر النبيّ له مع شكر عترته .

فأجابه الشيخ على الفور مرتجلا بقوله :

الله يشفي وينفي ما بجبهته ... من الأذى ويعافيه برحمته
اما العلاج فاسهال يقدمه ... ختمت آخر ابياتي بنسخته
وايرسل العلق المصاص يرشف من ... دم القذال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره إلا الخفيف ولا ... يدني اليه شراباً من مدامته
والوجه يطليه ماء الورد معصراً ... فيه الخلاف مدافاً وقت هجعته
ولا يضيق منه الزر مختنقاً ... ولا يصيحن ايضاً عند سخطته
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى ... اثار خير ويكفي أمر علته

ومن جملة نصائحه الطبية الشعرية قوله في قصيدة

في أول النزلة فصد وفي ... أواخر النزلة حمام
بينهما ماء شعير به ... صحت من النزلة أجسام

الى آخرها وهي طويلة . وله القصيدة العينية الشهيرة في النفس وهي اشهر من ان تذكر يمثل فيها حال الروح وتعلقها من سماء الازلية بهذا الهيكل البدني العنصري ومن ثم فراقها منه الى الخلود والأبود ، وهي قوله :

هبطت اليك من المحل الارفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف (١) وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات توجع
انفت وما الفت فلما واصلت انفت مجاورة الخراب البلقع
واظنها نسيت عهوداً بالحمى ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بها هبوطها من ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت بين المعالم والطلول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهوداً بالحمى بمدامع تهمي ولما تقلع
وتظل ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الاربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها قفص من الاوج الفسيح المربع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
وغدت مفارقة لكل مخلف عنها حليف الترب غير مشيع
هجعت وقد كشف الغطاء فابصرت ما ليس يبصر بالعيون الهجع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلاي شيء اهبطت من شامخ عال (٢) الى قعر الحضيض الاوضع
إن كان اهبطها الآله لحكمة طويت على الفذ (٣) الاليب الاروع
فهبوطها ان كان ضربة لازب (٤) لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

وقد عورضت هذه القصيدة العصماء وبعبارة اصح جارها كثير من الشعراء والحكماء في مختلف العصور والاجيال وممن جاراها في عصرنا هذا المرحوم امير الشعراء

(١) وفي رواية ناظر (٢) وفي رواية شاهق سام (٣) وفي رواية الفطن
(٤) وقيل لازم

أحمد شوقي الشاعر المصري الشهير المتوفى سنة ١٣٥١ هـ . بهذه القصيدة التي يقول منها:

ضمي قناعك يا سعاد أو ارفعي ... هـذي المحاسن ما خلقن لبرقع
الضاحيات الضاحكات ودونها ... ستر الجلال وبعد شأو المطلع
يادميـــــة لا يستزاد جمالها ... زيديه حسن المحسن المتبرع
ماذا على سلطانه من وقفة ... للضارعين وعطفة للخشع
بل ما يضرك لو سمحت بجلوة ... إن العروس كثيرة المتطلع
ليس الحجاب لمن يعز مناله ... إن الحجاب لهين لم يمنع
أنت التى اتخـذ الجمال لعزه ... من مظهر ولسره من موضع

الى ان يقول :

ذهب ابن سينا لم يفز بك ساعة ... وتـولت الحكماء لم تتمتع
هذا مقام كل عز دونه ... شمس النهار بمثله لم تطمع (١)
فمحمد لك والمسيح ترجلا ... وترجلت شمس النهار ليوشع
ما بال احمد عي عنك بيانه ... بل ما لعيسي لم يقل او يدعي
ولسان موسى انحل الا عقدة ... من جانبيك علاجها لم ينجع

الى آخرها وهي طويلة تجدها في ديوانه ، وممن جاراها ايضاً الشاعر المهجري ، الطائر الصيت ايليا ابو ماضي تحت عنوان العنقاء وهي قوله من قصيدة .

انا لست بالحسناء اول مولع ... هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي
فاقصص علي اذا عرفت حديثها ... واسكن اذا حدثت عنها واخشع
ألمحتها في صورة أشهدتها ... في حالة أرأيتها في موضع ؟
اني لذو نفس تهيم وانها ... لجميلة فوق الجمال الابدع
ويزيد في شوقي اليها انها ... كالصوت لم يسفر ولم يتقنع
فتشت جيب الفجر عنها والدجى ... ومددت حتى للكوكب اصبعي

---

(١) وقيل لم تطامع

فاذا هما متحيران كلاهما في عاشق متحين متضعضع
واذا النجوم لدمها او جهلها مترجرجات في الفضاء الاوسع

الى آخرها واذا اردتها تجدها في ديوانه المعنون « بالجداول ».

وممن جاراها من العلماء الحكماء العلامة الكبير المغفور له الشيخ محمد جواد البلاغي صاحب الهدى النجفي بقوله :

نعمت بان جاءت بخلق المبدع ثم السعادة ان تقول لها إرجعي
خلقت لا نفع غاية يا ليتها تبعت سبيل الرشد نحو الانفع
نعمت بنعماء الوجود ونوديت هذا هداك وما تشائي فاصنعي
ودعي الهوى المردى لئلا تهبطي في الخسر ذات تفجع وتوجع
ان شئت فارتفعي لارفع ذروة وحذار من درك الحضيض الاوضع
ان السعادة والغنى ان تقنعي موفورة وكذا الشقا ان تطمعي
فتنعمي وتزودي وتهذبي وتلذذي وتكملي وتورعي
وببهجة العرفان والعلم ابهجي ولنزع اطمار الجهالات اسرعي
وخذي هداك فتلك اعلام الهدى زهر سواطع في الطريق المهيع(١)
وتزوجي بشذا الطريق وأملي عقبى سواك الى الجناب المرع(٢)
نجد (٣) وكل طريقها روض وفي المسرى اليها بلغة المتمتع
وهناك إدراك المنى وكرامة المأوى لدى الشرف الاعز الامنع
هي غادة برزت جمالا واختفت لطفاً وزفت في الوجود ببرقع
برزت محجبة فتاه ذوو الهوى في كنهها وصفاً وكل يدعي
قربت وباعدت الظنون وان تكن ضمنت مخايلها(٤) حواني الاضلع
ام اين من عرفانها متكلف ان تاه بالآراء قيل لها قع

---

(١) الواسع البين (٢) الجناب الفناء والمرع المخصب (٣) ما ارتفع من الارض واشرف (٤) العلائم

أؤل الاشراف فى عرفانها   مهلا فانك فى ظلام اسفع (١)
تسعى برأيك نحوها ياهل ترى   وجد الهدى ساع برأي مضيع
سل عن حقيقتها ومعناها الذي   قد زقها محجوبة لك اودع
كم قائل فيهـــا يقول وسائل   وجوابها في يسئلونك(٢) ان يع

وهكذا فقد اصبحت فطاحل الشعراء ونوابغ الادباء والحكماء تتبارى وتتسابق في مجاراة تلك القصيدة العصماء النفس. ولو اردنا ذكر من جارها لضاق بنا هذا المختصر

وللشيخ غير ما ذكرنا شعر كثير لو جمعناه لكان كتابنا هـذا ديوان للشيخ الرئيس ولذلك فقد اكتفينا بما ذكرنا .

ادبه الفارسي

لقد ابت هذه الشخصية الفذة شخصية الرئيس ابن سينا ، الا الكمال من جميع نواحيه فقد كانت له اليد الطولى والمعرفة الكاملة في الادب الفارسي كما هي له في الادب العربي وان له في النظم الفارسي ما لا يقل عن نظم اعاظم شعرائهم فمن ذلك قوله

أز قعر كل سياه تا اوج زحل   كردم همه مشكلات گيتي را حل
بيرون جستم زقيد هر مكر وحيل   هر بند كشاده شد مكر بند اجل

وتعريبهما قولي نظما :

اوضحت في الكون منه كل مشكلة   من اسفل الارض حتى منتهى زحل
نجوت من عقبات الدهر وانفرجت   كل المشاكل الا مشكل الاجل

وله ايضاً قوله باللغة الفارسية :

ما ئيم بعفو تو تولا كرده   وز طاعت ومعصيت تبرا كرده
انجا كه عنايت تو باشد باشد   نا كرده چو كرده كرده چون نا كرده

ومضمونه بالعربية هو قولي نظما

توليت عفوك إذ لم أر   الاطاعة والذنب شيئاً يريع

---

(١) اسود (٢) يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي . الايه

إذا شمل العفو منك العباد . فسيان عاصيهم والمطيع

ولما كانا شبه انكار للحقيقة أجابه الحكيم أبو سعيد الخيري المعروف بقوله :

اي نيك نكرده وبديها كرده وانكه بخلاص خود تمنا كرده
بر عفو مكن تكيه كه هرگز نبود نا كرده چو كرده كرده چون نا كرده

وتعريبهما هو قولي :

عصيت ولم تعمل الصالحات ورحت تمنى لك المخلصا
فما العفو مستند الخاطئين وليس المطيع كمن قد عصا

وله أيضاً قوله :

كفر چو مني گزاف واسان نبود محكمتر از إيمان من إيمان نبود
در دهر يكي چون من ومن هم كافر بس در همه دهر يك مسلمان نبود

وتعريبهما قولي أيضاً :

كفر مثلي لم يكن سهلا وما من يقين كيقيني أحكما
انا فرد الدهر إن أكفر فلا أحد فى الدهر يدعى مسلما

٦٢ – حسين بن سليمان الحلي * ١٢٣٦ هـ

السيد حسين بن السيد سليمان الطبيب الحلي . عالم فاضل شاعر مطبوع متوسع فى علم الطب ، والحكمة ، والنجوم وله فى الأدب ، والترسل باع طويل .

جليل القدر ، كامل الرياسة ، وله هيبة فى صدور الخاصة ، والعامة . وكان مطاعاً عند حكام الحلة وولاة بغداد . وكان يلقب بالحكيم .

توفي في الحلة سنه ١٢٣٦ هـ فكان لفقده رنة أسف فى الحلة والنجف الأشرف ورثاه أكثر شعراء البلدين وأحسن ما قيل فى رثائه قصيدة المرحوم الشيخ صالح التميمي التي يقول فى أولها :

(*) عن كتاب البابليات المخطوط للخطيب الاديب الشيخ محمد علي اليعقوبي النجفي

وقال أيضاً :

رضيت لنفسي حب آل محمد   طريقة حق لم يضع من يدينها
وحب علي منقذي حين تجتوي (١)   لدى الحشر نفس لا يفادى رهينها

وله أيضاً قوله :

أبا حسن هذا الذي أستطيعه   بمدحك وهو المنهل السائغ العذب
فكن شافعي يوم المعاد ومؤنسي   لدى ظلمات اللحد إذ ضمني الترب

وذكر له صاحب السلافة في كتابه « أنوار الربيع » في مدح والده السيد أحمد قوله :

خليلي عوجا بي على أيمن الحمى   لعل سماحاً بالوصال تسامح
سواء على الموت أم شطت النوى   بسمحاء أم حز الوريدين ذابح
تجنبتها لا عن ملال ولا قلى   ولكن مصاب يصدع القلب فادح
وان رمت اسلو حبها حال دونه   رسيس (٢) جوى ضمت عليه الجوانح
قضى الله يا سمحاء بالبين بيننا   ألا كل ما يقضي به الله صالح
حنانيك أنت الداء والبرء إنما   يفوز ويشقى فيك دان ونازح

ثم يتخلص في مدحه . وقال ومن غريب الاتفاق ان هذه الأبيات جرت على لسان الشيخ مجرى الفال حيث قضى الله سبحانه بالفراق بينه وبين فتاته (سماح) فتوفي بعد نظمه لهذه الأبيات بأيام يسيرة ، وله شعر غيره كثير اكتفينا منه بما ذكرنا

٦٦ حسين بن منصور الاسنائي ...

الحسين بن منصور بن الحسام الطبيب الاسنائي ذكره ابن شمس الخلافة ايضاً فقال : هو رجل أديب فاضل لبيب اشتغل بصناعة الطب فكان بها قيما وعرف بالمعرفة فاصبح بها متوهماً ؛ يطرف جليسه بمحاسن العلوم ويعرف في البحث عن كل خفي من

(١) تجتوي أي تمل وتكره مقامها (٢) الرسيس أول مس الحمى ورسيس الجوى ابتداء حرارته

المعارف مكتوم. ولقد حاضرته وذاكرته فرأيت رجلا قد أخذ من كل علم قدحا وافراً، واطلع من كل فضيلة نوراً باهراً، مردد الهمة بين الآراء الفاضلة المستقيمة من افانين العلوم القديمة، من فلسفة محمودة وبصيرة سديدة، وعلوم منطقية وصنائع هندسية ودقائق حسابية ومعارف نجومية ونكت طبيعية وحقائق طبية وفضائل أدبية وخلائق شرعية وطرائق ما خرجت عن القوانين الدينية .

رفض الشعر ولم يرضه بضاعة اكتساب ولا جعله وسيله يفتح بها ابواب الطلاب ومن شعره قصيدته التي مدح بها سراج الدين بن حسان الاسنائي :

باحت اسارير من اهوى باسراري ووازرته على تعظيم أوزاري
واشرق النور من نور بمبسمه فأبتز عقلي بنوار وانوار
وما بخديه من نار فمن لهب أفاض دمعي واصلى القلب بالنار
حتى جعلت لظى قلبي له قبساً ليهتدي بضياء طيفه الساري
وما خلعت عذاري فيه من سفه لولا قيام عذاريه باعذار
وما أمات اصطباري في لهوى جزعاً الا بشفرة سيف بين اشفار
وليلة بات فيها بدرها خجلا مذ زار يدر على بدر السما زاري
وبات يبكي النجوم الزهر مبتسما وروضنا ضاحك عن زهر أزهار
الورق تسجع في اوراقها سحراً اسجاع كل غضيض الطرف سحار
لم أدر اي سماعيها الذ به انشاد قمريها أم شدو اقمار
حتى تبدت يد الاصباح تهتك ما زرته ايدي الدجى من جيب استار
فقربت كل مكروه ومجتنب وبعدت كل محبوب ومختار

ومنها يقول :

فرع من المجد عن اصل الفخار نما وما سواه فصلصال كفخار
كاسى المناقب من نسج الثنا حللا ينمى الى شرف عار من العار

. ثم وصفه صاحب نسمة السحر بهذا وأمثاله حتى قال: «ولم يزل بعد أبيه عماد تلك البلاد، ثم بعد وفاة المؤيد بن المتوكل طلب الامامة بالدعوة، وتمت له خطوب وتنقل بين الحبس والاطلاق حتى توفي سنة ١٢١٢ هـ في حدة ثم نقل الى شبام (١) بوصية منه

وقد كان كامل الفضائل إماماً من أئمة الادب كما كان له المام قوي بعلم الطب حتى عرف به.

وله شعر لم يدون اكثره، ومنه قوله من قصيدة.

خففف على ذي لوعة وشجون ... واحفظ فؤادك من عيون العين

فلكم فؤاد واجب (٢) من سهمها ... المسموم او من سيفها المسنون

واترك ملامة مغرم في حب من ... اغنت محاسنه عن التحسين

وله في جارية اشتراها من رجل اسمه ابو بكر على ان تكون بكراً فظهرت انها ثيب فقال

شرينا من أبي بكر قتاة ... فدلس انها بكر بمكر

وكم من حيلة جازت علينا ... وما هي من أبي بكر بنكر «٣»

وله شعر غيره كثير لا يسعه هذا المختصر.

٦٥ - حسين بن جندار الكركي (*) ٩٧٢ـ١٠٣٦ هـ

حسين بن شهاب الدين محمد بن حسين بن جندار البقاعي العاملي الكركي الحكيم كان عالماً، فاضلاً، ماهراً، أديباً، شاعراً منشئاً من المعاصرين، له كتب منها شرح نهج البلاغة كبير؛ وعقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر، وكتاب كبير في الطب، وكتاب مختصر في الطب، وحاشية على البيضاوي، ورسائل في الطب، وغيرها مثل هداية الابرار في أصول الدين ومختصر الأغاني وكتاب الاسعاف،

«١» شبام بكسر الشين جبل عظيم فيه نخل وعيون بينه وبين صنعا ثمانية فراسخ

(٢) خافق (٣) كذا وردت بالنون ولعلها بالباء فتكون بها تورية جميلة

(*) أمل الآمل لشيخ محمد الحر وروضات الجنات للنوري والسلافة للسيد علي خان

ورسالة في طريقة العمل وديوان شعر وشعره جيد خصوصاً مدائحه لأهل بيت النبوة عليهم السلام .

سكن إصفهان مدة ثم حيدرآباد سنين ومات بها . وكان فصيح اللسان حاضر الجواب متكلماً حكيماً حسن الفكر عظيم الحفظ والاستحضار توفي سنة ١٠٣٦ عن ٦٤ عاماً

وذكره البديعي في كتابه ذكرى حبيب فقال :

« هو ثاني أبي الفضل البديع الهمداني وثالث ابن حجاج والواساني اشتغل في الطب في آخر عمره فتحكم في الأرواح والأجسام بنهيه وأمره » .

وقد دون مدائحه وسماها كنز اللآلي . وجمع أهاجيه وسماها بالسلاسل والأغلال

وذكر صاحب السلافة بعد ترجمته ووصفه بما يستحق ان له شعراً منه قوله :

وأقسم ماالفلاك الجواري تلاعبت ... بها الصرصر النكباء في لجة البحر
بأكثر من قلبي وجيباً وشملنا ... جميع ولكن خوف حادثة الدهر

وقال وقد ورى باسمه :

جودي بوصل أو ببين ... فاليأس إحدى الراحتين
أيحل في شرع الهوى ... أن تذهبي بدم الحسين ؟

قال العلامة الحر في أمل الآمل : وعندي من شعره كثير بخطه في مدح أهل البيت (ع) منه قوله :

وخاض أمير المؤمنين بسيفه ... لظاها وأملاك السماء له جند
وصاح عليهم صيحة هاشمية ... تكاد لها شم الشوامخ تنهد
غمام من الاعناق تهطل بالدما ... ومن سيفه برق ومن صوته رعد
لقد ضل من قاس الوصي بضده ... وذو العرش يأبى أن يكون له ند

إلى خرها وهي طويلة وله أيضاً من قصيدة :

هل أصبحت إلا بصارم حيدر ... جزراً تنوشهم السباع كرامها
وكأنهم اذ صال في أوساطهم ... شاء تخلل بينها ضرغامها

لا زلت تنجز ما وظفت من عدة   هلا تفضلت بالأسعاف بالسعف
فعجل البر قبل البرد مبتدراً   فالشيخ يشقى بلا نار على التلف

فارسل اليه السعف ، واجابه بقوله :

محمد يا زكي الوسط والطرف   لا تجعلن ودنا وقفاً على طرف « ١ »
من سره أن يرى كل الورى جمعت   بواحد فليرى ما فيك وليقف
من همه في إكتساب المجد مرتقياً   وهم بعضهم في الباه والعلف

وله من قصيدة في رثاء الشيخ الأكبر حجة الأسلام الشيخ جعفر صاحب كتاب كشف الغطاء وأبي الأسرة النجفية الشهيرة في النجف الاشرف المتوفى سنة ١٢٢٨ ﻫ

ايدري الدهر اي علا ازالا   وأبي دعام دين قد أمالا
وهل ترقى الخطوب الى الثريا   وقد بعدت عن الأيدي منالا
فقدنا جعفراً والعلم حتى   كان العلم كان له خيالا
لقد ذهب الذي كانت لديه   جميع الناس عاكفة عيالا

وهي طويلة اخذ أكثر معانيها من قصيدة الشريف الرضي في رثاء الصاحب بن عباد رحمه الله اقول : ولم أجد بالرغم من كثرة تفحصي وتتبعي لاحواله مؤلفاً للمترجم ولا رسالة في الطب أو في الأدب كما واني لم أجد مترجماً له سوى البابليات

٦٣ — الحسين الجيلاني الطبيب * ...

الحسين الجيلاني السيد العالم الطبيب البغدادي القادم الى صنعا سنة ١٢٣٦ ﻫ ويتصل نسبه بالشيخ عبد القادر الجيلاني المعروف

كانت له معرفة بجميع العلوم الحكمية ، وله في الطب اليد الطولى ، والاتقان التام ، ومعرفة بالنبض مع اطلاع على اصول الفقه وفروعه وعلم الحديث وجميع العلوم

(١) الطرف هو الجهة والطرف عند العامة الواحدة من السعف فكأنه قال لا تجعل ودنا وقفا على جهة واحدة او وقفاً على طرف من السعف

(*) عن نيل الوطر

الالهية . وله سليقة عجيبة في الشعر مع لطف طباع وحسن سمت .

ولما قدم صنعاء مكث بها مدة ، ثم عزم منها الى استامبول ، ثم عاد الى صنعا .

قال ومن شعره ، مجيباً السيد محسن بن عبد الكريم عندما دعاه الى الروضة :

يا مرحبا بنظام قد أتى يحدو ... على رياض الأماني جادها العهد
وكادت النفس من حر الغرام بها ... تذوب شوقاً ولكن صدها البرد

وقال أيضاً من قصيدة الى السيد المذكور . جواباً عن قصيدة بعثها اليه :

سقاك وما يسقى العميد اذا استقى ... لريم ثوى بين الاجارع (١) والنقا (٢)
واهدى بها مرعى لغزلان حاجر ... ومجتمعاً للغانيات وملتقى
عبرت به فاستعبرت بي نكاية ... وشاهدت منه ما أراع وافرقا
أجما (٣) البكا يا مقلتي فانني ... على موعد للبين لن يتحققا
ولكن رأيت العيس يحدج (٤) للسرى ... فاثرى الثرى من مدمعي إذ تفرقا
فليتهم والحال ماقد شرحته ... رثوا لاحتمالي فيهم شقة الشقا
غفرت لايام مواض ذنوبها ... اذا طلعت ما بيننا شامة «٥» اللقا

قال الشجني : « لو لم يكن له من الشعر الا هذه المقطوعة لسمي شاعراً ولعد من مقدمي الادباء . »

٦٤ ـ حسين الحسني الكوكباني (*) ٠٠٠ ـ ١٢١٢ هـ

الأمير السيد حسين بن عبدالقادر بن ناصر بن عبد الرب بن علي شمس الدين الحسني الكوكباني .

فاضل جدد الأدب في اليمن وقد خلق ، وأبرزه من صدف الخمول لولوء يتسق

---

(١) جمع اجرع رملة مستوية لا تنبت شيئاً (٢) القطعة من الرمل المحدودبة
(٣) اجم . اشتد وكثر (٤) حدج البعير شد عليه الحدج (٥) كذا
(*) عن نسمة السحر المخطوطة

آه على المجد بل آه على أملي ... لقد ترحل عنه خير مرتحل
أما رأيت الورى في يومه ذهلت ... كأن كل البرايا من بني ذهل
مدت اليه على غيظ وعن حنق ... يد الردى يارماها الله بالشلل
تسطو بلامة(١) حرب لافلول لها ... على الجبان كما تسطو على البطل
نعي سرى سراة لو رعاه فتى ... يوم الكريهة لم يمش(٢) على مهل
اذا تأملت او عاينت طلعته ... علمت ان جميع الناس في رجل

ولصاحب الترجمة شعر كثير ، نذكر منه قدر الحاجة ، وهو قوله في رثاء والده

كم احبس الزفرات بين ضلوعي ... فتنم بالسر المصون دموعي
والى م يعذلني الخلي من الجوى ... والسم حشو حشاشة الملسوع
يا للرجال لحادث القيت من ... بعد الاباء له زمام مطيع
طوراً على اصلي يميل وتارة ... يرمي بانواع الذبول فروعي
اغمدت عن حرب الزمان صوارمي ... منذ انثنيت بساعد مقطوع
أحبتي افلاذ قلبي اسرتي ... اعيان افرادي الكرام جموعي
هبوا لنصري فالزمان بفقدكم ... اغرى الخطوب بقلبي المفجوع
بخل الزمان بكم علي وصدني ... بخطوبه حتى عن التوديع
لي مقلة لم تكتحل من بعدكم ... اجفانها ابداً بميل هجوع
مالي فقدت بفقدكم شطري ولو ... بلغت امالي فقدت جميعي
كنتم جلا عيني وبهجة ناظري ... ونسيم مصطافي وزهر ربيعي
ما شوق محصوص الجناح لألفه ... يشكو النوى بغرائب الترجيع
الشوق شوقي والشكاة شكايتي ... والوجد وجدي والولوع ولوعي

---

(١) اللامة هي الدرع كما في الصحاح ولا توصف الدرع بالفلول والفلول للسيف خاصة فعليه يمكن ان يكون الاصل في البيت يسطو بآلة حرب لافلول لها

ماضر لوعاجت(١) مطيكم ولو   لوث الأزار بشعبي المصدوع
حاديكم رفقاً بهجة واله   وردت وما صدرت من التشييع
الله اكبر اي رب فواضل   ضم الصفيح وأي حسن صنيع
شمس توارت في الحجاب ولم تعد   كالشمس بعد غروبها لطلوع
اودعته بالرغم مني حفرة   والقلب مطوى مع المودوع
مما يهول خطب فقد اني له   امل الورود لورده المشروع

وله مراسلا العلامة المصلح موسى بن جعفر آل كاشف الغطاء النجفي طاب ثراه بقوله:

بدر تم ام المحيا الطايق   وقوام ام غصن بان وريق
وجمال منضد ومصفى   شهد بان ام ذاك ثغر وريق
عين ريم ام سهم رام وقوس   أم حجاج ووجنة أم شقيق
ونسيم سرى عليلا فابرى   علة الصب أم كلام رقيق
لا تسل بعدما جرى عن فؤادي   فهو خلف الضعن المسوق مسوق
وعجيب بقاء انسان عيني   وهو في لجة الدموع غريق
وانتفاعي بالجسم وهو عليل   بعدهم والفؤاد وهو حريق
ليت شعري أما لشمس إجتماعي   بكم بعد ذا الغروب شروق
لي فؤاد ومدمع فيكم ذاك   اسير عان وهذا طليق
ما شجاني العقيق بعد نواكم   كل ربع حللتموه عقيق
يا عذولي خفف عليك فغيري   سمعه الملام فيه طريق
كيف اسلو وما سلا مغرم قبلي واصحو وذو الهوى لا يفيق

وكتب اليه الشيخ محمد بن يوسف يداعبه ويستهديه (سعفاً) كان يصله منه كل سنة

قل للحسين اخي الاحسان والشرف   لا تنس ما بي من الاخلاص والشغف
حاشا علاك عن الاحجام عن صلتي   بعد التعاهد والاتحاف بالتحف

«١» لوت جيدها ووقفت

كم اعتقت من وثاق الاسر من عنق جوراً وكم ملكت رقاً لاحرار
وكم حوت صحف الاسفار من سير غر تخبر عنه خير اخبار

وكان يطب ويعطي ثمن الادوية لمن يطبه من الفقراء ، وأظنه توفي في أوائل المائة السابعة ، كما ذكرته بعض التراجم .

وله ولد فاضل ينعت بالشرف ، اتفق له انه ركب مع البهاء بن العجمي قاضي (استاوادفو) فتأخرت فرس شرف الدين ، فانشد مرتجلا وقيل انشأ :

قد قلت اذ قصرت في سيرها فرسى لم لم تسيري وشهباء البها قرنا ؟
قالت اتقدر ان تقفو له اثرا من سيره قلت لا قالت كذاك انا

٦٧ - الحسين بن عبد الله بن شبل (*) ٠٠٠ - ٤٧٥

الحسين بن عبدالله بن يوسف بن احمد بن شبل ابو علي البغدادي مولداً ونشأة ومدفناً كان حكيما فيلسوفاً ، وطبيباً نطاسياً ، ومتكلماً أديباً ، فاضلا شاعراً مجيداً ، صاحب الذكاء الوقاد والحذق الكامل في الطب ، يظهر ذلك في كتاباته وعلاجه وقد كان اغلب تلمذه على الحكيم ابي نصر يحيى بن جرير التكريتي ، كما كان يحضر عند غيره من الحكماء والعلماء . ولد في بغداد وتوفي بها سنة ٤٧٥ وقيل سنة ٤٧٤ ودفن في باب حرب .

أدبه وشعره

كان ابن شبل هذا شاعراً مجيداً وأديباً مبدعاً ، رقيق الطبع جميل النظم مشهوراً في الأدب ، كما هو مشهور بالفضل والعلم . وكان شعره على سلاسته ورقته تظهر عليه الحكمة والفلسفة والآراء الحكمية العالية ، ومن ذلك قصيدته الرائية التي نسبت للشيخ الرئيس وليست هي له . وانها لتريك وتثبت لك علو كعبه في الحكمة والاطلاع على مكنوناتها . وقد سارت بها الركبان وتداولها الرواة . نذكر منها قوله كما

(* عيون الانباء ومعجم الادباء

نقلها الحموي في معجم الادباء . قال ابن شبل :

بربك ايها الفلك المـــدار | أقصـــد ذا المسير أم اضطرار
مدارك قل لنا في أي شيء | ففي افهامنـا منك انبهـار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء | سوى هذا الفضاء به تدار ؟
وعندك ترفع الارواح أم هل | مع الاجساد يدركها البوار ؟
وموج ذي المجرة ام فرنـــد | على لجج الذراع (١) لها مدار ؟
وفيك الشمس رافعة شعـــاعاً | باجنحة قـوادمها قصـار
وطوق للنجوم اذا تبدى « ٢ » | هلالك أم يد فيها سوار ؟
وافلاذ (٣) نجومك ام حباب | تؤلف بينه لجج غوار
وشهب ذا الخواطف أم ذبال | عليها المرخ « ٤ » يقدح والعفار « ٥ »
وتنشر في الفضا ليلا وتطوى | نهاراً مثلما يطـوى الأزار
فكم بصقالها صدىء البرايا | وما يصدا لها ابداً غرار
تبادى ثم تخنس (١) راجعات | وتكنس (٢) مثلما كنس الصوار (٣)
فبينا الشرق يقدمها صعوداً | تلقاها من الغرب إنحدار
على ذا قد مضى وعليه تمضي | طوال منى وآجال قصـار
وايام تعرفنـا مـداهـا | لها انفاسنا ابداً شفـار
ودهر ينثر الاعمـار نثرا | كما للورد في الروض انتشار
ودنيا كلما وضعت جنيناً | غذته من نوائبها ظؤار (٤)

الى آخرها وهي جميلة بليغة حكيمة ، ذكرنا بعضها وتركنا الباقي لطولها

---

(١) الذراع منزل للقمر

[٢] من الليالي خ ل (٣) ترصيع خ ل « ٤ » شجر كثير الورى سريعه
« ٥ » شجرة تشبه الغبيراء يصنع من اغصانها الزناد

« ١ تختفى « ٢ » استمرت في مجاريها ثم انصرفت راجعه (٣) الظبي
« ٤] الظؤار جمع ظئر وهي العاطفة على ولد غيرها

وقال يرثي أخاه احمد بن عبد الله كما فى معجم الادباء .

غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحي من بعد ميت بقاء
لا لبيد باربد مات حزنا وسلت صخراً الفتى الخنساء
مثلما في التراب يبلى الفتى فالحزن يبلى من بعده والبكاء
غير أن الاموات زالوا وابقوا غصصاً لا يسيغها الاحياء
انما نحن بين ظفر وناب من خطوب اسودهن ضرآء
نتمنى وفى المنى قصر العمر فنغدوا بما نسر نساء
صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتدى نموت ونحيا اقتل الداء للنفوس الدواء
راجع جودها عليها فمهما يهب الصبح يسترد المساء
قبح الله لذة لشقانا نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقر فايجادنا علينا بلاء

الى آخرها ، وكل ابياتها غرر وحكم ، ذكرها الحموي برمتها في معجم الادباء فراجعها تجدها

وذكر له الحموي أيضاً الأبيات الآتية وفي فوات الوفيات انها منسوبات الى مجنون ليلى العامري وهي

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
أجد بردها اوتشف مني حرارة على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست على كبد حرآء قلت همومها

وله ايضاً قوله:

يفنى البخيل بجمع المال مدته وللحوادث والوراث ما يدع
كدودة القز ما تجنيه يقتلها وغيرها بالذي تجنيه ينتفع

وقال أيضاً:

احفظ لسانك لاتبح بثلاثة | سر ومال ما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثـــلاثة | بمفكر وبحاسد ومكذب

وله شعر كثير جله جيد لا يسع هذا المختصر ذكره .

٦٨ـ حمدان بن عبد الرحيم الاثارى (*) ٠٠٠ـ ٥٥٤ هـ

كان أديباً طبيباً شاعراً دائباً على طلب العلم يحضر مجالس العلماء واهل الأدب ويصحب من لقيه منهم ويلازمه . توفي سنة ٥٥٤ هـ

وله شعر جيد منه قوله :

لا جلق رقن لي معالمها | ولا اطبتني (١) أنهار بطنان (٢)
ولا أزدهتني بمنبج (٣) فرص | راقت لغيري من آل حمدان
لكن زماني بالجزر (٤) ذكرني | طيب زماني وفيه أمكاني
يا حبذا الجزر كم نعمت به | بين جنان ذوات افنان

«*» معجم الادباء للحموي ج ١

«١» اما لتنى «٢» واد بين منبج وحلب

[٣] بلدة قرب حلب ينسب اليها البحتري «٤» كور في حلب

حرف الخاء

٦٩ - خالد بن يزيد الاموي ... — ٨٥ هـ

خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان الأموي القرشي كان هو وأخوه معاوية مع أن أباهما يزيد البليد المشهور بالخلاعة من خيرة رجال بني أمية (ان كان فى رجال بني أمية خير) . وكان خالد هذا له اليد الطولى فى الطب والكيميا وقد تلمذ فيهما على الراهب العالم الشهير المدعو موريانوس ، احد مشاهير اطباء الأموية فى الشام .

قال ابن خلكان : كان من اعلم قريش بفنون العلم وله كلام في صنعة الكيميا والطب وكان بصيراً بهذين العلمين متقناً لهما ، وله رسائل دالة على براعته ومعرفته .

وكان خالد يبرأ من أبيه وجده ويستنكر فعلهما ، وغصبهما الخلافة من صاحبها الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام . كما قال صاحب كشف الظنون ان خالداً وفى لعلي واعترف له بالخلافة وترك الامارة . وقال ايضاً في تعريف الكيميا : ان اول من تكلم من المسلمين في الكيميا ونظر في كتب الفلسفة هو خالد بن يزيد واول من انتشر عنه الكيميا هو جابر بن حيان ، وهذا اخذه عن خالد (١) .

قال الاستاذ جرجي زيدان فى اداب اللغة العربية : نقلت في العصر العباسي العلوم الدخيلة كما هو المشهور ولكن العرب بدأو بنقلها من ايام بني أمية وان لم يبق من نقلهم شيء يذكر ، واول من فعل ذلك ، هو خالد بن يزيد المتوفى سنة ٨٥ هـ حفيد معاوية الاكبر ويسمونه بالحكيم وكان طامعاً في الخلافة بعد وفاة أخيه معاوية الثاني فغلبه على

« * » ابن خلكان وتاريخ اداب اللغة لجرجي زيدان وكشف الظنون للجلبي والحموي في معجمه وغيرها « ١ » ولكن المثبت في كتب المؤرخين والباحثين ان جابراً لم يدرك زمن خالد فكيف اخذ عنه وانما المشهور ان جابراً اخذ ذلك عن الامام جعفر الصادق عليه السلام

ذلك مروان بن الحكم وانتقلت به الخلافة من بيت أبي سفيان إلى بيت مروان ولما يئس خالد من الخلافة ، وهو ذو مطامع وذكاء ، انصرف ذهنه الى اكتساب العلى بالعلم ، وكانت صناعة الكيميا رائجة يومئذ بالاسكندرية فاستقدم جماعة منهم الراهب الرومي (موريانوس) وطاب اليه ان يعلمه صناعة الكيميا ولما تعلمها أمر بنقلها الى العربية فنقلها له رجل يسمى (اسطقان) وكان هذا اول نقل في الاسلام من لغة الى لغة وكان خالد ايضاً راغباً في علم النجوم وقد انفق الاموال في طلبه واستحضار الاته

قال الزركلي في الاعلام : مات أبوه يزيد سنة ٦٤ هـ فاتفق بنو امية على بيعة (خالد) فبايعوه بالخلافة وقام ثلاثة اشهر ، ثم غلب عليه حب العلم فجمع الناس وخطب فيهم فقال : ان جدي معاوية نازع الامر من كان اولى به ثم تقلده ابي ولقد كان غير خليق به ، واني لا أحب ان ألقى الله بتبعاتهم فشأنكم وامركم ، ولوه من شئتم فقالوا : الا تعهد الى أحد فقال : لم أجد لكم مثل عمر بن الخطاب لاستخلفه ولا مثل اهل الشورى فانتم اولى بأمركم ثم لزم منزله .

قال ابن النديم في الفهرس : كان خالد بن يزيد فاضلا في نفسه له همة ومحبة للعلوم خطر بباله حب صنعة الكيميا فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مصر وقد تصفح العربية وأمرهم بنقل الكتب من اليونانية والقبطية الى العربية . وهذا اول نقل كان فى الاسلام من لغة الى لغة .

وقال الجاحظ : خالد بن يزيد خطيب شاعر ، فصيح جامع جيد الرأي كثير الأدب وهو اول من ترجم كتب النجوم والطب والكيميا وتوفى في دمشق .

قال الحموي في معجمه : كان من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة وقوة العارضة علاّمة خبيراً بالطب والكيميا شاعراً .

وكان يقصد ويمدح ويعطي ويكرم ، قيل ان رجلا جاءه فقال له : قدقلت فيك بيتين ، فقال له : انشدنيهما فقال : نعم ولكن على حكمي فقال نعم فانشده .

سألت الندى والجود حران انتما ؟ فقالا بلى عبدان بين عبيد

فقلت فمن مولاكما فتطاولا	علي وقالا خالد بن يزيد

فقال له : تحكم فقال : مائة ألف درهم ، فأمر له بها .

تآليفه

لم نجد له من المؤلفات سوى كتابين جليلين في بابهما ، نافعين فيما احتويا عليه وهما كتاب السر البديع في فك الرمز المنيع في الكيميا وكتاب فردوس الحكمة وهو ارجوزة منظومة ، واثبت له صاحب الوفيات مؤلفاً ثالثاً ذكر فيه ما جرى له مع موريانوس وصورة تعلمه منه والرموز التي أشار اليها وله فيه اشعار كثيرة تدل على سعة علمه وحسن تصرفه .

ادبه وشعره

لقد اجمع المؤرخون على تضلعه في الأدب والنظم البديع المتين بكل انواعه مضافاً الى تقدمه في العلوم الحكمية ، وله في الكيميا ارجوزة بديعة اسماها (فردوس الحكمة) تشتمل على الفين وثلاثمائة وخمسة عشر بيتاً ، واولها .

احمد لله العلي الفرد	الواحد القهار رب الحمد

وله شعر جيد منه قوله :

أتعجب انك ذو نعمة	وانك فيها شريف مهيب
فكم ورد الموت من ناعم	وحب الحياة اليه عجيب
أجاب المنية لما دعت	وكرهاً يجيب لها من يجيب
سقته ذنوباً من « ١ » انفاسها	ويذخر للحي منها ذنوب

ومن مواعظه قوله :

ان سرك الشرف العظيم مع الغنى	وتكون يوم أشد خوف زائلا
يوم الحساب اذا النفوس تفاضلت	في الوزن اذغبط الاخف الاثقلا (٢)
فاعمل لما بعد الممات ولا تكن	عن حظ نفسك في حياتك غافلا

« ١ » الدلو وهي كناية عن الحصة او النصيب « ٢ » كذا

ومن نغزله ما قاله في رملة بنت الزبير .

أليس يزيد السير فى كل ليلة ... وفي كل يوم من أحبتنا قربا
احن الى بنت الزبير وقد عدت ... بنا العيس خرقاً من تهامة او نقبا
اذا نزلت ارضاً تحبب اهلها ... الينا وان كانت منازلها حربا
وان نزلت ماء وان كان قبلها ... مليحاً وجدنا ماءه بارداً عذبا
تجول خلاخيل النساء ولا أري ... لرملة خلخالا يجول ولا قلبا (٣)
اقلوا علي اللوم فيها فانني ... تخيرتها منهم زبيرية قلبا « ٤ »
أحب بني العوام من اجل حبها ... ومن أجلها احببت اخوالها كلبا

٧٢ ـ الخليل بن علي الرازي ١١٨٠ ـ ١٢٨٠ هـ

الحاج مرزا خليل بن علي بن ابراهيم بن علي الرازي . النجفي المسكن والمدفن ولد فى طهران سنة ١١٨٠ هـ ودخل العراق سنة ١٢١٥ فورد الكاظمية وبقى فيها مدة ثم غادرها الى كربلا ، وبعد بضع سنين انتقل الى النجف وفيها القى عصا الترحال اذا تخذها مقره الأخير ، وأقام بها حتي توفي سنة ١٢٨٠ هـ عن ١٠٠ سنة ودفن فى داره المعروفة بمحلة العمارة احدى محلات النجف .

وهو أبو الاسرة (آل الخليلي) اسرة المؤلف ، وهي اسرة معروفة فى العراق وايران والهند ، والقاطنة اليوم فى النجف الاشرف .

قال العلامة البحاثة الملا محسن صاحب الذريعة الشهير باغا بزرك فى كتابه (الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة) « كان الحاج مرزا خليل الكبير من حذاق الاطباء ومن عباد الله الصالحين جامعاً للكمالات الصوريه والمعنوية ادرك العلماء الاعلام كالعلامة القمي صاحب القوانين ومثل السيد علي صاحب الرياض والشيخ الاكبر الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء

« ٢ » سواراً (٣) فيها تورية جميلة لا تخفى على الاديب

وقال حجة الاسلام السيد حسن الصدر الـكاظمي وهو من تلامذة ولد المترجم له الحجة المولى على مالفظه : كـان الحاج الـكبير من الصلحاء الابرار والعلماء المعروفين معظماً لدى علماء عصره كالشيخ كاشف الغطاء ، والسيد محسن الاعرجي ، والشيخ أسدالله صاحب المقابيس ، والسيد محمد المجاهد ؛ ولكل واحد من هؤلاء معه حكاية تدل على جلالته .

وقال العلامة المفضال المرحوم الشيخ علي آل كاشف الغطاء فى الجزء السادس من كتابه « الحصون المنيعة » : كان طبيباً حاذقاً فريداً فى هذه الصناعة متديناً محتاطاً متشرعاً ، خيراً تقياً نقياً عالماً فاضلا كاملا أفلاطون زمانه وجالينوس أوانه .

وقال العلامة النوري فى كتابه (دار السلام) : ان المترجم وان كان معدوداً من الاطباء منخرطاً فى سلك غير العلماء ، ولـكـنه كان من الصالحين الابرار والاتقياء الاخيار ، لم يتشرف بخدمته أحد الا وأثنى عليه خيرا واستقل له نظيرا .

سبب دراسة الطب :

ذكر أولاده الثقاة عمن أدرك زمانه عنه ان أباه علياً كان من رواد العلم ومشاهير الفضلاء فى طهران الا انه كان فقير الحال ولما نشأ ولده المترجم كان ايضاً بطبيعة الحال من المولعين بالعلم والمغرمين به ، ولما توفى أبوه كان لايزال صغيراً فكفلته أمه ولشدة ذكائه وحذقه وسرعة خاطرة أخذ يدرس ويطالـع ويبحث ويسأل ويعاشر العلماء ويستفيد منهم بداعي حبه للعلم ورغبته الملحة له وكان يدرس على أحد العلماء الاجلاء فى طهران وذات يوم وقد القى عليه استاذه مسألة نازعه فيها المترجم نزاعاً أظهر فيه خطأ أستاذه وكانت سبب شهرته فى الاوساط العلمية كما كانت سبب شهرته الاخلاقيـة لانه تجنب جهده المساس باستاده وكان فى كل مناسبة يسترضيه ويستميحه العفو من موقفه الذي يحتمه عليه العلم والحقيقة ، ثم كان من أسباب دراسته الطب أن ابتلي بمرض عضال لازم بسببه الفراش مدة وبعد ما عوفي فكر في

نفسه وقال : ان العلم الذي يخلص الانسان من براثن مثل مرضى هذا لجدير بالتحصيل والمعرفة بحكم العقل والحس ، ولذلك فقد أخذ يجد في طلبه ويأخذه من مظانه فحضر على كثير من فطاحل الأطباء ونطس المعالجين فى بلده مدة طويلة ؛ حتى اصبح من كبار اساتذة هذه الصناعة ؛ وممن يشار اليهم بالبنان ؛ فقصده المرضى من كل حدب وصوب واشتهر في جميع انحاء ايران بحسن معالجته وحذاقته في التشخيص .

سفره الى العراق

كان في أوائل أمره كثير الاسفار ، فلقد جاب البلاد الايرانية وانحاء العراق مدة ، ثم كان آخر اسفاره ان ورد العراق وتوطن الكاظمية كما ذكر فصادف عند وروده مرض العلامة الاكبر السيد عبدالله شبر وقيل العلامة السيد محسن الاعرجي ؛ كما ورد في دار السلام ، قال النوري ما ملخصه نثبته بدون تعليق منا : ان السيد المحقق الجليل السيد محسن الاعرجي الكاظمي مرض مرضاً شديداً يئس منه الاطباء فرأى في المنام ان الامام موسى بن جعفر عليه السلام قد عاده ثم مدّ يده على جسده وخاطب الحمى قائلا . اخرجي يا حمى والاسلطت عليك العبد الصالح مرزا خليل فانتبه متعجباً وطلبه فقيل له هو في ايران فقال اطلبوه فستجدونه فانتشروا في طلبه واذا به مع الزائرين فاخبر بالسيد فجاءه وعالجه حتى برىء بعد ان عجز الاطباء عنه فاشتهر في تلك الاوساط ثم غادرها الى كربلا واتفق ايضاً مرض الحجة السيد علي صاحب الرياض وكاد ان يقضى عليه لولا ما ابداه الحاج من المهارة والحذق في علاجه حتى شفي وبعد ابلاله الزمه بالبقاء في كربلا والجلوس للعلاج فامتثل امر مقلده وجلس للمداواة وقصده الناس من كل جهة فكان يعطف على الفقير ، ويسعف المسكين ويعطي ثمن الدواء من عنده سراً وعلانية الى ان توفي السيد علي صاحب الرياض فهاجر المترجم الى النجف ، واتخذها مقره الأخير ودار هجرته التي قضى فيها بقية عمره واولد بقية انجاله وتوفي فيها سنة ١٢٨٠ ﻫ وقد ارخ بعضهم عام وفاته بقوله .

عاش سعيداً وفي الجنان له قد زينت حين ارخت « غرف »

١٢٨٠

اخلاقه

كان رحمه الله رقيق القلب عطوفاً لا يمنعه عجزه وكبر سنه عن خدمة الانسانية ومداواة المرضى لا سيما الفقراء منهم ابتغاء مرضاة الله وارضاء لضميره ونفسه التواقة لعمل الخير لكل انسان خصوصاً ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله فكان لا يكاد يسمع بمريض منهم الا وجاءه الى منزله واقبل عليه بكليته واسعفه بكل ما لديه من حول وطول وبراعة وفن. واليك بعض تلك العواطف التي ذكرها كثير من المؤرخين في عصره وبعده.

منها ما ذكر العلامة النوري في « دار السلام » قال:

حدثني استاذي الحجة المولى علي « ١ » عن والده المترجم انه كان يقول: لن

« ١ » هو ابن المترجم واكبر انجاله في النجف ذكره كثير من مؤرخي عصره كالعلامة النوري في « دار السلام » والسيد محمد الهندي في « نظم اللئال » والسيد حسن الصدر في [التكملة] وهما تلميذاه والشيخ علي كاشف الغطاء في [الحصون المنيعة]. قال النوري ما نصه: هو فخر الشيعة وذخر الشريعة انموذج السلف وبقية الخلف العالم الزاهد والمجاهد الرباني شيخنا الاجل الحاج مولى علي بن الصالح الصفي الحاج مرزا خليل المتوطن في ارض الغري والمتوفى سنة ١٢٩٧ هـ كان فقيهاً رجالياً مضطلعا بالاخبار وقد بلغ من الزهد والاعراض عن زخارف الدنيا مقاماً لا يحوم حوله الخيال، كان لباسه الخشن واكله الجشب من الشعير، وكان يزور الحسين [ع] في الزيارات المخصوصة ماشياً على قدميه الى ان طعن في السن وفارقته القوة. وقال صاحب الحصون المنيعة: كان بارعاً عالماً في الفقه او حديا في علم الرجال مولعاً بالعبادة مطيلا للقنوت حافظا للقرآن والانجيل والتوراة كثير الصدقات سراً حسن الاخلاق متواضعاً وكان مع ذلك لا تفوته النكتة الأدبية ولا يترفع عن مداعبة جلسائه على جلالة قدره.

وقال صاحب التكملة مثل ذلك وزاد صاحب نظم اللئال قوله: وتلمذ في —

وجودي ووجود اولادي من بركة علوية كانت في مشهد الحسين « ع » فقيل له كيف ذلك ؟ فقال ما ملخصه : انه كان ذات يوم في عيادته اذ دخلت عليه امرأة مع خادمتها وجلست ناحية حتى اذا مافرغ من عمله تقدمت اليه واخرجت له يديها واذا هما عظمان مجردان عن اللحم وفيهما قيح وعفونة لا تطاق مواجهتهما ، فاشمأزت نفسه من منظرها ، وقال لها لا علاج لك عندي فاطلبي غيري . فقامت منكسرة الخاطر يائسة من الحياة .

ولكنه رق قلبه وسأل الخادمة عنها ، فقالت هي علوية هندية من اجل بيوت الهند وردت العراق بمال جزيل ذهب كله في المبرات والانفاق على الفقراء وقد اصبحت اليوم معدمة لا تملك شيئاً وقد ابتليت بهذا المرض منذ سنين عديدة ولا كفيل لها سواي وأنا لا أملك سوى الخدمة .

فقال لها ارجعيها بسرعة فاني اعالجها ولما أرجعتها أمر بادخالها الى بيته وافرغ لها غرفة خاصة ثم أخذ في معالجتها لمدة شهرين حتى نبت اللحم على ذراعيها وشفيت شفاء تاماً ثم بقيت عنده كأحد افراد عائلته .

واتفق ان مرض الخليل بعد مدة مرضاً جعله طريح الفراش ، فكانت تلك العلوية هي الوحيدة التي وقفت نفسها لتمريضه وذات يوم وقد اشتد به المرض وبلغ حالة الاحتضار هرعت العلوية الى مرقد الامام الحسين (ع) باكية مستشفعة به عند الله ، حتى هومت

ـــ الاصول على شريف العلماء وفي الفقه على صاحب الجواهر وفي الالهيات على المولى اسماعيل الاوزركاني والمولى كريم الكرماني والمولى عبد العظيم الطهراني وفي الرياضيات على الرياضي الشهير المولى اسماعيل البروجردي والسيد ابي تراب الهمداني وتخرج عليه العلامة السيد حسن الصدر والسيد محمد الهندي والبحاثة المرزا حسين النوري واخوه حجة الاسلام الحاج مرزا حسين الخليلي والعلامة الشيخ علي الخاقاني والعلامة المرزا محمد علي الرشتي وله من المؤلفات « غصون الاريكه » في الفقه و [سبيل الهداية في علم الدراية] و « كتاب في الرجال » و « خزائن الاحكام في شرح تلخيص المرام » في عدة مجلدات.

من شدة البكاء وسرعان ما انتبهت وهي تقول: لقد شفي الخليل ببركة الحسين (ع) وكان حقاً كذلك اذ صحا من ساعته وانتبه وظهر عليه زوال الخطر من هبوط درجة الحرارة وما شاكل وزال كل ما كان يجده من ألم ولما وردت عليه قال لها: ابشري ايتها العلوية فقد أدّي عنك العوض ببركة جدك الحسين «ع» فقد رأيت من غريب الاتفاق وأنا في حالة الاغماء كأن ملك الموت كان أمامي، وان رجلا جليلا دخل عليّ وقال لملك الموت ان الحسين «ع» قد استشفع لدى الله برد روحه اليه وقد زيد في عمره ثلاثون سنة وسيرزق اولاداً وعزة، فانتبهت وقد أخذني العرق وزال مني كل ألم

أقول: وقد نظم هذه الحادثة كثير من الشعراء وكتبها المؤرخون مفصلا وممن نظمها في عصرنا هذا العلامة البحاثة الشيخ محمد السماوي في ارجوزته التأريخية المسماة «مجالى اللطف في ارض الطف» فقال:

وحدث النوري ذو الفضل الجلي	عن شيخه بدر التقى المولى علي
عن الخليل اذ اتي لكربلا	من بلد الري بها مستبدلا
وكان في الطب هو النطاسي	تعرف عنه ذاك كل الناس
فاستحضرته علوية وقد	أصابها سقم أضر بالكبد
فقال هذا مرض يحتاج	لمدة يلزمها العلاج
قالت فكيف بي وكفي صفر	فقال عندي ما أردت وفر
فانصاع بالصباح والمساء	يأتي لها بالقوت والدواء
حتى شفاها الله في شهرين	وسقم الخليل سقم حين
فبادرت للسبط في عويل	تدعو الاله في شفا الخليل
ثم تقول اد ياجد العوض	فقد شفا بنتك من ذاك المرض
فرأت الحسين في المنام	يقول قد خلص من حمام
وقد حباه الله في اولاد	اربعة للعلم والسداد
فانتبهت واسرعت اليه	ودخلت بنفسها عليه

ومذ رآها قال قد ادى العوض ... عمراً وولدا وشفاء للمرض

اني سمعت من اتى لحيني ... يقول قد تركت للحسين

وقد حبيت بالشفاء ومعه ... عمراً واعزازاً وولداً اربعه

وهم علي (١) والحسين(٢)الزاخر ... علمهما وحسن (٣) وباقر (٤)

فعادت الروح الى جثماني ... ونلت من حبائه الأماني

الى آخر ما ذكره مفصلا في ارجوزته .

« ١ » هو المولى علي وقد مرت ترجمته في تعليقة هذه الترجمة .

« ٢ » هو ابو التقي « الحاج مرزا حسين » مرجع الامامية العام في العراق وايران والهند وافغان وساير البلاد الاسلامية . ذكره البحاثة المـلا محسن فى (الكرام البررة) بقوله : هو الفقيه الحجة كان افقه اقرانه .واعدلهم في فهم الكلمات الواردة عن العلماء والفقهاء ما مثله فى اعتدال السليقة . وقال الصدر في التكملة قد تخرج في الفقه على صاحب الجواهر وشيخنا الانصاري وكان على جانب عظيم من التقوى والورع وكثرة العبادة وحسن الخلق حلو الشمائل عذب الكلام اريحي الطبع شهما كريماً معظما لاهل العلم حسن المحاضرة اديباً لبيباً له مطايبات حسنة انتهت اليه الرياسة العلمية ألدينية لدى الامامية بعد وفاة العلامة الحجة الشيرازي ، وانقاد له الناس فى قطرى العراق وايران حتى حكومتها فقد كانت له الكلمة النافذة فيها والامر المطاع لديهما ، وناهيك أثرأوامره المطاعة في تغيير نوع الحكومة الايرانية من استبدادية الى حكومة دستورية

وله آثار صالحة باقية حتى اليوم منها مدرستان عظيمتان فى النجف لطلاب العلم تدعى كبراها بمدرسة آل الخليلي «أو مدرسة القطب» وصغراها بالمدرسة الصغيرة ومنها الخان الكبير المعروف «بخان الخليلي» في بلدة طويريج على نهر الفرات بناه للزائرين والواردين . ومنها الايوان الكبير «الطارمة» في مرقد الامام موسى بن جعفر «ع» في الكاظمية المشهور اليوم باسمه في جانب باب قريش وغيرها. توفي فى مسجد السهلة يوم الجمعة بين الطلوعين ١٠ شوال سنة ١٣٢٦ هـ ونقل على الرؤس والاكتاف حتى مرقده فكان يوم وفاته يوما مشهوداً ، ورثاه الشعراء بمختلف اللغات والاصناف . وممن رثاه العلامة الشعر المرحوم السيد رضا الهندي —

ادبه ونظمه

ان من عرف المترجم وخبر تقواه وسبر حياته العلمية التي قضاها مع جها بذة العلماء العظماء ومراجع التقليد العام لا يتصور فيه اريحية الشاعر وخفة الروح التي تلازم الادباء ولكن ما ترك من الأثر الشعري ليدل دلالة واضحة على انه على جانب عظيم من الأدب، ومن الأسف ان لا يتسع لنا المجال بايراد الكثير من شعره فنكتفي بهذه الارجوزة الآتية التي يستشف منها القاريء ملكته الادبية . وهي من الأراجيز الظريفة الممتعة واليكها برمتها قال رحمه الله :

قال الخليل بن علي الرازي	احمد من بلطفه احترازي
مصلياً على النبي الطاهر	محمد وآله الأكابر
وبعد فاسمع يابني مني	وارو لمن تحب بعد عني

— بقوله من قصيدة .

حاولت نظم الرثا فاستعصت الكلم	وهل لاهل النهى بعد الحسين فم
وقطع الحزن احشائي عليه فذى	افلاذ قلبي لا الالفاظ تنتظم
ما كنت احسب يجري بالرثا قلمي	ما حيلتي قد جرى في ذلك القلم

[٣] هو المرزا حسن بن الخليل طبيب النجف الوحيد في عصره كان حاذقاً ماهراً بارعاً يقف على الداء ولم يخطيء الدواء تلمذ على أبيه وبرع في الطب وعالج وكان دمث الاخلاق فكه الحديث حسن العلاج سهل المداواة طيب السيرة حسن السريرة عطوفاً بالفقراء عطوفاً على المساكين يسعفهم بالمال والدواء وقد اشتهر عنه ذلك وتوفي سنة ١٣٠٨ هـ

« ٤ » هو المرزا باقر بن الخليل ، ذكرنا ترجمته في حرف الباء من هذا الكتاب اذ هو طبيب أديب .

وللمترجم له ولد خامس ، هو اكبر انجاله يدعى المرزا محمد بن الخليل كان ، طبيباً نطاسياً وعالماً نحريراً عرف بالذكاء المفرط واشتهر بالمعالجات المسيحية وقد طار صيته في الري وجميع انحاء ايران ، قطن طهران حتى توفي سنة ١٢٨٣ هـ وله عقب كثير هم اليوم في طهران وساير البلاد الايرانية .

تحل بالطب ففيه للجسد   والروح منجاة اذاما السقم جد
فنسبة الطب الى العلوم   كنسبة البدر الى النجوم
فلا تقس به العلوم الباقية   وما الذي تقيسه بالعافية
وهل يعد شأنه وفضله   ان صح جسم المرء صح عقله (١)
وكل ذي روح له محتاج   اذ كل ذي روح له مزاج (٢)
يعنى بامر الجسم من طفولته   ثم يماشيه الى شيخوخته (٣)
يمر بالمهد على الاطفال   مر المسيح في حنو عال
فاشكر اذا بلغت هذي المرحلة   نعمة من ولاك هذي المنزلة
فلا تلابس نفسك الخيانة   واد ما اودعت من أمانة
إذ تصبح النفوس في يديكا   عاقدة امالها عليكا
وان تكن وفقت للطب فكن   كما به وصى ابقراط الفطن
قال وقوله لدنيا معتمد   اذ قوله بفعله قد اتحد
يختار للطب سليم العقل   عف اللسان ذاتقى ونبل
كامل خلقة عريق مغرس   جميل هندام نظيف ملبس
يسر من رآه هشاً بشا   لم يحو قلبه هوى وغشا
نسبته للناس بالسواء   مشخصاً للداء والدواء
لا يطلق المقال كيفما يشا   ولا تميل نفسه للارتشا
عفيف عين وعفيف مسمع   لأنه يدخل كل مخدع
الساتر الأمين للاسرار   فالستر مما يرتضيه الباري

« ١ » اشارة الى القول المأثور العقل السليم فى الجسم السليم .
« ٢ » لان المزاج هو الذي يتغير وينحرف فيحتاج الى ارجاع صحته المفقودة والطب متكفل بذلك .
« ٣ » لان الطب يحتاجه الانسان فى جميع ادوار حياته منذ يولد حتى يموت

وليأخذ الصدق له شعـــارا — الا اذا جاوزه اضطـــرارا
رائده فى ذلك التدين — فذلكم من الطبيب يحسن
ولا يعظم مرضاً لذيه — فان من امرضه يشفيه
لا يهمسن عنـده بهمسه — فانها قد تقتضيه النكسه
ولا يجس النبض وهو عابس — أو انه يقول اني يائس
فاليأس لا يأتي مع الحياة — ولا الحياة مع يأس تأتي
وليتئد ولا يطش في القصد — فالروح لا تنبت بعد الحصد
وليزن الكلام عند المرضى — وليتخذ ذاك عليه فرضا
وليسع المرضى بحسن الخلق — فانهم اولى بكل رفق
وليطلب النفع لهم من دونه — وليكن الانصاف من شئونه
مستبدلاً راحتهم براحته — متخذاً شفاءهم من غايته
ولا يكن اقصى مناه الاجر — فالاجر عند الله نعم الذخر
فان وعيت أي بني ذاكا — بلغت (او كدت) به مناكا

٧٠ – خليل بن صادق الخليلي ١٣٠٨ هـ — ...

خليل بن صادق بن باقر بن الخليل أبي الأسرة الخليلية . يكنى أبا باقر ، وهو أخو المؤلف واحد اعلام هذه الأسرة في النجف .

طبيب عالم ، وفقيـه مبرز تقي متدين كامل أديب ثقة عـدل ولد في النجف سنة ١٣٠٨ هـ ونشأ بها بين ظهراني اسرته العلمية الطبية وفى احضان الفضل والادب حتى نبغ مشاراً اليه في العلم والفضل مقصوداً فى البحث والتدريس .

تلمذ في النحو والصرف والمعاني والبيان وساير العلوم العربية على أعاظم علماء بلده مثل العلامة السيد صالح خدا بخش ، والعلامتين الشهيرين المرحوم المرزا ابراهيم الخليلي ، وأخيه الشيخ جواد الخليلي وحضر العلوم الدينية على الحجة الاكبر مرجع الامامية

السيد ابي الحسن الاصفهاني والمغفور له الحجة الميرزا حسين النائيني والعلامة الكبير الشيخ محمد حسين الاصفهاني الشهير بالكومباني ، وتخرج في العلوم الرياضية على العلامة الشيخ جواد الايرواني وتلمذ في الطب على أبيه الطبيب الشهير ابي علي الصادق بن الباقر الآتي ذكره في حرف الصاد من كتابنا هذا .

وقد زاول مهنة الطب مدة ثم تركها ومال الى طلب العلوم الدينية حتى اصبح من اعلام الفضلاء ، ثم غادر النجف الى بلدة المحمودية قرب بغداد مرشداً للاحكام الشرعية ، وذلك بعد ان طلب اليه استاذه الحجة السيد ابو الحسن ان يرشد هناك لما كان يجده فيه من الكفاءة والورع في أداء تلك المهمة العظيمة وهو حتى اليوم مقيم هناك واقفا نفسه على الوعظ والارشاد والتعليم الديني وله مؤلفات في الفقه والاصول والطب غير مطبوعة

ادبه وشعره

لم يفته حفظه الله مع فضله وعلمه وسكونه وهيبته ان يكون خفيف الروح أريحي الطبع فيخوض بحر الأدب ويخرج من لآليه ما يزين بها جيد الدهر وينظمها شعراً بديعاً ونظاماً فريداً غير أنه كان مقلا لا ينظم الا في مناسبة أو لداع من الدواعي فمن ذلك قوله يشكو اهل دهره :

ما ذا أقول لصرف دهر كادني — بحوادث قد خلتهن عذابا
ما زال يرميني بكل ملمة — عمداً ولم اعرف لها اسبابا
فالعيش نكد بين اظهر معشر — لا يعرفون الى الفضيلة بابا
الفوا الرذيلة فارتضوها وارتدوا من كل مخزية بها جلبابا
تخذوا الخيانة لا لسبق عداوة — لكن تراهم في الشرور ذآبا
وترى النميمة بينهم موجودة — خلقاً لهم وصدوقهم كذابا
يا رب ان عذبتني بجوارهم — انى لأبغى الستر منك حجابا
فامنن علي بما عليه سريرتي — يا من اذا الداعي دعاه أجابا

وله غير هذا شعر كثير اكتفينا بما ذكرنا .

٧١ ـ خليل بن احمد الشهير بابن النقيب (*) ٩٠٠ـ٩٧٠ هـ

خليل بن احمد بن خليل بن احمد بن شجاع الشيخ العلامة غرس الدين بن الشيخ شهاب الدين الحمصي الاصل الحلبي المولد القسطنطيني الشهير بابن النقيب .

ولد سنه ٩٠٠ وتوفي في اسلامبول سنة ٩٧٠ هـ

نشأ في مدينة حلب، ورغب في العلوم وتشبث بكل سبب، وقرأ المختصرات على الشيخ حسن السيوفي ، وحصل طرفاً صالحاً من فنون الادب ، ثم قصد التحصيل التام فارتحل ماشياً الى دمشق ، فأخذ فيها الطب من مقدم الالباء ، ورئيس الاطباء العالم الزكي المشتهر بابن المكي ، ثم فتر عن الطب قليلا ، ثم تحركت همته فارتحل من الشام الى مصر واشتغل في القاهرة على العالم الجليل المشتهر بابن عبدالغفار الشيخ احمد في الفرائض والحساب والميقات والهندسة والطب والموسيقى وعلى الشيخ شمس الدين الفلكي في الفلك ، واخذ الحديث وساير العلوم الدينية عن القاضي زكريا شيخ المفسرين ثم رجع الى حلب ثم قدم دمشق ثم سافر الى الروم ثم الى دمشق ثم الى مصر ثم الى استامبول، وهنا عالج بعض الاكابر فبرىء واشتهر وصارت معيشته من الطب ونظم ونثر، ولم يقبل مدة عمره وظيفة سلطان وقد قطع حبال الأماني من ارباب العزة بقدر الامكان وكان يكتسب بطبابته ويقتات بهدايا تلامذته، وكان يلبس اللباس الخشن والعمة الصغيرة ويقنع من القوت بالنزر القليل والامور اليسيرة وكان ينظم الابيات اعذب من ماء الفرات قال: في قافية الطاء مادحاً المولى صالح بن جلال عندما كان قاضياً في حلب .

دعائي فلا يحصيه عد ولا ضبط	وشكري لكم دوم فما كان ينحط
واثني جميلا ثم اهدي تحيـــة	لطيب شذاها يطلب العود والقسط(١)

[*] ذكره صاحب معجم الاطباء في موضعين . في حرف الخاء وفي حرف الغين باسم غرس الدين بن ابراهيم وقد استنتجنا ذلك من اتفاق الترجمة والمولد والوفاة والشعر وعليه فقد ذكرناه في حرف الخاء ولخصنا ترجمته من الترجمتين.

« ١ » بضم القاف عود يتداوى به

فباح بها مسك وفاح بعطـرهـا　　وفى وجنة للورد منها اتى قسط (١)
الى حضرة احي الانام بعلمهـا　　وبان بها حكم الشريعة والشرط
فلا مطلب الا ذراها نعم ولا　　رجال لذى عزم الى غيرها تخطوا

الى آخرها . وله في (ساعة) ارسلها له احد اصدقائه قوله :

يامفرد العصر قد بادرت بالطاعة　　يا من حوى الجود والاوقات في ساعة
نوعاً من الخير قد لا حظتموه لنـا　　فكنت عبداً لكم في الوقت والساعة

ولما شرح القصيدة الميمية الشهيرة للمفتي ابي السعود والتي أولها قوله :

أبعد سليمي مطلب ومرام　　وغير هواها لوعة وغرام

مدحها بمقدمة في كل كلمة من كلماتها سين ثم اعقبها بقصيدة ايضاً كذلك منها :

استبدى باسم السلام الى السنة السنية واستهدى من سنا سيدنا وسندنا بنسمة من نسماتها السجسجية سالكا سبيل التسليم متمسكاً بالسراط المستقيم فسبح السحر في سلك الاستقامه فسبى النفوس واستدعى سلميي فاسرعت اليه كالعروس ثم سلا عنها بسلوان من التسليم وسلب أساطيرها عن سويدائه بسر سليم فسألت السخا عن سحاب سماحته فاسعفني بها واسترقني من ساعته . ثم يقول

سطور لها حسن عن الشمس اسفرت　　سباني سن باسم وسلام
فسهل لها سفك النفوس وقـد سعى　　يساعد فيها سائف (٢) وسهام
فسرعان ما سلت سيوف نواعس　　فسيراً فسيرا فالسيوف سطام «٣»
سليمى فما اسلو فسفكا او اسمحي　　فاسلو وفي ارسم ووسـام
فيا حسرتا ما للسهاد مسـاعد　　وما سر الا حسرة وسمـام
سقاني السخا سماً وسار سنيه　　سحائب تسنيم سعدن سجام
سخيت بنفسي ان سمحت بنفسها　　بانس وتسليم عليك سلام

وهكذا له شعر آخر كله اوجله متوسط . وله مؤلفات كثيرة في سائر العلوم .

« ١ » بكسر القاف بمعنى الحصة
« ٢ » حامل السيف　(٣) السطام بكسر السين حد السيف

حرف الدال

٧٣ داود الانطاكي الضرير الطبيب (*) ٠٠٠ — ١٠٠٨ هـ

داود بن عمر الطبيب الحكيم الضرير الانطاكي من اشهر اطباء القرن الحادي عشر الهجري

قال صاحب السلافة « هو اعمى قائده التوفيق والتسديد ، محجوب كشف غطاؤه فبصر فكان حديد ادرك ببصيرته مالا تدركه اولو الابصار ؛ وقطن مصر فسار صيته في الامصار ، وجمع فنون العلم جمعا فاصبح علماً فردا وسرد شروحه ومتونه على ظهر قلبه سردا الى أدب بهر تبيانه واظهر حكمة شعره وسحر بيانه فهو عالم في شخص عالم وعلم شيدت به دوارس المعالم اعتنى بالطب فصار طباً عليماً وفاق اقرانه واربابه حديثاً وقديماً حتى كان يقول : لو رآني ابن سينا لوقف ببابي أو ابن دانيال لاكتحل بتراب اعتابي الى آخر ذلك من الاوصاف »

وقال شهاب الدين الخفاجي تلميذه في كتابه ريحانة الالبا : ضرير بالفضل بصير كأنما ينظر ما خلف ستارة الغيب بعين فكر خبير لم تر العين مثله بل لم تسمع الاذان ولم تحدث باعجب منه الركبان اذا جس نبضاً لتشخيص مرض اظهر من اعراض الجواهر كل غرض فيفتن الاسماع والابصار ويطرب بجس النبض مالا يطرب به جس الاوتار يكاد من رقة افكاره ان يحول بين الدم واللحم ولو غضبت روح على جسمها الف بين الروح والجسم . وكنت قرأت عليه الطب وغيره في سن الصغر فسمعت ما يغار له نسيم السحر وتطرب من لطفه نغمات الوتر .

قال الاستاذ البستاني في دائرة معارفه . داود البصير الحكيم رأس الاطباء في زمانه

(*) السلافة وريحانة الالباء ودائرة المعارف للبستاني ومعجم الاطباء وخلاصة الأثر .

وشيخ العلوم الحكمية كان شيعياً شديد التشيع

وقال صاحب معجم الاطباء ومما يدل على انه شيعي قوله في شرحه لمنظومة ابن سينا بعد كلام طويل ناقلا ما في التنزيل عن سيدنا موسى عليه السلام : أخلفني في قومي واصلح . والنبي صلى الله عليه وآله قال لسيدنا علي عليه السلام : أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى. فقال داود: فالمشاورة للتخيير على مقامات النبوة خلية عن الوحي الملكي لا للتخيير. فنبي آمن من الخطأ يحرض على الاصلاح ووصى لم ير عصمته الا الخواص يشاور على الرضا باعمال الانبياء ، هل هذا الا سر جلبته الخلافة وحققته الالوهية ؛ إذ كان الكفر خلافه ؟ وقال ايضاً في الشرح المذكور لا سيف الا ذوالفقار ولا فتى إلا علي : قام الحصر دليلا على القصر الى غير ذلك من اقواله .

صبانه

قال الفاضل ابو المعالي درويش الطالوي فى كتابه (السانحات) بعد أن اثنى عليه وذكر اتصاله به في القاهرة ولم ازل مدة أقامتي بمدينة القاهرة ارود حماه واجعل سمير ليلي فيها قمر محياه تارة بالظاهرية مجمع ائناسه واخرى بربع قيسون مربع ايناسه مملياً علي فيه من لطائف اسماره وطرائف نكته البديعة من نوادر اخباره ومما سمعته منه ورويته عنه ، وقد سئل عن مقسط رأسه فاخبر اني ولدت بانطاكية بهذا العارض اي عدم قدرته على النهوض ولم يكن لي بعد الولادة بعارض ثم اني بلغت من السن عدد النجوم السيارة وانا لا اقدر ان انهض ولا أقوم لعارض ريح تحكم فى الاعصاب منع قوائمي من حركة الانتصاب وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار له كرم خيم وطيب نجار فاتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطاً للواردين وبنى فيه حجرات للفقراء المجاورين ورتب لها فى كل صباح من الطعام مايحمله اليها بعض الخدم وكنت أحمل في كل يوم الى صحن الرباط فاقيم فيه سحابة يومي ويعاد بي الى منزل والدي

عند نومي وكنت اذ ذاك قد حفظت القرآن وكفيت مقدمات تثقيف اللسان وانا لا افتر في تلك الحال عن مناجاة قيم العالم في سري ومبدع الكون فيما يؤل اليه عاقبة امري فبينا أنا كذلك إذا برجل جاء من اقصى المدينة يسعى، كأنه ينشد ضالته إذا ضل المسعى، فنزل من الرباط بساحته ونفض فيه اثواب سياحته، فاذا هو من أفاضل العجم، ذو قدر منيف يدعى بمحمد شريف وبعد ان القى فيه عصا التسيار وكان لا يألف منزلا كالقمر السيار استأذنه بعض المجاورين في القراءة عليه وابتدأ في بعض العلوم الالهية فكنت اسابقه اليه فلما رأى ما رأى مني استخبر ممن هناك عني فأجبته ولم يكن هناك غير الدمع سائلا ومجيبا فعند ذلك اصطنع لي دهنا مسدني به في حر الشمس ولفني بلفافة من فرقي الى قدمي، حتى كدت افقد عنده الحس وتكرر ذلك منه مراراً من غير فاصل، فتمشت الحرارة الغريزية كالحميا في المفاصل وبعدها شد من وثاقي وفصدني من عضدي وساقي فقمت بقدرة الواحد الأحد بنفسي لا بمعونة أحد ودخلت المنزل على والدي فلم يتمالك سرورا، وانقلب الى اهله فرحاً مسرورا، وضمني الى صدره وسألني عن الحال، فحدثته بحقيقة ما جرى لي ممشى من وقته الى الاستاذ ودخل حجرته وشكر سعيه واجزل له عطيته فقبل منه شكره، واستعفاه بره وقال: انما فعلت ذلك لما رأيت فيه من الهيئة الاستعدادية لقبول ما يلقى اليه من العلوم، فابتدأت اقرأ عليه المنطق، ثم اتبعته بالرياضي والطب ولما تم شرعت بالطبيعي، فلما اكملت ذلك اشرأبت نفسي لتعلم اللغة الفارسية، فقال: يا بني انها سهلة لكل أحد ولكني افيدك اللغة اليونانية فاني لا اعلم الآن من يعرفها غيري. فأخذتها عنه وأنا بحمد الله الآن فيها كهو، ثم ما برح ان سار يطوي المنازل لدياره وانقطعت بعد ذلك عني سيارة اخباره

وقال غيره: رغب الشيخ داود بعد شفائه في تعلم علم الطب عند هذا الحكيم بعد ان كان قد حفظ القرآن كله على ظهر قلبه واكتسب شيئاً من العلوم الأدبية وهو في سن السابعة فقرأ على هذا الطبيب ثم على غيره علم الطب والرياضيات والمنطق والطبيعيات وغير ذلك من الفنون حسب طاقته وفهمه وقد كانت له حافظة غريبة بحيث إذا سمع

للمسألة مرة واحدة حفظها ثم لم تغرب عن ذهنه الى آخر عمره وبعد مدة توفي والده ورغب هو فى تكميل علومه؛ فقصد الشام ومصر وأقام فى القاهرة مدة كثيرة وكان قد اجتمع فى الشام ببعض مشايخها من مشايخ الاسلام كأبي الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام وشمس علومها البدر الغزي العامري، والشيخ علاء الدين العمادي.

قال صاحب السلافة: وكان قد هاجر فى ابتداء حاله الى مصر فباهى ببحر علمه نيلها ونال من اهلها فواضل فضل ما كان سواه لينيلها حتى دب داء الحسد فى علمائها وثقلت وطأته على هام عظمائها فرموه بالالحاد وفساد الاعتقاد وزعموا انه يرى رأى الحكماء القدماء من ان العالم قديم وان الخلق لا يعاد له اول، وان قوله تعالى (كما بدأنا اول خلق نعيده) مأول الى غير ذلك. ولما كثر فيه اللغط وركب متن عزمه على الفرار من ذلك الكمين، وخرج منها خائفاً يترقب، وتوجه تلقاء بيت الله الحرام فحل من اهله محل المريدة من العقد الثمين، وقصد سلطان الحرمين الحسن بن ابى نمي وهكذا قضى بقية عمره فى مكة حتى توفي سنة ١٠٠٨ بالاسهال الكبدي

نوادره الطبية:

لقد ذكر المؤرخون والمترجمون له نوادر كثيرة تدل على حدة ذكائه وطول باعه فى الفن والعلاج.

منها ماذكره المحبي فى خلاصة اثر (وذلك ان الشريف بن نمي دعاه يوماً لمعالجة بعض حرمه، وعند وروده الى مجلس الأمير مد احد الحاضرين يده اليه بدلا عن الشريف بحيث لم يلتفت ممتحناً له، ولما تأمل ادرك انها ليست بيد الأمير فقال: هذا نبض دعي خسيس ثم أخذ بيد الحاضرين فرداً فردا حتى وصل الى يد الأمير فقبلها من دون مسبوقية له به قبل هذا.

ثم كلفه بالدخول الى الحرم فجاءته جارية أخذت بيده وأدخلته ثم لما خرج جاءته تلك الجاربة وأخذت بيده واخرجته، ولما خرج أخذ يهلل ويكبر متعجباً فسأله

الشريف ؛ فقال : ايها الأمير أهل لي وللجارية الأمان لو قلت ؟ قال الأمير : نعم لكما الأمان فقال : ان هذه الجارية التي أخذت بيدي دخلت بكراً وخرجت ثيباً. ولدى التحقيق كان الأمير كذلك .

ومنها انه سأله مريض ذات يوم أي شيء يقوم مقام اللحم ؟ فقال له : البيض وبعد مدة طويلة سأله ممتحناً : بماذا يقلي ؟ فقال : بسمن قليل بشرط ان لا يجمد تماماً فقيل له : كيف عرفته وعرفت سؤاله فقال : ان صوته ذكرني سؤاله قبل مدة عن البيض عوضاً عن اللحم .

ومنها انه مر ببعض الحارات التي يسكنها الفقراء ، فسمع صوت مولود جديد فقال : هذا صوت بكري فتفحصوا عن ذلك فوجدوا ان بعض البكريين كان قد تزوج ببنت فقير منهم خفية . وله أمثال هذه النوادر شيء كثير .

مؤلفاته

للشيخ داود الانطاكي مؤلفات كثيرة وكلها جليلة نافعة منها تذكرة الالباب المعروفة اليوم بتذكرة الانطاكي جزآن وكتاب « تذكرة الاخوان فى طب الابدان » صغرى وكبرى وكتاب البهجة في الادوية المجربه ورسالة في الحمام وكتاب نزهة الاذهان في اصلاح الابدان وكتاب زينة الطروس في احكام العقول والنفوس والفية في الطب وشرح القانونجة وكتاب في علم الهيئة وكفاية المحتاج في علم العلاج وكتاب تزيين الاسواق في الادب وشرح قصيدة ابن سينا وكتاب طبقات الحكماء وشرح ابيات السهرودي التي اولها : (خلعت هياكلها بجرعاء الحمى .

أدبه وشعره

لقد كان هذا الطبيب النطاسى البصير مع وفور علمه وفضله جم الأدب سريع البديهة رقيق الطبع ينظم الشعر البديع ويكثر من جيده ، فمن ذلك قوله متغزلا :

نظرت اليها والسواك قد ارتوى   بريق عليه الطرف مني باكي
تردده من فوق در منظم   سناه لأنوار البروق يحاكي

فقلت وقلبي قد تفطر غيرة ألا ليتني قد كنت عود أراك
فقالت أما ترضى السواك اجبتها وحقك مالي حاجة بسواك

وله أيضاً قوله .

بروحي افي من خلتها حين اقبلت على اثر حزن تنثر الدمع في الخد
قضيباً من الكافور يمطر لؤلؤاً من النرجس الوضاح في فرش الورد

ومثله قوله :

لقد فقت ارباب المحاسن كلهم وزدت عليهم بالرشاقة والعقل
فمذ اعجز المغتاب شيء يقوله رماك باوصاف القطيعة والبخل
فلا ينثنى (١) بالهجر زور مقالة ولكن صليني او عديني بالوصل
ولا تمطلي بالوعد صباً معذباً وان قيل ان الشيء يعذب بالمطل

وقال ايضاً :

أقول لها هل تسعفين بزورة مريضاً كواه البين بالهجر والسقم ؟
فقالت اذا ما فارق الروح زرته لأن محالا جمع روحين في جسم

وله في الجناس قوله .

هواك مازج روحي قبل تكويني وانت ظلماً بنار الهجر تكويني
صبرت فيك على اشياء ايسرها ذهاب نفسي وقوم عنك تلويني
وكلما قلت صحت لي محبتها أرى ودادك ممزوجاً بتلوين
قد حل عقد اصطباري طول هجرك لي وليس غير وصال منك يبريني
اذا شممت شذا رياك منتشقاً فما نسيم اتى من نحو يبرين (٢)

وقال ايضاً كما ذكره تلميذه شهاب الدين الخفاجي في ريحانة الالبا

«١» كذا ولعله فلا يثنني

«٢» اسم قرية كثيرة النخل والعيون العذبه بحذاء الاحساء

من طول ابعاد ودهر جائر ونسيس (٣) حاجات وقلة منصف
ومغيب الف لا إعتياض بغيره شط المزار به فليس بمسعف
أتراه لو حلت لي الصهباء كي انشأ فاذهل عن غرام متلف

وله شعر غير هذا كثير اكتفينا بالقليل منه إثباتاً لأدبه ونبوغه

«١» النسيس بقية النفس وهنا كناية عن الحاجات القليلة

حرف الراء

٧٤ رشيد الدين ابو حليقة (*) ... ٦٦٠

رشيد الدين أبو الوحش الحكيم الأجل العالم بن الفارس ابي الخير بن أبي سليمان داود بن ابي المنى بن أبي فانة ويعرف بأبي حليقة (مصغر حلقه) «١»

كان أبو حليقة مفرداً في الطب نطاسياً في العلاج متفنناً في العلوم الحكمية متقدماً في فنون الأدب وؤفاً بالمرضى محباً لفعل الخير متشرعاً كثير العبادة كامل المروة .

قال الزركلي فى أعلامه : ولد في قلعة (جعبر) على نهر الفرات قرب الرقة ونشأ فى الرها ، ثم انتقل الى دمشق ثم الى القاهرة فاتصل بالملك الكامل ، ثم بابنه الملك الصالح ، ثم بابنه الملك المعظم ، ثم بالملك الظاهر وتوفي سنة ٦٦٠

أخذ الطب عن عمه مهذب الدين أبي سعيد فى دمشق ثم تلمذ على الطبيب الشهير عبد الرحيم بن علي الدخوار فى مصر وهكذا جد واجتهد وطالع وأخذ عن كل من اشتهر بهذا الفن حتى طار صيته وانتشر اسمه فى الأفاق .

مؤلفاته

ان له من المؤلفات القيمة والمصنفات الجليلة ما يدل على نبوغه وعبقريته وشدة غوره فى العلوم وهي كثيرة منها مقالة فى حفظ الصحة ، ومقالة فى ان الملاذ الروحية ألذ من الجسمانية ومنها كتاب فى الأدوية المفردة يسمى المختار فى الالف عقار وكتاب فى الأمراض وأسبابها وعلاماتها وعلاجها ومقالة فى ضرورة الموت الى غير ذلك

«*» عيون الانباء وغيره «١» سبب اشتهاره بهذا اللقب هو ان أباه كان لم يعش له ولد فقيل له ان يضع في اذنه حلقة فضة ثم يتصدق بثمنها وهكذا فعل وبقيت الحلقة حتى تزوج فاشتهر بها .

نوادره الطبية

وقد ظهرت على يده فى المعالجات معاجز طبية ونوادر فنية كثيرة مما دلت على حذقه فى تصرفه فى الصناعة وأعمال الفن نذكر بعضها .

منهـا ان امرأة جاءت اليه بولدها من الريف وقد غلب عليه النحول والمرض ، وشكت له حاله وانها قد عجزت من مداواته وهو يزداد سقاماً ونحولا فنظر اليه وجس نبضه واستقرأ حاله وبينما هو يفحصه قال لغلامه : ادخل وناولني الفرجية حتى اجعلها علي لأن الوقت كان بارداً فتغير نبض المريض عند قوله ففطن الى شيء ثم لما رجع الغلام قال للحكيم : هذه الفرجية . وهو ماسك بنبضه فرآه قد تغير ايضاً فقال لوالدته خذي ولدك فهو عاشق بنتاً اسمها (فرجية) فقالت : اي والله يامولاي وقد عذلته كثيراً فلم ينفع .

ومنها ان الملك الكامل خرج اليه ذات يوم من خلف الستارة مع المرضى بحيث لم يعلم به فرأى نبض الجميع ووصف لهم الدواء حتي انتهى الى الملك فعرفه وقال هذا نبض مولانا السلطان وهو صحيح بحمدالله فتعجب منه وعظمت مكانته .

وله أمثال هذه المعاجز الطبية كثير لم يسع هذا المختصر ذكرها ..

أدبه وشعره

لقد كان له القدح المعلى واليد الطولى فى الأدب كما دلنا على ذلك ماله من الطبع الرقيق والأريحية الشفافة ، والقريحة الوقادة الـتي تظهر فى شعره وكتاباته الفصيحة الالفاظ البليغة المعاني السامية المباني من ذلك قوله :

سمح الحبيب بوصله في ليلة　　　غفل الرقيب فنام عن جنباتها
في روضة لولا الزوال لشابهت　　　جنات عدن فى جميـع صفاتهـا
فالطير يطرب فى الغصون بصوته　　　والراح تجلى فى كؤوس سقاتهـا

وقال مجيباً أباه عن كتابه من القاهرة كان يشعر بعافيته وهو في دمياط .

مطـرت علي سحائب النعماء　　　مذ زال ما تشكو من البلواء

ولبست مذ أبصرت خطك نعمة … فبما أقوم بشكرها بوفاء

وله أيضاً قوله :

خليلي انى قد بقيت مسهداً … من الحب مأسور الفؤاد مقيدا
بحب فتاة يخجل البدر وجهها … ولا سيما فى ليل شعر إذا بدا
ضللت بها وهي الهلال ملاحة … فواعجباً منه أضل وما هدى
لها مبسم كالدر أضحى منظما … ونطق كمثل الدر أمسى مبددا

ومن بديع شعره قوله :

أحن الى ذكر التواصل ياسعد … حنين النياق العيس عن لها الورد
فسعدى على قلبي ألذ من المنى … وقربي لها عند اللقاء هو القصد
حوت مبسما كالدر أضحى منظما … وثغراً كمثل الاقحوان به الشهد
وفرعاً كمثل الليل أوحظ عاشق … ووجهاً كضوء الصبح هذا الذاضد
أقول لها عند الوداع وبيننا … حديث كمثل المسك خالطه ند
ترى نلتقي بعد الفراق بمنزل … ويظفر مشتاق أضر به البعد
تمر الليالي ليلة بعد ليلة … وذكركم باق يجدده العهد
ولكن خوف الصب ان طال هجركم … فيقضي ولا يقضى له منكم الوعد
عشقت سيوف الهند من أجل انها … تشابهها في فعل ألحاظها الهند
ولي فى الرماح السمر سمر لانها … تشابهها قداً فيا حبذا القد
وفي الورد معنى شاهد فوق خدها … نشاهده منه اذا عدم الورد
وبي من هواها ما جحدت وعبرت … به عبرتي يوماً وما نفع الجحد

٧٥ — الدكتور رشيد معتوق (*) ١٨٩٥ م

رشيد بن الياس معتوق البيروتي اللبناني من عائلة شهيرة هناك تعرف بآل معتوق

«١» أرسل ترجمته هو بنفسه من الديوانية فنقلناها بتصرف فى التعبير

طبيب نطاسي وجراح ماهر وكاتب أديب وشاعر مطبوع

جمع الى شهرته الطبية أخلاقاً سامية وعطفاً على الفقراء سهل العلاج حميد السيرة ساعياً في نجاح علاجه مهما كلفه العلاج من صعوبة وتعب وبالجملة فقد عرف في العراق لا سيما في الفرات الأوسط بهذه الصفات الطيبة .

ولد في احدى قرى لبنان سنة ١٨٩٥ ميلادية ودرس المقدمات الأولية فيها ثم غادرها الى بيروت فدخل الجامعة الامريكية ثم تخرج منها طبيباً سنة ١٩١٧ م ومارس مهنته كطبيب في (دوما) شمال لبنان بالطريقة المسماة (الضمان الصحي) وهو أن يدفع المتمكنون من أهالي القرية مبلغاً معيناً من المال يتفق عليه كل سنة مع الطبيب سلفاً سواء رضوا أم أبوا وأقل منهم متوسطوا الحال على حسب اقتدارهم أما الفقراء فلا شيء عليهم طوال السنة يطبون مرضاهم مجاناً وبلا عوض وفي إزآء ذلك المدفوع للمريض حق على الطبيب أن يطلب حضوره متى شاء وفي اي وقت واي مكان حسب حاجته من دون دفع أجرة بعد ذلك الدفع الأولي اي المقرر السنوي الذي يدفعه المتمكن للطبيب .

وبذلك يصبح الطبيب مثقفاً جماعته تثقيفاً طبيـاً ومعلمهم أصول الوقاية وحفظ الصحة بداعي تقليل تعبه على انه قد حصل على اتعاب بدنه من الغنى والمتوسط أما الفقير فقد تطبب مجاناً وبلا منة أو تعب .

ثم جاء الى العراق سنة ١٩٣٤ م موظفاً لدى الحكومة العراقية وبعد سنة سافر على حسابه الخاص الى فينا عاصمة النمسا لأنهاء دورة الجراحة العامة ثم رجع الى العراق واشتغل في مصلحة الصحة العراقية كجراح في مستشفى الحلة ثم فى مستشفى الديوانية ثم السليمانيه ، ثم الكوفة ثم عاد الى الديوانية وهو الآن سنة ١٩٤٦ م مقيم فيها على حسابه طبيباً وجراحاً .

أدبه وشعره

قلنا ان الدكتور رشيد كاتب أديب وشاعر مطبوع مقل كما سنذكر لك شيئاً

من شعره أما كتابته وأدبه فهو ذو القلم السيال والأسلوب الحسن الجذاب يسحر بالفاظه ويبهر بمعانيه . وله مقالات طبية منشورة في أغلب الجرائد والمجلات .

ومن نظمه البديع قوله :

ان تتخذ هذي الطبابة في الورى … سبباً لحفظ الروح والأبدان
فالشعر فن يقتل الجهل الذميم … ويصقل الأرواح في الأكوان
وإذا تسنى للطبيب الجمع بينهما سما لسعادة الانسان

وله من المؤلفات كتاب الطب العراقي وهو كتاب جليل النفع في بابه عام الفائدة غير انه حتى اليوم لم يبرز للطبع

٧٦ السيد رضا ابن ابي القاسم الحلي * ١٢٨٣-١٣٤٦هـ

هو السيد الجليل والفاضل النبيل أبو كمال محمد الرضا ابن أبي القاسم بن السيد فتح الله ابن السيد نجم الدين الملقب باغا بزرك الكمالي الحسيني الاسترابادي .

هكذا سرد علي نسبه الطاهر وانبأني ان مولده في الحلة سنة ١٢٨٣ هـ وقد انتقل أبوه من استراباد الى الحلة لحوقاً باخ له سكنها قبله يدعى بالسيد مرتضى وهو عم المترجم وكان هو ايضاً أعني السيد مرتضى الطبيب الوحيد يومئذ بالحلة وله فيها ذكر جميل وشهرة طبية فنشأ السيد رضا في بيت أبيه وعمه وما كاد ينتشق النسيم المنعش من الفيحاء واريج صعيدها العاطر حتى أصبح بطبيعة الوضع والبيئة عربي اللهجة والنزعة والشيء يرجع الى اصله لأنه هاشمي عربي فطفق يسعى لطلب العلم وتحصيل الفضل والأدب فقرأ شطراً من المبادىء العربية على المرحوم العالم التقي الشيخ محمود آل سماكة والشيخ حمادي آل رعيدة وغيرهما من أفاضل الحلة ثم هاجر الى النجف منهل العلم والأدب وهو يافع لم يبلغ الحلم في حدود سنة ١٣٠٠ فاكمل دراسته في المنطق والمعاني والبيان على جماعة من جهابذة النجف ودرس سطوح الاصول على العلامة الورع

« * » عن كتاب البابليات المخطوطة للخطيب الأديب الشيخ محمد علي اليعقوبي

السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي ره المتوفي سنة ١٣٣٤ هـ وحضر الفقه في حوزة العلامة الكبير الملا محمد الايرواني المتوفى سنة ١٣٠٦ ثم في حوزة المرجع الشهير السيد محمد كاظم اليزدي المتوفي سنة ١٣٣٧ هـ وهو في خلال هذه المدة يرقى الاعواد في الصحن الحيدري ويفيد من يجتمع حوله وحول منبره بارشاداته القيمة ومواعظه الاخلاقية ثم سافر فى اواسط حياته الى إيران لزيارة قبر الامام الرضا عليه السلام وتجول في امهات المدن الفارسية فحصل في سياحته هذه على جملة من العلوم الرياضية وتخصص في علم الطب القديم اليوناني ، وبعد عودته من ايران أقام في الحلة يتعاطى مهنة الطب ويزاول معالجة المرضى الذين يقصدونه في بيته ؛ وكان يجلس اغلب لياليه فى مسجد لصق بداره فيسمع من يأتيه بعض فوائده المنبرية ، وهو في الحقيقة ممن يستفاد بمحاضراته ويهش السامع لحديثه ، على انه كان محباً للعزلة وعدم الاتصال بالعامة مقتصداً في المعيشة تبدو عليه سيماء الورع وتلوح على وجهه وهيئته آيات التقشف والزهد ، وقد وفقه الله لحج بيت الله الحرام سنة ١٣٢٩ هـ .

وله مؤلفات ممتعة اطلعني عليها بخطه منها كنز الافراح ومراح الارواح في الأدب والنوادر ، ومنها الحدائق الزاهرة في زاد الدنيا والآخرة في المواعظ والاخلاق وارجوزة فى علم الكلام ، ونهاية الآمال في علم الرجال وهذه رأيتها عنده وقرظتها بابيات لم استحضرها ، ورسالة عقد الفريد في علم التجويد ، ومنظومة في علم العدد والحروف ، وديوان شعر جمعه في حياته وكان ينشدنا منه احيانا يوم كنت ازوره في داره أنا وجماعة من الرفاق سنة ١٣٣١ هـ وشعره من الطبقة الوسطى حسن الانسجام رقيق الاسلوب . منه قوله .

أخاف بأن ابدى هواك وللأسى تباريح في قلبي لهن وجيب
تركتك حتى قالت الناس قد سلا عن الحب خوفاً ان ينم رقيب
ولم تبق لي الا شظايا من الحشا بهن كلوم ما لهن طبيب

وله أيضاً قوله :

أرأيت ناشرة بهيم جعودها … من فوق صبح جبينها الوضاح
كيف استحلت يوم شرقي الحمى … قتلي وسفك دمي بغير جناح

وقال :

علي لأن زارت اميمة غدوة … وعانقتها والشوق يجذبنا جذبا
أطوف بها سبعاً واسعى ملبياً … واحصب واشيها واهدى لها القلبا

وله رحمه الله قوله :

يا ضاعنين خذوا من بعد فرقتكم … من لا يطيق لسر الحب يكتمه
قد ذاب من وجده جسماً ومن كمد … لم يبق بين الورى الاّ توهمه

ومن نظمه ايضاً قوله :

ما ضر فاتنة الجفون لو انها … مزجت بشهد من لماها الراحا
وسقته ولهان الفؤاد بليلة … عادت بغرتها تضيء صباحا

ومن جملة ما قال .

لمياء ناعسة الجفون بثغرها … راح ومبسمها النظيم حبابها
زفت الي بكأسها عنبية … لكنما كان المزاج رضابها
نادمتها بالاجرعين عشية … حتى تذبذب قرطها ونقابها

وقال غفر الله له .

غزال اللوى بالاجرعين مزاره … يشق علينا بعده وانتظاره
كأن لم يكن في شرعة الحب والهوى … لاهل الهوى والحب الا نفاره
فكم لامني فيه الخلى معنفاً … ولا تنطفي باللوم عني ناره
لى الله كم الجمت في حلبة الهوى … جواد اصطباري ثم يبدو عثاره
وكم من غمام الجفن امطرت وابلا … على جمر قلبي فاستطار شراره

استأثرت روحه الرحمة الآلهية في آخر ذي الحجة سنة ١٣٤٦ ﻫ ونقل نعشه من الحلة الى النجف . وكان قد أوصى ان تنقل كتبه المخطوطة والمطبوعة الى النجف

وتودع فى مكتبة حسينية جماعة الشوشترية المعروفة الواقعـة فى الزقاق المشهور (بعقد السلام) وقد رأيتها فى المكتبة المذكورة وقد اجرى عليها وصيه الحجة الأكبر الحاج مرزا محمد حسين النائينى رحمه الله صيغة الوقف وكتب ذلك بخطه الشريف في سنة ١٣٤٧ هجرية على مهاجرها الآف التحية .

٧٧ - رضوان بن رستم الساعاتى (*) ٠٠٠ـ٦١٨

رضوان (١) بن محمد بن علي بن رستم الخراساني الساعاتى الطبيب، وهو اخو بهاء الدين أبي الحسن الساعاتي الشاعر الشهير على ما ذكره الحموي في معجم الادباء وقال (كان فخر الدين هذا طبيباً فاضلا ؛ وأديباً شاعراً وله معرفـة تامـه بالمنطق والعلوم الحكمية) وقال ابن أبي اصيبعة وغيره (وكان كاملا في صناعة الطب فاضلا في العلوم الأدبية تخرج فى الطب على الشيخ رضي الدين الرحبى الطبيب ولازمـه مدة ثم على الشيخ فخر الدين الماردينى، ودرس الأدب على الشيخ تاج الدين الكندي فى دمشق وكان فطنا ذكيا متقنا لما يعانيه حريصاً على العلم الذي يشتغل فيه جيد الخط، وكانت له معرفة جيدة فى المنطق والحكمة كما كان كاملا في معرفة الساعات واصلاحها ولهذا عرف واشتهر بالساعاتي ، خدم بصناعته الملك الفائز بن الملك العادل أبي بكر بن ايوب وتوزر له مدة ، ثم خدم بطبه الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ، وتوزر له ايضاً وكان ينادمه ويطبه ويضرب له بالعود و كان محباً لـكتب ابن سينا ملازماً لمطالعتها شغوفاً بقراءتها) .

توفي فى دمشق سنة ٦١٨ بداء اليرقان وفي دائرة المعارف الاسـلامية توفي سنة ١٢٣٠ م وله مؤلفات منها تكميل كتاب القولنج للشيخ الرئيس وحواشي على القانون وكتاب مختارات الاشعار وله كتاب مخطوط محفوظ في مكتبة (جوته)

« * » عيون الانباء ومعجم الاطباء ، ودائرة المعارف الاسلامية

« ١ » وذكره الحموي رمضان بن رستم بن محمد بن علي بن رستم

في تركيب الساعات لا يعرف عنوانه .

وله شعر بديع ونظم حسن منه قوله :

يحسدني قومي على صنعتي ... لأنني ما بينهم « ١ » فارس
سهرت في ليلي واستنعسوا ... لن يستوي الدارس والناعس

وذكر له الحموي في معجم الادباء ايضاً قوله :

وروضة زاد بالاترج بهجتها ... في صفرة اللون يحكي لون مسكين
عجبت منه فما ادري أصفرته ... من فرقة الغصن ام من خوف سكين

وقال أيضاً .

حسب المحب تلذذ بغرامه ... من كل ما يهوى وما يتحبب
راح المحبة لا تريح بروحها ... من كان في شيء سواها يرغب

« ١ » وفي نسخة بينهم .

حرف الزاء

٨٧ ـ أبو العلاء زهر الايادى (*) ٠٠٠ ـ ٥٢٥

زهر بن أبي مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الأيادي الاشبيلي الطبيب المشهور بأبي العلاء (١) كان فاضلا في صناعة الطب خبيراً باعمالها مشهوراً بالحذق والمعرفة اشتغل بالطب وتدرب على أبيه وعلى أبي العيناء المصري (٢)

قال ابن دحية: كان زهر وزير ذلك الدهر وعظيمه (٣) وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وكان في دولة المرابطين، وله علاجات مختارة ومفاخر طبية مشهورة تدل على طول باعه في تلك الصناعة وشدة اطلاعه على دقائقها وكان تشخيصه للامراض بالنظر الى القارورة وجس النبض فقط، وبتينك العلامتين كان يخبر المرضى بكل ما يجدونه من دون ان يسألهم عن اعراضهم.

وقد حظي عند الملوك (المرابطين) بالمنزلة الرفيعة والذكر الجميل لامامته في الطب وتقدمه في الأدب وحسن ذوقه ومعرفته. وقد اكتسب عند العامة الشهرة الواسعة لولا بذاءة لسانه، وعجلة انسان اشتهرت فيه (واى الرجال تكمل خصاله).

ذكر صاحب مطارح الانظار الفارسية عن ابن جميع المصري في كتابه (التصريح بالمكنون). ان رجلا من التجار جلب من العراق الى الاندلس نسخة من قانون ابن سينا، قد بولغ فى تحسينها. فاتحف بها ابا العلاء تقرباً اليه فلما تأمله ذمه وطرحه ولم يدخله فى خزانة كتبه، وجعل يقطع من طرره ما يكتب به نسخ الأدوية لمن

(*) نفح الطيب واعلام الزركلي ومطرح الانظار الفارسية وغيرها (١) حرفت هذه الكنية فى العصور الوسطى فصارت (أبوالى) و [ابوللي] و [ايلمول] ثم اضيفت الى زهر فصارت «ابو للزور» و «البولزور» كما فى دائرة المعارف الاسلامية [٢] دائرة المعارف الاسلامية «٣» وفي دائرة المعارف الاسلامية من جملة كلام. وسرعان ما انضم الى يوسف بن تاشفين الذي منحه شرف الوزارة

يستفتيه من المرضى من دون ترو ولا التفات الى جواهره المخزونة ولئاليه المكنونة

قال الزركلي في الاعلام : ابو العلاء الايادي فيلسوف طبيب اندلسي من اهل اشبيلية ، نشأ في شرق الاندلس ، ورحل الى قرطبة فمهر في الحديث والادب واقبل على الطب فبرع فيه وتدرب تدريباً فنياً فائقاً على أبيه وعلى أبي العيناء المصري و كان دقيقاً في تشخيص الامراض وكان من جملة تلاميذه ابوعامر بن ينق(١) الشاطبي الشاعر

قال صاحب التكملة : ان أبا العلاء زهر ، انسى الناس من قبله احاطة بالطب وحذقاً بالمعاينة ، حتى ان اهل المغرب ليفاخرون به و باهل بيته من سواهم .

وقد توفي في قرطبة سنة ٥٢٥ هـ(٢) من نغلة (٣) بين كتفيه كما في نفح الطيب وفي حاشيته انه توفي منكوبا .

مؤلفاته .

لابن زهر مؤلفات كثيرة تعتبرها الاطباء وتعتمد عليها في النقل والعمل بها منها كتاب الخواص . كتاب في الرد على ابن سينا . كتاب النكت الطبية. كتاب الادوية المفردة كتاب الايضاح . حل شكوك الرازي على كتب جالينوس مجربات الطب وغير ذلك من الكتب والرسائل التي امر ابن تاشفين على بن يوسف بعد وفاته ان يستنسخها ويجمعها من بلاد مراكش وغيرها المستنسخون، ثم حفظها في خزانات الكتب .

ادبه و شعره

كان أبو العلاء مشهوراً فى الادب شهرته في الطب ، وله شعر كثير منه قوله :

يا من كلفت به وذلت عزتي ... لغرامه وهو العزيز القادر
رمت التصبر عند ما القى الجفا ... ويقول ذاك الحسن مالك ناصر

«١» بالياء والنون المشددة والقاف «٢» كما في مطرح الانظار واعلام الزركلي و كشف الظنون «٣» الدبيلة .

ما الجاه الا جاه من ملك القوى ... واطاعـــه قلب عزيز قاهر

وقال ايضاً :

يا راشقي بسهام ما لهغـــرض ... الا الفؤاد وما منه له عوض

وممرضي بجفون حشوها سقم ... صحت ومن طبعها التمريض والمرض

امنن ولو بخيال منك يطرقني ... فقد يسد مسد الجوهر العرض

وقال في ابن منظور قاضي قضاة اشبيليه ، وقد نقل له انه قال : أيمرض ابن زهر ؟ مستهزءاً به .

قالوا ابن منظور تعجب دائباً ... اني مرضت فقلت يعثر من مشى

قد كان جالينوس يمرض دهره ... فمن الفقيه المرتضى أكل الرشا

وله قوله ايضاً .

سمعت بوصف الناس هنداً فلم أزل ... اخا صبوة حتى نظرت الى هند

فلما أراني الله هنداً وزيها ... تمنيت ان ازداد بعداً على بعد

٧٩ — زهير بن جناب « * » ...

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبدالله بن كنانه بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير .

قال ابو حاتم السجستاني . عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة وواقع مائتي وقعة . وكان سيداً مطاعاً ، عاش شريفاً في قومه . ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من اهل زمانه . كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم ، والطب كان في ذلك الزمان شرفا وجازي قومـــه والجرأة الكهانه ، وكان فارس قـومه وله البيت فيهم والعدد منهم ، واوصى

[*]عن أمالي المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ ج ١ ص ١٧٢

بنيه فقال (يا بني قد كبرت سني ، وبلغت حرساً (١) من دهري فاحكمتنى التجارب ، والامور تجربة واختبار، فاحتفظوا عني ما أقول وعوه : اياكم والخوار (٢) عند المصائب والتواكل عند النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب ، واياكم ان تكونوا للاحداث مغترين ولها آمنين ومنها ساخرين فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان في الدنيا غرض (٣) تعاوره (٤) الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد انه مصيبه .)

ثم قال وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل ولم يكن فى العرب انطق منه ولا اوجه عند الملوك . وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً . ولم تجتمع قضاعة الا عليه وعلى رزاح ابن ربيعة . فسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا يجوز ان تتكلم به عند زوجها فنهاها . فقالت له اسكت ! والا ضربتك بهذا العمود فو الله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا تعقله ! فقال عند ذلك:

ألا يا لقومى لا أرى النجم طالعاً ... ولا الشمس الا حاجبي بيميني
معزبتي عند القفا بعمودها ... تكون نكيري ان أقول ذريني
أميناً على سر النساء وربما ... اكون على الاسرار غير أمين
فللموت خير من حداج (٥) موطأ ... مع الظعن لا يأتى المحل لحيني

وهو القائل

أبني ان اهلك فقد ... اورثتكم مجداً بنيه
وتركتكم ارباب سا ... دات زنادكم وريه « ٦ »
من كل ما نال الفتى ... قد نلته الا التحية « ٧ »

« ١ » الحرس من الدهر الطويل منه [٢] نقصان الهمة والعزم « ٣ » كلما نصب للرمي « ٤ » تداوله
« ٥ » حداج موطأ مركب للنساء « ٦ » وري الزناد اى قدح وهو كناية عن بلوغ المارب « ٧ » الملك او الخلود

ولقد رحلت البازل (١) الكوماء (٢) ليس لها وليه (٣)

وحظيت حظوة حازم غير الضعيف ولا العييه

فالموت خير للفتى فليهلكن وبه بقيه

من أن يرى الشيخ البجا ل (٤) اذا يهادى (٥) بالعشيه

وهو القائل :

ليت شعري والدهر ذو حدثان أي حين منيتي تلقاني

أسبات على الفراش خفات (٦) أم بكفي مفجع (٧) حران (٨)

ومما يروى لزهير بن جناب

إذا ما شئت أن تسلو حبيباً فكثر دونه عدد الليالي

فما سلى حبيبك مثل ناء ولا أبلى جديدك كابتذال

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره

لقد عمرت حتى ما أبالي احتفى في صباح أم مساء

وحق لمن أتت مئتان عاماً عليه أن يمل من الثواء

الى هنا انتهى كلام السيد المرتضى فى أماليه . وقال عيسى بن داب فى كتابه المناقب « المخطوط » : لقيت الناس يتحدثون ان العرب كانت تقول ان الله يبعث نبياً فينا يكون فى بعض أصحابه سبعون خصلة من مكارم الدنيا والآخرة فنظروا وفتشوا أهل تجتمع عشر خصال فى واحد فضلا عن سبعين ؟ فلم يجدوا في أحد عشر خصال من مكارم الدنيا والدين ووجدوا قد اجتمعت عشر خصال فى واحد من مكارم الدنيا ولكن ليس فيهما من مكارم الآخرة والدين شيء . ووجدوا زهير بن جناب الكلبي

« ١ » الناقة اذا بلغت عشر سنين ويتساوى فيه المذكر والمؤنث « ٢ » العظيمة السنام « ٣ » برذعة تطرح على ظهر البعير « ٤ » المعظم المبجل « ٥ » التهادي المشي الضعيف « ٦ » الضعف من المرض أو الجوع « ٧ » المفجوع بولده أو قريبه « ٨ » العطشان وهنا المحزون على قتلاه

شاعراً طبيباً فارساً منجماً شريفاً أبداً كاهناً قايفاً عايفاً زاجراً . وذكروا انه عاش ثلاثمائة سنة ، وابلى أربعة أنجم قال : ثم نظروا وفتشوا فى العرب ؛ وكان الناظر فى ذلك أهل النظر فلم يجدوا أن اجتمع فى أحد خصال مجموعة من الدنيا والدين بالاضطرار على ما أحبوا و كرهوا إلا فى رجل واحد وهو علي بن أبي طالب عليه السلام ، فحسدوه عليها حسداً أنغل القلوب واحبط الاعمال ، وكان عليه السلام أحق الناس وأولاهم بتلك الخصال ، إذ هدم الله تعالى به بيوت المشركين ونصر به الاسلام وقوي به الدين فى قتله من قتل من المشركين والكافرين في مغازي سيد المرسلين . » ثم فصل تلك الخصال السبعين في كتابه .

وقد نظم هذا الكتاب العلامة البحاثة الشيخ محمد الشيخ طاهر السماوي فى أرجوزة رباعية التزم فيها ما لا يلزم قال في أولها :

الحمد لله العلي البادي — والصلوات فى مدى الآباد
على النبي خيرة العباد — وآله الأئمة العباد
وبعد فاسمع جمل الآداب — نظم كتاب الجهبذ ابن داب
فى فضل من وداده حدابي — لنظمه وكان ذاك دأبي
مناقباً تحك كل كوكب — فى أوجه بمنكب فمنكب
تنمى لأصل فى العلى مركب — من فعمة النور التي لم تسكب

ومنها

اختارها عيسى اختيار موسى — سبعين يستجلي بها الناموسا
فاطلع النظم بها شموسا — مئتين لم تستطلع القاموسا
قال ابن داب قد لقينا في الصبا — من الشيوخ البالغين منصبا
يحدثون فى النوادي العصبا — عمن شأى فضلا وحاز القصبا
قالوا عددنا غرر الخصال — فكن سبعين بلا انفصال
يقودها الدين للاستحصال — فتتبع الدنيا بالاتصال

ثم نظرنا رجلا فرجلا … يدعى الأغر في الورى المحجلا
فما وجدنا من بسبعها أنجلا … فكان فيها الأفضل المبجلا
نعم وجدنا رجلا ذالب … من سرة العرب الكرام الغلب
وهو زهير بن جناب الكلبي … فانه كان قوي القلب
وكان فارساً شريفاً عايفا … وكاهناً وزاجراً وقايفا
وكان شاعراً طبيباً فائقا … بالنجم فيهم شاتياً وصايفا

الى آخرها وهي طويلة .

٨٠ ابن زنباع أبو الحسن الطبيب (*) …

ابن زنبأع أبو الحسن هو الفقيه القاضي مليء حياء وقني استحياء طود سكون ووقار ، وروضة نباهة يانعة الازهار ، وسمت صفحات المهارق غرره وانتظمت بلبات المغارب والمشارق درره ، أن نطق رأيت البيان متسرباً من لسانه والاحسان منتسباً لاحسانه . حوى العلوم وحازها، وعلم اطالتها وايجازها، وهو في الطب موفق العلاج واضح المنهاج ، وله نظم يزهي نحور الكعاب ، ويستسهل الى سماعه سلوك الصعاب .

ومن شعره قوله :

أبدت لنا الأيام زهرة طيبها … وتسربلت بنضيرها وقشيبها
واهتز عطف الأرض بعد خشوعها … وبدت بها النعماء بعد شحوبها
وتطلعت في عنفوان شبابها … من بعد ما بلغت عتي مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم … فبكت لها بعيونها وقلوبها
فعجبت للازهار كيف تضاحكت … ببكائها وتبشرت بقطوبها

الى آخرها وهي طويلة جميلة .

(*) قلائد العقيان

ومن شعره قوله :

كذا(١) تصان السيوف بالخلل(٢) ويفخر الخط (٣) بالقنا الذبل
وتكرم الخيل فى مرابطها بر الفتاة العروب بالرجل
ويعطف النبع كالحواجب أو احنى وتمهى (٤) السهام كالمقل
ويوثر النثرة (٥) الكمي إذا خير بين الدروع والحلل
فتح انارت له البلاد كما أشرفت المقربات (٦) للنهل
هدت له الروم هدة ملأت قلوب أبطالهم من الوجل
فما أطاقوا الولوج فى نفق ولا اطاقوا الصعود فى جبل

وله مرتجلا وقد زاره نفر من اخوانه :

أهلا وسهلا وكم من سادة نجب كالذبل السمر أو كالانجم الشهب
أجملتم وتفضلتم بزورتكم وليس ينكر فضل من ذوي حسب
أضاء منزلنا من نور أوجهكم وطاب من عيشنا ما كان لم يطب

وله غير ذلك شعر كثير إكتفينا منه بما ذكرنا .

(١) الظاهر انها (لذا) لتتسق الابيات «٢» الخلل الاغماد المغطاة بالاديم
«٣» ميناء فى البحرين تصنع فيه الرماح «٤» تحدد رؤوسها «٥» الدرع
«٦» الخيل السريعة العدو

حرف السين

٨١ - سعد بن احمد بن لبون التجيبي (*) ٦٢٠ - ٧٥٠ هـ

سعد بن احمد بن ابراهيم بن لبون التجيبي ابو عثمان من اهل المرية . قال الحضرمي في مشيخته : شيخنا الفقيه الجليل الاستاذ المصنف الطبيب الاعرف الماهر العالم المتفنن الصالح الزاهد الفاضل من اجل علماء الاندلس وابرعهم تأليفاً له تصانيف عدة في فنون كثيرة نثراً ونظما وقد بلغت نحو ثلاثين مؤلفاً وله قدرة على نظم العلوم وليس في بلده اكثر منه كتباً او اعلى اخطاراً يتنافس في اقتنائها ويهتم بهامع الاعتناء بمقابلتها وضبطها واجادة تصحيحها مع زهادة وورع وشدة انقباض عن الناس وزهد فيما عندهم لم يتزوج قط ولم يزل مدة حياته يقصده فضلاء الناس وخيارهم واشرافهم للانتفاع به في الطب والقراءة عليه استنابه قضاة بلده في الاحكام الشرعية والنوازل الحكمية فظهرت عدالته وشكرت سيرته .

ولد بالمرية ونشأ بها ولم يخرج منها لغيرها كثير الصدقة ، لازمته ثلاثين سنة تباعاً وحفظت بعض منظوماته في الحديث والفرائض والطب والعروض والمساحة وغيرها ، وسمعت معظمها وتفقهت عليه في علم الحديث والفرائض وغيرهما وانتفعت بخزائنه

توفي شهيداً بالطاعون عام ٧٥٠ هـ وقد ناهز السبعين ومما انشدني لنفسه قوله .

جنة العالم « لا ادري » اذا احتاج لجنة

فاذا ما ترك الجنة باتت فيه جنة

فالزم الجنة تسلم انما الجنة جنة

ومن نظمه ايضاً قوله :

يحق الحق حتماً دون شك وان كره المشكك والملد

[*] معجم الاطباء عن نيل الابتهاج

صريح الحق قد يخفى ولكن ... بعيد خفائه لا شك يبدو

وقال .

ما تمت الدنيا لشخص ولا ... أملّ ذا فيها سوى من فتن

عادتها الفتاك بمن رامها ... وكل من اعرض عنها أمن

فلا تغرنك بلذاتها ... فان من غر بها قد غبن

وله ايضاً قوله .

لا تقبل الحكم على بلدة ... نشأت فيها انه يحقد

رياسة المرء على الأهل والجيران ... والخلان لا تحمد

ومن نظمه ايضاً قوله .

تغافل في الامور ولا تكثر ... تقصيها فالاستقصاء فرقة

وسامح في حقوقك بعض شيء ... فما استوفى كريم قط حقه

وله غير ذلك شعر كثير ذكر في حزبه المسمى (ابراء الذمم) في المواعظ والحكم

٨٢ — سعيد النيلي ابو سهل (*) ٣٥٣ — ٤٢٠ هـ

سعيد بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عبد المؤمن بن طيفور النيلي ، قال البيهقي . كان النيلي مشهوراً بالفضل عالماً بصناعة الطب جيد التصنيف متقناً للعلوم الأدبية ، بارعاً في النظم والنثر .

وقال ياقوت في معجمه : كان أديباً شاعراً نحوياً فقيهاً طبيباً عالماً بصناعة الطب ، توفي فجأه سنة ٤٢٠ هـ عن ٦٧ عاما .

وقال البيهقي . كان عارفاً باجزاء العلوم المعقولات ، ماهراً في المعالجات وكان أبوه وأخوه محمد من حسنات نيسابور ومفاخرها محمد في الفقه وابو سهل في الطب وما منها الا أديب شاعر .

« * » عيون الانباء ، معجم الادباء وتتمة صوان الحكمة ، ومعجم الاطباء

مؤلفاته

ان مؤلفات أبي سهل كثيرة نوه عنها المؤرخون ولكنا لم نعثر الا على شرح لمسائل حنين تلخيص شرح جالينوس للفصول ونكت من شرح الرازي . وهي اشهر مؤلفاته

وله كلمات حكمية كثيرة منها قوله (الطبيب لا يكذب لان الكذب خيانة والطبيب عن الخيانة بمعزل ، الصدق دعامة العقل ، الصدق امانة ولا خير في قول لا يصدقه فعل)

ادبه وشعره

لقد تقدم ان ذكرنا عن جملة من المؤرخين انه أديب شاعِر وذلك مما لا يب خيه فقد ذكر له ابن أبي اصيبعة له شعراً وهو قوله

يا مفدى العذار والقد والخد … بنفسي وما أراها كثيرا
ومعيري من سقم عينيه سقما … دمت مضنى به ودمت معيرا
اسقني الراح تشف لوعة قلب … بات مذ بنت للهموم سميرا
هي في الكأس خمرة واذا ما … افرغت في الحشا استحالت سرورا

وله كما في معجم الاطباء. عن علي بن اسماعيل قوله

يا من تكلف اخفاء الهوى جلداً … ان التكلف يأتي دونه الكلف
وللمحب لسان من ضمائره … بما يجن من الاهواء يعترف

وقال ايضاً

ولا تجزع لحادثة الليالي … فللسراء والضراء مده
ومن عرف الزمان وحالتيه … فلم يتعد في الحالين حده

وله قوله

دب المشيب الى فودي مبتكراً … وللشباب رداء ليس بالخلق

فقلت للنفس حتى للرحيل ضحى ما قصر الليل أدناه من الفلق

ونسب اليه صاحب تتمة صوان الحكمة قوله

قد رضت بالناس نفسي فعل اللبيب الحكيم
اقنعتهـــا بكفاف وفيه كل النعـــيم
فما يـــد لكريم عندي ولا للئيم

٨٣ سعيد بن عبد ربه الطبيب (*) ٠٠٠ ـ ٣٤٢ هـ

أبو عثمان سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن محمد بن سالم وهو ابن أخ الأديب الشاعر أبي عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه مؤلف كتاب (العقد الفريد) المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

كان مقدماً في الطب والفلك والطبيعيات والأدب وكان من أطباء القرن الرابع الهجري ولم يكن مثل كثير من الأطباء في عصره فانه لم يخدم ملكا ولا أميراً ولا وزيراً ولا غيرهم بطبه .

قال صاحب معجم الأطباء : كان طبيباً نبيلا وشاعراً محسناً وله في الطب رجز جليل يحتوي على جملة حسنة دل على تمكنه من العلم وتحققه لمذهب القدماء ، وله مع ذلك نظر بحركات الكواكب ومهاب الرياح وتغير الاهوية وقد توفي سنة ٣٤٢ هـ

ادبه وشعره

حكى عنه القاضي صاعد في كتابه « كشف طبقات الأمم في العرب والعجم » ان سعيداً فصد ذات يوم ، فكتب الى عمه صاحب (العقد الفريد) يسأله الحضور عنده ، وكان في سعيد شح فلم يجبه عمه فكتب اليه :

لما عدمت مؤانساً وجليساً نادمت بقراطاً وجالينوسا
وجعلت كتبهما شفاء تفردي وهي الشفاء لكل جرح يوسا

(*) كشف طبقات الامم ومعجم الاطباء عن التكملة

ووجدت علمها اذا حصلته ... يذكي ويحيي للجسوم نفوسا

فلما وصلت هذان البيتان الى عمه أجابه بقوله :

ألفيت بقراطاً وجالينوسا ... لا يبخلان ويبرمان جليسا
فاخترهما دون الاقارب جنة ... واجعلهما لك صاحباً وأنيسا
وأظن بخلك لا يرى لك تاركاً ... حتى تنادم بعده إبليسا

وقد أختاره احد امراء وقته ليكون طبيباً خاصاً له فلم يقبل فلامه اصحابه فقال :

أمن بعد غوصي في علوم الحقائق ... وطول انبساطي فى مواهب خالقي
وفي حين اشرافي على ملوكته ... أرى طالباً رزقاً الى غير رازقي
وقد آذنت نفسي بتقويض رحلها ... واسرع في سوقي الى الموت سائقي
وأيام عمر المرء متعة ساعـــة ... تجيء حثيثاً مثل لمحة بارق
واني وان اوغلت او سرت هارباً ... من الموت فى الافاق فالموت لاحقي

٨٤ـ سليمان بن موسى الشريف الكحال (*) ...ـ ٥٩٠ هـ

سليمان ابو الفضل برهان الدين بن موسى شرف الدين المكنى بالشريف الكحال المصري ، كان أديباً فاضلا بارعاً في العربية وفنون الادب عارفاً بصناعة الكحل ، خدم بها الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب ، وتقدم عنده وحظى لديه ونال منزلة عالية وقبولا تاماً .

وكان بينه وبين القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ، وبين شرف الدين محمد بن نصر المعروف بابن عنين الشاعر المشهور صحبة ومودة ومزاح ومداعبة ؛ وقد اهدى الشريف الكحال الى ابن عنين خروفاً وكان مهزولا ، فكتب اليه ابن عنين يداعبه :

ابو الفضل وابن الفضل انت واهله ... فغير عجيب ان يكون لك الفضل

« * » معجم الادباء للحموي

أتتني أياديك التي لا أعدها ... لكثرتها لا كفر نعمى ولا جهل
ولكنني انبيك عنها بطرفة ... تروقك ماوافى لها قبلها مثل
أتاني خروف ما شككت بأنه ... حليف هوى قد شفه الهجر والعذل
إذا قام في شمس الظهيرة خلته ... خيالا سرى في ظلمة ما له ظل
فناشدته ما تشتهي قال قتة ... وقاسمته ما شفه قال لي الأكل
فاحضرتها خضراء مجاجة الثرى ... مسلمة ما حص اوراقها الفتل
فظل يراعيها بعين ضعيفة ... وينشدها والدمع في العين منهل
اتت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل

وكتب له القاضي يداعبه وكان قد كحله :

رجل توكل بي وكحلني ... فدهيت في عيني وفي عيني
وخشيت تنقل نقط كحلته ... عيني من عين إلى غين

اما شعر الشريف هو نفسه فمنه قوله :

ومذ رمدت اجفانه لامني العدا ... على حبه يا ليت عيني لها فدا
فقلت لهم كفوا فان لحاظه ... سيوف وشرط السيف ان يحمل الصدا

ومنه قوله ايضاً :

كأن لحظ حبيبي فى تناعسه ... وقد رماني بسقم في الهوى وكمد
من المجوس تراه كلما قدحت ... نيران وجنته اومى لها وسجد

وقد توفي الشريف الكحال سنة ٥٩٠ﻫ .

٨٥ ـ سليمان بن داود الحلي (*) ١١٤١ ـ ١٢١١ ﻫ

السيد سليمان بن داود بن حيدر بن احمد بن محمود بن شهاب بن علي بن محمد بن

(*) نقلنا هذه الترجمة باختصار عن الرسالة المخطوطة لولد المترجم السيد داود اخ الطبيب السيد حسين المذكور في حرف الحاء من هذا الكتاب

عبدالله بن ابي القاسم بن شكر وينتهي نسبه الى زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام(١) وكان يكنى ابا عبدالله وأبا داود .

ولد في النجف سنة ١١٤١ هـ . وبها نشأ وأخذ العلوم عن علمائها حتى ظهر ونبغ بين أقرانه ، ثم غادرها الى الحلة وسكن بها سنة ١١٧٥ هـ . وبقي بها حتى توفي سنة ١٢١١ ونقل الى النجف ودفن عند ايوان العلماء المعروف خلف الضريح الحيدري المقدس .

كان عالماً بعلمي الابدان والاديان تقياً كريما ظريفاً أديبا ، يرتجل الشعر ارتجالا من دون تكلف أو صعوبة .

ذكر ولده في رسالته ان الشيخ درويش التميمي وافقه في الطريق في الحلة وعاتبه على ترك الزيارة له ثم قال له مداعباً ـ كذب الذي قال القلوب شواهد ـ فأجابه السيد ارتجالا ـ من حيث لم تجد الذي أنا واجد ـ .

وزاره الشيخ احمد النحوي الشهير في داره فلم يجده ، فقال لولده السيد داود ان حضر والدك ـ سلم عليه لنا سلاماً وافياً ـ ولما حضر السيد وأبلغه ولده بما قال الشيخ احمد ، أجاب مرتجلا وكتب بها اليه وهي قوله :

ان تجفني لم تلفني لك جافياً ‏ ‏ ولئن هجرت ازرك شوقاً حافيا
فانا بكم في كل حال واثق ‏ ‏ مهما كتمت الود لم يك خافياً
حيث الوداد عليه كل جوارحي ‏ ‏ جبلت وكان الود منها صافيا
إن يمس جسمي من بعادك مسقما ‏ ‏ يكن الوصال له طبيباً شافيا
وإذا تعاضل داء هجرك مجهداً ‏ ‏ كان الوصال اذا وصلت معافيا
فرأيت هجرك والوصال كليهما ‏ ‏ ذا مثبتا وصلا وذلك نافيا
ولئن جفا هذا الزمان واهله ‏ ‏ فأقل وصلكم اراه كافيا
ناهيك من فخر وجدت بقولكم ‏ ‏ سلم عليه لنا سلاماً وافيا

ومن شعره قوله في مدح الامام علي بن أبي طالب عليه السلام من قصيدة التزم فيها

(١) كما في عمدة الطالب

ان تكون حروفها كلها مهملة وان تكون كل قافيتين منها متجانسة الحروف وهي قوله

هو المسك أم رسم الامام له عطر   هو السر سر الله والعالم الصدر
أهل لعلوم الله والعلم والهدى   واحكامه حاو سوى صدره صدر؟
إمام همام ساد حلماً على الورى   وصهر رسول الله مولى له الأمر
إمام حوى كل المكارم والعلى   ووالله ما حاو سواه لها امر
هو الأسد الكرار صمصامه له   حمام العدى طوع وصال وهم حمر
لدى الروع صوال وللسمر معرك   مهول واطار العداء له حمر

الى آخرها وهي طويلة وكلها على هذا النمط .

ولما توفي رثاه جماعة من العلماء والأدباء منهم الشيخ محمد علي الاعسم العلامة الشهير من قصيدة مطلعها .

لقد تضعضع ركن المجد وانهدما   واليوم ثلم من الاسلام قد ثلما

الى ان يقول :

احيي فاحيي الورى علمين علم هدى   وعلم طب فهان اليوم موتهما
من للسقيم وللمضطر لو أتيا   يستعديان لديه الضر والسقما
نعى سليمان ناعيه فارخه   (انهد ركن من الاسلام وانثلما)

ومنهم أخوه العلامة السيد محمد بن السيد داود فى قصيدة منها :

فمن ذالكم يا اهل حلة بابل   اذا نابكم خطب هناك مهول
ومن ذا الذي يرجو دواء لسقمه   وليس كثير عنده وقليل

وله شعر كثير غير ما ذكرنا .

قال ولده في رسالته المخطوطة : واتقن العلوم وبرع فى الطب والادب وصنفه بكل علم وفن كتابا

أقول . ولكنى لم اعثر على شيء منها ولم يذكر ولده اسم كتاب منها .

حرف الشين

٨٦ - الطبيب شاكر الخوري اللبناني (*) ١٨٤٧ - ١٩١١ م

ولد سنة ١٨٤٧ م في قرية بكلسين بقضاء جزين (جنوب لبنان) والده يوسف الخوري عضو مجلس الادارة فى زمن ولاية داود باشا ، اول متصرفي جبل لبنان وما ان ترعرع حتى ارسل الى مدرسة المختارة ومشموشة ، وتلقى مبادىء علوم اللسان العربي على الشيخ ابراهيم الاحدب العالم المشهور ، ثم دخل سنة ١٨٦٠ مدرسة عينطورة فأجاد فيها تعلم الفرنسية ، وانحدر سنة ١٨٦٤ الى المدرسة الوطنية ببيروت فطلب العلم فيها على الشيخ ناصيف اليازجي وولده ابراهيم ؛ وكان من زملائه - وهو شاب فى المدرسة - المرحوم سليمان البستاني مترجم الالياذة لى الشعر العربي ، والمرحوم سليم تقلا مؤسس جريدة الاهرام . ولما نضج قصد مصر والتحق سنة ١٨٦٨ على نفقة الحكومة المصرية بالمدرسة الطبية التى أسسها كلوت باشا الفرنسي فى القصر العيني بالقاهرة ونال شهادتها سنة ١٨٧٤ ثم غادرها قاصداً دمشق وأقام بها بضع سنين ، ثم تزوج عام ١٨٧٩ من عائلة بيروتية ببيروت ؛ وحببت له زوجته الاقامة بها فسكنها وقام سنة ١٩٠٧ بسياحة الى الاستانة ؛ فرحل الى باريس ولوندرا ، وبعودته الى الوطن عرج على مصر وزار القدس وطاف البلاد السورية متفرجاً متنزهاً ، ثم استقر في بيروت حتى وافاه الاجل سنة ١٩١١ م - عن ٦٤ سنة .

مؤلفاته

كان طبيباً بارعاً فى مهنته وافر الخبرة كثير الاطلاع ، اشغل مناصب كثيرة ولم تكن ظروف الحياة لتلهيه عن العناية بالأدب والتأليف . و كان اول ما الف كتاب

(*) نقلنا هذه الترجمة بتصرف عن مجلة الأمالى البيروتية السنة الاولى عدد ٣٨ بقلم شفيق طبارة .

(تحفة الراغب)في صحة المتزوج وزواج العازب وكتاب « نائب الطبيب) وكتاب « صحة العين » وهي مؤلفات علمية في الطب توفق فيها ، واستحق عليها الأوسمة من الدولة العثمانية ، والدولة الفرنسية، وكتاب (مجمع المسرات) وهو كتاب يطلعك على الحياة الاجتماعية في عصره مع نوادر مستملحة ومعلومات طريفة نظما ونثرا.

نوادره وأدبه :

روي عنه انه استطاب اللهو وهو صبي وانه من يوم تدلى الى الدنيا تدلى اليها بخلتين وهما المزاج الرقيق ، والمداعبة الحلوة . فانغرس هذا الميل في طبعه ، ثم استطاع أن يظهره مع الزمن ، فجاءت نكتته في الأغلب نكتة لاذعة فيها كثير من الصراحة المرة والهزء بعادات أهل ذلك العصر ومصطلحاتهم ، ولما شب شب على اكتساب العلوم المنتجة المجدية .

قال: ومن نوادره الأدبية ، ان حضر ذات يوم في مجلس رجل سمين ، ولما أراد الجلوس على المقعد سقط به فقال ماهذا الجحش الخسع الركيك والجحش في مصطلح اللبنانيين هي قطعة الخشب التي توضع عليها الواح المقعد فقال المترجم فيه .

سمين قد علا ديوان داري   فكسر جحشه وأتى اعتذارا
وقال الجحش خسع قلت كلا   فان الجحش لم يحمل حمـــارا

ومنها ان سيدة جميلة كانت تداوي احدى عينيها عنده ، بينما كانت العين الثانية سليمة . وعندما شفيت لم تدفع له الثمن لعلاجها فقال :

لها مقلة حورى واخرى سليمة   أعالج احداها تعالجني الاخرى
فبين علاجي في الهوى وعلاجها   اضعت لدى الابلال عقلي والاجرا

ومنها ان الدكتور سليمان مشاقة كان يمزح معه الدكتور كثيراً بسبب طول لحيته وذات يوم أراد الدكتور مشاقة ان يسبح بالنهر ، ولما خلع ثيابه ونزل في المـــاء ارتجل المترجم قوله :

ذو لحية دكتورنا ابن مشاقة   قصد الغدير بعصر يوم الاربعا

خلع الثياب وغاص قصد سباحة ‏ فأراني الذقنين في وقت معا

اقول اين هذا من قول الآخر.

قد قابلت قمر السماء بوجهها ‏ فارتني القمرين في وقت معـا

ومنها . ان من عادة الناس اذا سأل احدهم الآخـر عن محبته له يقول قلبك شاهد واتفق ان سأل فتاة هل تحبينني ؟ فاجابت كالعادة فانشأ مرتجلا .

فسألتها هل بالأكيد تحبني ‏ قالت فؤادك شاهد يا روحي

فأجبتها اهل الهوى لم يقبلوا ‏ أبداً شهادة شاهد مجروح

ومن نوادره ايضاً انه كان ذات ليلة مع اربعة من اصدقائه ينتمي كل واحد منهم الى عائلة فأحدهم الى عائلة سلامة، والثاني الى دبس والآخر الى اصفر والرابع الى رعد، وبينما كانوا مجتمعين إذ دعي المترجم الى عيادة مريض ولما رجع طالبوه بتوزيع الاجرة بينهم فقال لهم افعل اذا ساعدتموني على هذا المريض فقالوا نفعل فصف لنا المريض لنساعدك بالرأي ، فقال ان المريض مصاب بالامساك والمغص الشديد فعملت له حقنة دبس فاخرج صوتاً كالرعد ، وخرج خروجاً اصفراً ، والكل راحوا على سلامة ! فضحكوا وقالوا ان الاجرة لا يستحقها الا سلامة .

٨٧- الدكتور شبلي شميل (*) ١٨٥٠ — ١٩١٧ م

الدكتور شبلي شميل بن ابراهيم اللبناني المولد المصري المنشأ والمسكن والمدفن خطيب بحاثة وطبيب نطاسي وكيماوي ماهر وكاتب محقق وأديب شاعر ؛ وقد كان ينحو منحى الفلاسفة في عيشته وآرائه ، نابغة في التعليل ، ألمعي في اكتشاف الحقائق ومن هنا كان من اشهر الاطباء في التشخيص الباطني حتى كان كأنه يوحى اليه ولقد بلغت فراسته ان علل حوادث كثيرة بالاستهواء الذاتي قبل ان يشيع هذا التعليل في أوروبا .

(*) عن المقتطف والهلال وغيرهما من المجلات الشهيرة

تقرأ كتاباته فتظنه من غلاة الماديين وهو في الحقيقة من غلاة الروحيين حتى كان يعتقد بالسعد والنحس ، وقد كان لا يعرف ان يستفيد من ثروته الطبية فائدة مادية فلو كان قد جمع الى تلك الثروة مهارة في اكتساب المال لعاش في اهنا سعادة وارغد عيش ولمات عن ثروة وسيعة ولكنه كان يحرص على جمع ما يخطه قلمه اضعاف ما يحرص على ماله :

اخلاقه وصفاته

لقد كان شبلي انيس المحضر حسن المحادثة فكه الحديث مات وهو ابن ستين سنة وكان مصابا (بالربو) اي ضيق النفس الذي قضى عليه اخيرا . وكان يشتد عليه في اكثر الأوقات فيكدر عليه راحته ولكنه مع ذلك كله كان لا يزال بشوشا طلق المحيا يتعشقه خلانه واصدقاؤه ومن صفاته انه كان صريحاً في ارائه جريئا في ابدائها من دون مبالاة بما ينتج ذلك له من سوء عاقبة او فساد عمل فهو معروف في شجاعته الادبية المفرطة فلم يخش ان يقول للظالم يا ظالم وان كان ملكا فهو شديد التنديد بالظالمين عظيم العطف على الفقراء والمساكين ، ولقد خص بذاكرة ماضية وقوة استحضار فائقة حيث كان يحفظ ما كتبه ونظمه قبل ثلاثين سنة ، وكان يحسن اللغة الافرنسية ويعد من كتابها المعروفين كما كان من اكبر كتاب العرب ايضاً .

اما خطابته . فهو الخطيب المصقع والسبيل المتدفق واسع الرواية قوي الحجة لاسيما اذا كان بين قوم يدركون معانيه وكان المطلب يتطلب الحماسة فانه ينحدر كالسيل المنهمر حتى يدهش منه سامعوه ولو كانوا من كبار الخطباء .

نشأته وتدريسه

ولد الدكتور شبلي في كفر شيما بلبنان سنة ١٨٥٠ م تلك القرية التي اشتهرت بتخريج النوابغ من الرجال ، وكان في طفولته تدل حركاته وسكناته على نجابته

وذكائه ونبوغه في المستقبل ، ولما بلغ السادسة من عمره ادخله ذووه في مكتب القرية وبعد قليل انتقل منه الى المدارس الابتدائية المختلفة حيث تلقى مبادىء العلوم ثم لم يتمكن من الاستمرار فى الدرس لمرض أصابه فمنعه من المداومة ولما شفي دخل الجامعة الامريكية فى بيروت وأتم دروسه الطبية فيها حتى نال الشهادة وخرج طبيباً ثم قضى سنة كاملة فى جوامع أوروبا ثم سكن مصر وأقام بالاسكندرية ثم فى طنطا وفيها ظهرت مواهبه الكتابية والصحافية ثم فى القاهرة وبقي فيها طيلة حياته الباقية بين التطبيب والتحري والتأليف والنشر حتى توفي سنة ١٩١٧ م فى مرض الربو الذي كان متبلى به طيلة حياته .

مؤلفاته

ان للمترجم مؤلفات كثيرة كلها مشهورة لدى العلماء فى هذا العصر ومقدرة لديهم كل التقدير لما حوت من جليل المعاني وجميل المباني والأراء القيمة والفلسفة المقبولة عندهم واشهرها كتاب (فلسفة النشوء والارتقاء) ورسالة (المعاطس) على نسق رسالة الغفران المعري و (شرح بخنر على مذهب داروين) و (الاهوية والمياه والبلدان لابقراط مترجم) وكتاب (الهواء الاصفر) و (رسالة العرب والاتراك) و (مجلة الشفاء) اصدرها خمس سنوات وله من المقالات المنشورة فى امهات المجلات والصحف مالا تحصى .

ادبه وشعره

لم يختلف اثنان ممن عرفه أو ترجمه فى أنه كان كاتباً قديراً ، وخطيباً بليغاً ، وأديباً كاملا رقيق الروح ، لطيف العاطفة مجيداً فى النظم غير انه مقل لا ينظم الا في مناسبات خاصة ، ولما كان مجبولا على التحقيق العلمي والفلسفي فقد كان نظمه لا يتعدى المعقولات ولذلك فانت ترى نظمه قريباً من الحقائق العلمية الفلسفية بعيداً عن العاطفة الشعرية ، اشبه بنظم النظريات والقواعد منه بالموسيقى والالحان ، واليك بعض نظمه قال :

كم بقيت الدجى وطرفي ساه يرقب النجم فى الليالي الطوال
أنت خال وملؤ جفنك نوم وأنا ملؤه حبوب رمال

وله ايضاً قوله

أيا نسمات الريح مني تحملي سلاماً على ربع اطال تغزلي
فياربع بلغ فى حماك تحيتي عروساً بكأس العلم في الشرق تنجلي
عزيزة امثال ودان وصالها تقول وقد ماست بثوب التدلل
لقد طالما التى الرحيق محرما ألا فاشربوا من ذا الرحيق المحلل

وقال معارضاً بيت المعري المشهور

هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد

بقوله

فلو ارتضيت بما جناه ابي علي وما انفرد
لم اشك الا دهرنا وبذاك تعزية الولد
لكن جنيت انا علي وما جنيت على احد

وله من قصيدة يمدح بها سيد الانبياء وخاتمهم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله

دع من محمد فى صدى قرانه ما قد نحاه للحمة الغايات
نعم المدبر والحكيم وانه رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجا رجل السياسة والدها بطل حليف النصر فى الغارات
ببلاغة القرآن قد طلب النهى وبسيفه انحى على الهامات
من دونه الابطال في كل الورى من غائب او حاضر او آت
اني وان أكـ قد كفرت بدينه هل اكفرن بمحكم الآيات
ومواعظ لو أنهم عملوا بها ما قيدوا العمران بالعادات

وهي طويلة اكثرها على هذا النسق .

وله ايضاً قوله

ادفنوني في القبة الزرقاء ان قدرتم فذاك اقصى رجائي
لا بقبر في الارض لا كان قبر ضيق النقب ضيق الارجاء
اودعوني المنطاد ينقل جسمي في فسيح الفضاء صافي الهواء
ولأنل في الممات ما لم أنله في حياتي من بعد طول العناء
سعة في الفضا ولو بت فيها اكل وحش الفلا وطير السماء

ونشرت له المقتطف والهلال قصيدة عصماء تحت عنوان (صدى النفوس وزجع الصدى) وهي من مقاصيره يقول في مطلعها :

فؤادك ما بين المنية والمنى يسائل ام ما في حجاك من الظما
اذا ما ترامى العقل يجلو حقائقا شكى القلب ان الغبن في ذلك الجلا
وما الغبن الا ان يرى الغبن هائما ويخفى على العقل الحقائق في الدنى

الى آخرها وهي طويلة لا محل لذكرها هنا

٨٨ ـــ شبيب بن حمدان الطبيب (*) ٦٢٠—٦٧٥ ه

شبيب بن حمدان بن شبيب بن محمود الاديب الفاضل والطبيب الكحال يلقب تقي الدين ويكنى أبا عبدالرحمن نزيل القاهرة ، وهو أخو نجم الدين شيخ الحنابلة ولد سنة ٦٢٠ هج وتوفي سنة ٦٧٥ عن ٥٥ عاماً على اكثر الاقوال

سمع من ابن ذويبة وكتب عنه الدمياطي ، وكانت فيه شهامة وقوة نفس وادب جم وفضائل جمة .

وقد عارض قصيدة (بانت سعاد) بقصيدة يقول فيها :

الى النبي رسول الله ان له مجد تسامى فلا عرض ولا طول
مجد كبا الوهم عن ادراك غايته ورد عقل البرايا وهو معقول
مطهر شـــــرف الله العباد به وساد فخراً به الاملاك جبريل

(*) فوات الوفيات وغيره .

طوبى لطيبة بل طوبى لكل فتى … له بطيب ثراها الطهر تقبيل

قال الشيخ اثير الدين أبو حيان : عرض علي ديوانه الطبيب ابن حمدان فانتخبت منه ما قرأته عليه فمن ذلك قصيدته التي يمدح بها النبي (ص) وهي قوله :

هــذا مقام محمد والمنبر … فاستجل انوار الهداية وانظر
والثم ثرى ذاك الجناب معفراً … في مسك تربته خدودك وافخر
واحال على حرم النبوة واستجر … بحماه من جور الزمان المنكر
فهناك من نور الاله سريرة … كشفت غطاء الحق للمستبصر
وجلت دجى ظلم الضلال فاشرقت … أفق الهداية بالصباح المسفر
نور تجسم فارتقى متجاوزاً … شرفا على الفلك الاثير الاكبر

وله ايضاً قوله :

انهض فرند الصباح قد قدحا … وامزج لنا من رضابك القدحا
فالزهر كالزهر في حـــدائقه … والطير فوق الغصون قد صدحا
في روضـــة نقطت عرائسها … في در قطر نظمنه سبحا
وصفق الماء في جداوله … ورقص الغصن طيره فرحا
والزق بين السقاة تحسبها … اسود مستسقيا وقد ذبحا
فعـــاطني قهوة معتقـة … تذهب بؤسي وتذهب الترحا
بكر اذا عرس النديم بهـا … وافتضها الماء تنتج الفرحا
من كف رخص البنان معتدل … لو لامس الماء خـده جرحا
يسعى بخمر الدلال مغتبقاً … ومن سلاف الشباب مصطبحا
قد تلف القلب من سوالفه … وجدا اذا جد بالهوى مزحا
كم لي بسفح العتيق من كلف … عقيق دمعي عليه قد سفحا

وقال في مليحة سوداء :

وبديعة الحركات أسكن حبها … حب القلوب لواعج البرحاء

سوداء بيضاء الفعال وهكذا حب النواظر خص بالاضواء
اسرت محاسنها العقول فاطلقت اسرى المدامع ليلة الاسراء
فلئن جننت بحبها لا بدعة أصل الجنون يكون بالسوداء

وله ايضاً متغزلا فى جميل :

ومهفهف قسم الملاحة ربها فيه وابدعه بغير مثال
فلخده النعمان روض شقائق ولثغره النظام عقد لئالى
ولطرفه الغزال احياء الورى وكذلك الاحياء للغزالى
يامن رأى غزلان رامة هل رأى بالله فيهم مثل طرف غزالى

اقول وهذا يشبه قول محيي الدين بن عبدالظاهر في قوله :

أحيا عيون العاشقين بلحظه الغزال والاحياء للغزالى

٨٩ ـ شعبان بن سليم الصنعاني (*) ٠٠٠ ـ ١١٤٩ هج

شعبان بن سليم بن عثمان الشيخ الاديب والفاضل الطبيب الصنعاني المولد والمنشأ الرومي الاصل ، أحد الادباء المعاصرين ، فاضل لو جاراه القمر لأنصف أو الفلك المحيط لرآه لأحاطته بالادب اعرف ، يقول مجاربة فضل شعبان على محرم لاجرم ، فالديباج المنسوب الى الروم انفس والنفيس المقدم، به بأن فضل ابن الرومي على العرب ، وجاء بمثل العجم من جاراه وجاء هو بمثل الرطب فمعانيه غواني تميس بمثل الالفاظ فى الحلل ، وما هو إلا الشمس ومن جاراه اما الجـــدي او الحمل ، له فى الطب يد لايقوى عليها بقراط ، تخفق لها العالى خفقان قلب العاشق بالافراط ، وهو من ابناء الاجناد الرومية الذي بعثهم السلطان سليمان خان بن سليم خان الى بلاد اليمن ، ومنهم من لم يعد مع الوزير حيدر، وكان والده جندياً من اتباع الامير السيد الجليل علي بن المؤيد بالله امير صنعاء كما ذكر لي ولده المذكور .

(*) عن نسمة السحر المخطوطة

اما المترجم فقد تكسب بالتجارة والخياطة اولا ثم بالطب فبرع فيه واشتهر وله مع الادب صلاح تام وحسن عشرة وصمت ووقار .

وقد جمع شعره فى سفينة من رآها مات منها صبا واشبه الجلندى (١) فى اخذ كل سفينة غصبا .

ومن شعره قوله :

يا اسرة الحب ان عز التخلص من … اسر الغرام وذقتم في الهوى الهونا
قيلوا بنا عند من بعنا بحبهم … نفوسنا فعساهم ان يقيلونا

وله ايضا قوله :

ان تخل من فضة كفي ومن ذهب … فلست ادعى لعمري من ذوي العدم
ففضتي من بياض الشيب خالصة … والتبر من ادمعي والدر من كلمي

وقال في محبوب له كان الرقيب عليه شخص اسمه يحيي :

يا صفي الدين هل يرضيك يا باهي المحيا … انني مت غراما ورقيبي فيك يحيي

وله من قصيدة ارسلها الى احمد بن الحسين الرقيحي يقول فيها :

لتباريح الهوى قد وجبا … قلب صب مذ به قد وجبا
حال من دون تلافيه الهوى … فقضى لم يقض منه اربا
ليت حادي العيس لما رحلوا … جعل الدمع اليهم سببا
وسقى عيسهم من ادمعي … فهي تكفيهم وتروي النجبا
لست يوماً بدمي امزجها … انما اسقيهم ما عذبا
كحلوا بالسهد عيني عند ما … ميلوا الاعطاف واجتازوا الربى
فأنا اليوم على شرط الهوى … مقلتي عبرى وقلبي ذهبا
اسفح الدمع على اطلالهم … وأناجي ربعهم والكثبا
واذا مر بسمعي ذكرهم … من عذول زاد وجدي طربا

الى ان يقول :

---

(١) بالالف المقصورة .

ليس من مات عزيزاً ذكره   مثل من مات ولن يحتسبا
يخلد الذكر له ما بقيت   سمة منه تزين الكتبا
وهو مطوي بأطباق الثرى   وثناه نشره لن يحجبا

ثم يتخلص فيقول :

كصفي الدين اوفى قادر   اوجب العفو على من اذنبا

وقد توفي سنة ١١٤٩ هج في صنعاء اليمن ودفن فيها وبقي ذكره هناك حتى اليوم .

حرف الصاد

٩٠ – الصادق بن الباقر الخليلي ١٢٨٠–١٣٤٣ هـ

ابو علي الصادق بن الباقر بن الخليل بن علي بن ابراهيم بن علي النجفي والدا المؤلف ولد في النجف الاشرف سنة ١٢٨٠ ونشأ بها وتوفي فيها سنة ١٣٤٣ هـ عن ٦٣ عاماً ، كان طبيباً نطاسياً حاذقا ، وعالماً فاضلا محققاً ، وحكيما منطقياً وفقيهاً اصولياً واديباً رقيق العاطفة خفيف الروح وشاعراً مجيداً مقلا ، وكان كثيراً ما يرتاح الى مطالعة الكتب الفلسفية والحكمية ومعالجة المواضيع العقلية لا سيما المنطقية منها كما انه كان كثير التعاليق عليها فلا تكاد تقع يدك على كتاب من كتبه فتنظره إلا وترى هامشه مزيناً بآرائه القيمة من انتقاد وارد متين او دفع اشكال يرد على صاحب الكتاب او ذكر ايراد يورده عليه او توضيح مبهم فيه مما لو جمع لكان عقداً من لئالىء تزان به صدور المتلهفين الى معرفة الحكمة ودرس الفلسفة الصحيحة والمنطق العالي .

درس العربية والمنطق على فضلاء بلده (وما اكثرهم يومذاك) وحضر الاصول والفقه على العلامة اغا رضا الهمداني وغيره من جهابذة النجف وتلمذ في الطب والحكمة على المرحوم والده وحيد هـــذه الصناعة في بلده وعصره ثم على كثيرين من اطباء الفرس الوافدين الى النجف وهكذا فقد كان لا يألوا جهـداً في تحصيل ضالته المنشودة اينما وجدت حتى برع في العلوم العقلية واشتهر صيته في الطب وظهرت على يديه معاجز الفن وحتى أصبح ممن يشـار اليه بالبنان ويقصد للعلاج والتدريس من كل مكان .

وقد كانت له حلقة تدريس وحوزة تعليم في قانون ابن سينا وغيره من كتب الطب والحكمة يحضرها الفضلاء والمشاهير من رجال العلم والفضل وهو مع ذلك

معروف بالتقى والصلاح وشدة التمسك بالدين ، ثقة عند العلماء والصلحاء معتدلا في اقواله وأفعاله .

وقد ترجم له كثير من مؤرخي عصره كالعلامة البحاثة اغا بزرك في الذريعة والعلامة المفضال السيد محسن الامين في اعيان الشيعة ، والمرحوم العلامة الشيخ محمد حرزالدين في كتابه المخطوط معارف الرجال وغيرهم من المترجمين والمؤرخين .

وقد توفي رحمه الله يوم الاربعاء في السابع عشر من جمادي الآخرة سنة ١٣٤٣ هج وارخ عام وفاته المرحوم الشيخ مرتضى شكر في قصيدة قال في تاريخها :

ما للجنان فتحت ابوابها ارخت ذا للصادق بن الباقر

وقد شيع جثمانه الطاهر بتشييع عظيم حضره جل النجفيين من كل الطبقات وفي مقدمتهم العلماء واعيان البلد ، وحمل الى مقره الأخير في الصحن الحيدري عند باب الفرج مما يلي محلة العمارة احدى محلات النجف فكان يومه يوماً مشهوداً .

مؤلفاته

كان المترجم رحمه الله اذا رجع من محل عيادته الطبية الى البيت لا يرتاح إلا إلى أحد اثنين إما إلى تلاوة كتاب الله المجيد الذي أوجب على نفسه تلاوته في كل صباح ومساء وإما إلى الكتابة والمطالعة وعلى هذا وفي تلك الفترات ألف كتابيه الذين اصبحا بعده آيتين من آيات الفن ومعجزتين من معاجز الطب حيث جمع بين دفتيهما الى فصاحة اللفظ وبلاغة المعنى آراء سامية جليلة وحكميات عالية قويمة وهما شرحان لبابين من أبواب كتاب للطبيب الشهير بابن ابي صادق من أطباء القرن الخامس الهجري سمى أحد الشرحين (الكليات الطبية) وهو يحتوي على القسم النظري العلمي من الطب ، وسمى الثاني (التحفة الخليلية) وهو خاص بالابحاث النبضية وذكر اقسامه وأنواعه ومدلولاته بالتفصيل ، وهذان السفران الجليلان (الموجودان اليوم في مكتبتي) وان قلّ حجمها فقد كثرت محتوياتها

العلمية والفلسفية حيث تكفلا للقارىء طي تلك الكلمات الذهبية من المعاني الجليلة والآراء القويمة والعلم الجم ما يستدل بها على طول باع مؤلفها في هذه الصناعة سيما اذا علم القـــاريء أن المؤلف كان في زمان خلي من طبيب عالم مثله ، فهو فرد لا يختلف فى نبوغه اثنان، وعلم لا يشار إلا اليه في الطب والحكمة .

ادبه وشعره

لم يكن المترجم ينظم ليقال انه شاعر ولم يكن يمدح أو يرثى أو يهنىء في شعره وانما هي روح شفافة واريحية سامية وطبع رقيق تهيجه المناسبات الادبية ويقومها المحيط الادبي النجفي فينظم او يرتجل المقطوعة أو البيتين والثلاث وكم حاولت غير مرة أن أجمع ما تفرق من نظمه فلم أتمكن إذ لم يكن رحمه الله يعبأ بحفظه ولذلك فليس لدينا إلا ما حفظه بعض خواصه نذكره كأنموذج لأدبه ، قال عليه الرحمة وقد أجاد :

كم ابرأت مهنتي الداء العضال وقد ... افنيت عمري فى حرب مع الداء
لكن صارم طبي قد نبى عجزاً ... عن حرب داء الهوى اذ فت اعضائى
داء يكل لديه الطب اذ عجزت ... لدى الكفاح عقاقير الاطبـــاء

وله ايضاً ، وقد أنشدنيه المرحوم العلامة الشيخ محمد حرز الدين النجفي (ره) و كان صديقه .

مشينا ضحى بين الخورنق والرمل ... وعـذالنا عما نحاول في شغل
سرقنا من الدهر الخؤون سويعة ... تعادل عمر الدهر عند ذوي النبل

وقد خلف انجالا اربعة علي وهو اكبر انجاله والخليل وقـد ترجم فى حرف الخاء من كتابنا هذا ، ومحمد مؤلف هذا الكتاب وجعفر وهو اصغر انجاله .

٩١ ـــ ابو العلا صاعد الميمني (*) ...

صاعد ابن ابي الفتح بن ابي الفرج الميمني الشيخ الامام ابو العلا . كان فى فنون العلم قويم الصراط ، بعيد الاشواط ، قد أوتي قريحة انهتك لديها غطاء الحقائق وانفتح دونها رتاج الدقائق ، والحكمة بأنواعها قد جعلت غايتها الاولى مسعاه ووضعت رايتها في يسراه ، فهو المستولى على اقسامها وأقساطها ، والادب بجملته قد ملك سمطه يصل شذوره وينظم منثوره ، فله فصل الخطاب وأصل الآداب ، والفقه بتفريعاته فرع فيه ذروة تزل عنها قدم المتقدمين ، والكلام بتفصيلاته ارتقى فيه رتبة لا يطمع فيها أمل المتأملين ، قد بسط الله له فى كل منها يداً عالية ، وقدح فيه زنداً وارية ، واذا شرع فى التفسير فقل بحر غزير وفرد بلا نظير ، ينظم لك القرآن تأويلا وتفسيراً ، ما لو عاش (مجاهد) وبذل جهده ، وحضر (سعيد) واسعد الله جده ، واتى (عطا) وأعطى ما عنده ، لم يدركوا مثار غباره ، ولم يقتفوا الا نهج مناره وان كان بعضهم لبعض ظهيراً واذا تصدى لبيان غرائب الحديث أتى بغرائب تحار فيها الألباب ، وعجائب يطول بها الاعجاب ، تسترد لنفسها سعة الابتداع وتستبد في جنسها بصفة الاختراع ، اما الطب فله فى معالجاته العيسوية اليد البيضاء الموسوية ، فكم من حرض (١) مشف (٢) على الفوت استنقذه من مخالب ملك الموت ، ثم كلامه في المفاوضات روضة الانس ، ومسن العقل وزبدة القرون الخالية والقروم (٣) الماضية .

اما شعره فهو دائم الرغبة عنه ، صادق الاعراض منه ، وحاش لهمة خلقت الى معان تسحر العقول ، وتسخر الفحول ان تسف الى زخرفة الألفاظ وتزويقها وتنجيد الاشعار وتنميقها ، واليك بعض نظمه اذ قال :

(*) معجم الاطباء عن تمام صوان الحكمة (١) مرض (٢) مشرف
(٣) جمع قرم وهو السيد

دنياك بعها بدار خلد　　فانها اربح التجاره
واتق ناراً لها التهاب　　وقودها الناس والحجاره

وقال ايضاً :

لقد آذن الشهر الأصم برحلة　　فطوبى لمن ارضاه وقت مقامه
وزوده عند الرحيل بطاعة　　وتقوى وأوفى حقه بتمامه

وله ايضاً :

كان النبي اذا ألمت كربة　　يدعو الاله لكشفها وجلائها
فادعوا الاله لدى الكروب وأيقنوا　　ان الدعاء يعيد من لأوائها

ولما استوفى من عمره سبعاً وثمانين سنة قال :

بعد سبع وثمانين سنه　　اتمنى كل يوم حسنه
وأود العمر وداً عجباً　　مثل ما ودَّ علي حسنه
وأرى واقعة قارعة　　عندها يفقد طرفي وسنه
عجباً ممن يرى مصرعه　　وهو يضحى في منام وسنه
من يجرب دهره طلقه　　وعلى عطفيه ألقى رسنه
وعقاب الموت ينقض على　　بنت يوم وعلي بنت سنه
لا يغرنك خصب وندى　　وانتظر صدمة جدب وسنه
واذا ما ذقت عذباً صافياً　　فتفكر وتصور أسنه

ومع توغله في العمر الى هذه الغاية وبلوغه من أرذله الى هذه النهاية كان يدرس انواع العلوم وفنونها ، ويفتض ابكار المعاني وعونها ويصحح اسانيدها ومتونها ، ويفجر ينابيعها وعيونها . ولما فلّت السنون سنانه ، وكف عين المساءة عنانه قال :

زجيتها ماءة فناداني الحجا　　ازف الرحيل فقم وزم الراحله
قلت اتئد فالزاد ما اعددته　　ومطيتي نضوى ونفسي ناحله

وكبائري وصغائري في شقوتي يفضحنني وجوارحي بي ماحله
كيف السبيل الى الرحيل وانني في بحر ذنب لا أعاين ساحله
قال انحني(١) جاء النذير مصرحا ان الممات طوى اليك مراحله
بت مخاصاً واعد زادك للسرى مستبشراً ولمن ربك فأمله

٩٢ـ صالح الجيلاني الفارسي اليماني (*) ٩٦٩-١٠٨٨هـ

محمد صالح الجيلاني الفارسي الاصل اليماني الوطن . هو الحكيم الشهير والطبيب النطاسي الحاذق العظيم ، نشأ في بلاد العجم وأخذ الطب في اصفهان عن علمائها واطبائها ، ثم ارتحل الى الهند في ايام السلطان ابي الحسن قطب شاه ملك (دكن). فنال هناك دنياً عريضة وطار صيته ، وبقي فيها اربعين سنة ، ثم توجه الى الحج فركب البحر ومعه ذخائر وكتب نفيسة ، فانكسر المركب ولم ينج الا بنفسه ، فذهب الى مكة وأقام بها زماناً ، ثم ركب البحر ايضاً يريد الهند فاجتاز باليمن ، وكان الخليفة بها الامام المتوكل على الله اسماعيل بن المنصور بالله القاسم ، ولما تحقق هذا الخليفة فضله وتقدمه في الطب ، استدعاه الى حضرته ، واحسن اليه ورغبه في السكنى في اليمن . فرغب وأجرى له النفقات الواسعة ، ونال من آل الامام القاسم الرغائب ، وانتفع به الناس ، واشتهر ذكره ، ولم يدخل اليمن اعرف منه بالطب .

وقد ذكرت عنه غرائب ومعاجز في مهنته تتحير منها العقول والاذهان ، وتطرب لسماعها الآذان .

قال صاحب نسمة السحر : وقرأ عليه والدي الطب وكانت له معرفة بكثير من العلوم كالمنطق والرياضيات والصرف والنحو والادب ، وله شعر مستحسن . ثم قال في وصفه : لواغضبت روح على جسمها ، لألف بين الروح والجسم فكأنما معنى الحكمة وماهيتها خاصة به والاسم لغيره :

---

(١) كذا ولعل المراد انح نحوي اي اتبعني

(*) نسمة السحر المخطوطة

قال السيد العارف محمد بن الحسين بن الحسن : ان الحكيم محمد صالح كان من المحدثين والفقهاء . لانه قد حضر درس الامام بهاء الدين العاملي . كما أنه كان مضافا الى فضله هذا عالماً بجملة من العلوم . كالمنطق والرياضيات والصرف والنحو والحساب ، وله فى الادب معرفة لا تنكر ، وكان يكتب الخط الحسن .

اما علم الطب فقد كان فيه الامام المطلق ، وقد رزق من السعادة فيه ما جعل اهالي صنعاء لا يسلمون لغيره بالفضل فى هذه المهنة حتى صار مضرب المثل عندهم ، ثم قال : وقد كان يوصف بالفضل المشهور عنه مع السكينة والوقار ، وكأني أنظر اليه الساعة ، وهو شيخ أبيض اللحية والوجه كأن وجهه القمر ، لطيف الخلق والخلق كثير الدعابة محبوب النفوس .

قيل انه أقام مدة فى خدمة بعض الحكماء فى مارستان اصفهان . وروي أن أحد اصحابه سأله أن يوقفه على اسرار الصنعة كما أخذها عن استاذه فقال له : إن عملت كما عملت أنا مع استاذي وقفت على اسرار الصنعة . فقال له : وما كان عملك مع معلمك فقال له : كنت أسقي بغلته ، وأداري حماره ، وأشتري له اللحم من السوق ونحو ذلك ، وبهذا امكنني ان أحصل على ما لم يحصل عليه باقي تلاميذه وكان شيعياً شديد التمسك بحب آل بيت النبي (ص) كما ذكره صاحب نسمة السحر .

دعاباته ومعالجاته

كان سهل العلاج بشوشاً مع المرضى مبارك الطلعة ، لا يترك النكتة الادبية وان كانت بحضرة الملوك فمن ذلك أن الامير أبا يحيي محمد بن الحسن ابن الامام المنصور اشتكى ذات يوم صداعا فاستدعى الحكيم المذكور ، فحضر وهو خال من كل دواء وكان في خدمة الامير بعض الخصايا فامره الحكيم ان يغمس قدم سيده في الماء الحار ، ويدلكها دلكا قويا فجعل الخصي يدلك حتى ضجر وتعب فقال وهو منكمش الوجه ان مولاي يشتكي صداع رأسه فما معنى دلك رجله ؟ اني أظن

هذا من السخف فقال له الحكيم : ادلك فانك قد قطعوا خصيتيك فما معنى عدم خروج لحيتك ؟ فضحك الامير ضحكا عالياً كثيراً حتى عرق جبينه ، وسكن صداعه من ساعته .

وذكر في نسمة السحر في بعض معالجاته : ان بعض نساء الاغنياء كانت حاملا ، ولما اثقلت اصبحت ذات يوم وهي ميتة لاحراك بها ولم يكن تقدمها مرض فاستدعى اهلها جماعة من الاطباء ، فحكموا بموتها الا صاحب الترجمة فقد خالفهم واخرج ابرة وجعل ينقش على فؤادها برفق ، فانتبهت المرأة وقامت من ساعتها في عافية . فسر أهلها وسألوه عن السبب فقال : ان الجنين كان قد قبض على الشريان الذي ينفذ منه النفس من الرئة الى الرحم ، ولما احس بألم الأبرة ارسل يده فذهب المانع ، وانتبهت الميتة .

قال صاحب البدر الطالع : وقد رأيت هذه الواقعة بعينها في كتاب الشقائق النعمانية ، وقال إنه اتفقت للحكيم يعقوب الاسرائيلي مع بعض نساء الروم ويجوز وقوع ذلك جميعاً (اقول) قد نقلنا هذه النادرة على علاتها .

وبالجملة فان صح ما يتناقله الناس من معالجاته ، فهو المنفرد في هذه الصناعة على الاطلاق ، وقيل انه لما مرض هو طلب بطيخاً وقال اذا جاء البطيخ عاش محمد صالح سنة ولكن لم يأت الا بعد موته وتوفي سنة ١٠٨٨ عن ١١٩ سنة .

أدبه وشعره

ان ادبه غني عن البيان غير انا لم نعثر على مختار شعره وقد اورد له الشوكاني بيتين قال فيهما : لو لم يقل غير هذين البيتين لكان من أشعر الناس وهما قوله :

وما الطب الا علم ظن وشبهة ... وليس لاحكام الظنون ثبوت
اذا كان علم الطب ينجي من الردى ... ويحيي فما بال الطبيب يموت

٩٣ — صالح بن سلوم الحلبي (*) ٠٠٠ — ١٠٨٤ هـ

صالح بن نصر الله بن سلوم الحلبي رئيس الاطباء في الدولة العثمانية فى القسطنطينية ونديم السلطان محمد بن ابراهيم . فهو رئيس الحكماء والاطباء وواحد الظرفاء والندماء اظهر من فنون الطب كل معنى غريب ، وركبها كل تركيب عجيب فانتج استخراج الامراض من او كارها على ان كل طبيب كان عاجزاً عن اظهارها ، وكان للطفه اذا جس نبضاً يعطيه روح الارواح ، ويفعل لرقته فى النفوس ما لا تفعله الراح .

ولد بحلب ونشأ بها ، واخذ عن اكابر شيوخها ، واشتغل فى العلوم العقلية وجد فى تحصيلها حتى برع وغلب عليه علم الطب فنبغ فيه .

وكان حسن الصوت عارفا بالموسيقى ، صارفا اوقاته فى الملاذ ومسالمة ابناء الوقت تولى مشيخة الاطباء في حلب ثم ارتحل الى الروم واتصل بكبرائها واشتهر امره بينهم ونما حظه حتى وصل خبره الى السلطان فاستدعاه واعجبه لطف طبعه ودماثة اخلاقه فقربه وادناه حتى بلغ من نفوذ الكلمة مبلغاً رفيعاً وكان ذكياً حاد الذهن سريع البديهة لطيف الإشارة مليح النكتة والنادرة ، له رواية بالشعر والاخبار واسعة ، وكان ينظم الشعر الرقيق ولم نعثر له إلا على هذين البيتين وهما قوله :

سقاني من اهوى كلون خدوده مداماً يرى سر القلوب مذاعا
ومذ شبب الابريق في كأس حاننا اقامت دراويش الحباب سماعا

وفي معجم الأطباء ، وكان يحضر دروس شيخ الاسلام يحي المنقري فى تفسير القاضي وله مصنف واحد وهو كتاب (برء الساعة) .

وكانت وفاته بالقسطنطينية سنة ١٠٨٤ هـ

(*) ذكره محمد المحبي في خلاصة الاثر ، ومعجم الاطباء

٩٤ — الدكتور صالح قنباز (*) ٠٠٠ — ١٣٤٤ هج

محمد صالح بن السيد محمود بن السيد صالح قنباز الحموي ، طبيب نافع واديب كامل ، ومن اشهر شهداء الحرب الاستقلالية في سوريا .

ولد ونشأ واستشهد في مسقط رأسه (حما) ودرس الفقه والعلوم الدينية اولا في بلدته ثم رغب في الطب فدرس في مدرسة دمشق الطبية حتى برز بين اقرانه ثم غادرها الى مدرسة الاستانة لتكميل طبه ثم رجع الى دمشق فاكمل دراسته هناك ، ونال الشهادة الطبية ثم غادرها الى اوربا وتخصص في الامراض الباطنية ، وكان من اكبر العاملين للعرب ووحدتهم . ومن خصائصه انه لم يقم عمل صالح في بلده الا وكان هو في مقدمة العاملين له .

نفاه الاتراك في الحرب العامة الى (اسكي شهر) ثم عاد الى وطنه واحترف الطب ، واشترك في تأسيس النادي العربي وانشأ في بلده مدرسة (دار العلوم والتربية) ثم تسلم ادارة المدرسة بنفسه ، وقد كان مع شهرته في الخدمة لوطنه وسمعته في الطب فقيها في الشرع الاسلامي عالماً في التاريخ داعية للاصلاح . كما كان هادئاً في عمله ثائراً في فكرته .

اخلاقه

كان وقوراً صبوراً قليل المزاح جدياً في أقواله وأفعاله متديناً صدوقاً يكره الجدال وكثرة الكلام ويجتنب اللوم والمعاتبة ويأنف من مجاملة من يكره مهما عظم مقامه ولا يرغب في مطالعة الصحف المخالفة لمبدئه ، قليل الكلام فاذا تكلم كان كلامه الفصل جريئاً في الخطابة كثير الارتجال فيها ، لم يتعود التدخين ولا استعمال المسكرات والمخدرات على الاطلاق ، ولم يعرف عنه انه ارتكب فاحشة مدة حياته ، وقد استشهد وهو اعزب لم يتزوج ، وكان سبب شهادته شدة مروته ،

(*) عن مجلة الحكمة السورية

وذلك انه سمع في أبان الثورة الاستقلالية في حما حين قاومت الأهالي الحكم الفرنسي أنّه جريح بالقرب من داره ، وهو داخل المنزل فلم يتمالك دون ان نهض لاسعافه والحرب قائمة على ساق فرماه الجندي الفرنسي ، فخر صريعاً من ساعته ، وذهب ضحية مروءته وشهامته ، وكان ذلك سنة ١٣٤٤ هج

مؤلفاته

لقد وجدنا له من المؤلفات كتاب الدرس الابتدائي في الفلسفة مع نظريات في تاريخها ، وعدة رسائل في العلوم الطبيعية وحفظ الصحة والنباتات ودروس الأشياء والاقتصاد ورسالة في تعليم الألف باء ورسالة في تجويد القرآن ورسالة في علم الفرائض ، وله منشورات كثيرة في الصحف والمجلات العلمية العالية ، مما تدل على طول باعه في الأدب والمعارف ونضج فكره وسمو آرائه .

ادبه وشعره

لم يكن المترجم ولوعاً بالنظم والشعر ، ولو ولع لكان شاعراً عبقرياً لما رزق من مواهب سامية وغور في المعاني بعيد ، ولكنه مع ذلك كانت له من القصائد والمقطوعات الشعرية ما تلمسك شاعريته الفذة وذوقه الشعري العالي واليك بعض نظمه . قال عند زيارته النبي صلى الله عليه وآله .

ما اقلب بالقرب نال سلاما   بخفوق يهدي الحبيب سلاما
ان عند اللقاء حملا ثقيلا   لمحب ذنوبه تترامى
كلما هزه ليثرب شوق   أقعدته الخطوب عاماً فعاما
ويح عين حياتهـا بدموع   فهي والله ما تمل انسجاما
فتكرم بنظرة لهداها   في طريق الى النجاة استقاما
انت خير الأنام خلقاً وخلقاً   يا رسولا وهادياً وإماما

وله يصف اخوان الزمان :

نفس على نهج الفضائل قد سرت   والعلم يرشدها الى ما تقصد

وهي الأبيـة لا تزال بأمره محتاجة لذرائع لا توجـــد
تبغي الوصول الى الكمال ودونه عقبات دهر للنقائص مورد
أهلوه لا ترجى لنيل مقاصد يتظاهرون بكل حال يرصد
يتكلفون البحث عن كل امرئ ومناهم ان يشمتوا او يحسدوا
هذا يقول نعم وذاك مكذب والكل قد اضحى يذم ويحمد
ارجو خلاصاً من زمان اهله خدعوا الدني بهم وقالوا سيد

ومن مثنياته البديعة قوله :

الدهر يلعب بالرجال وتارة بعض الرجال بدهره يتلاعب
ومن الغريب تكوّن الضدين في آن كأن الكل حاضر غائب

وله أناشيد وطنية كثيرة تنشدها المدارس السورية نشرتها اكثر الصحف والمجلات لم نذكرها لشيوعها .

٩٥ — صدقة السامري (*) ... — ٦٢٥ هج

صدقة بن منجا بن صدقة السامري ، من الاكابر في فن الطب ، والمتميزين في هذه الصناعة . فقد كان محققاً مدققاً دائم البحث والتنقيب وافر العلم جيد الفهم قوي النظر فى الحكمة جيد الدراية فيها ، وكان يدرس وينظم وله فى نظمـه ملح ونوادر . وكان اكثر نظمه دوبيت . خـدم الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل الايوبي وبقي معه مدة طويلة حتى توفي فى مدينة حران سـنة ٦٢٥ هج ولم يخلف ولداً . بل خلف مالا جزيلا ، ذهب كله بذهابه .

وله كلمـات مأثورة جميلة ذكر ابن ابي اصيبعة فى ج ٢ ص ٢٣١ من كتابه عيون الانباء جملة منها كقوله : ما كان من الرطوبات الخارجـة من الباطن ليس مستحيلا (١) وليس له مقر (٢) فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط .

(*) عيون الأنباء وغيره

(١) أي لم تغيره الهضوم داخل البدن (٢) أي لم يكن له عضو خاص كالمثانة للبول والأمعاء للبراز وأمثالها .

وأما ما كان له مقر وكان مستحيلا فهو نجس كالبول والبراز والدم .

مؤلفاته

له مؤلفات جيدة في الحكمة والطب وغيرها . مثل كتاب شرح التوراة وكتاب النفس وشرح الفصول ـ لم يكمل ـ ومقالة في اسماء الادوية المفردة ومقالة أجاب فيها عن مسائل سأل عنها الأسعد المحلي اليهودي ، وكتاب الكنز في الفوز في التوحيد وكتاب الاعتقاد .

ادبه وشعره

كان شعره كما ذكرنا كثير الملح والنوادر واكثره دوبيت ، ولكنه متوسط النظم فمنه :

سلوه لم صدني تيهاً ولم هجرا ؟ ... وأورث الجفن بعد الرقدة السهرا
وقد جفاني بلاذنب ولا سبب ... وقد وفيت بميثاقي فلم غدرا ؟
يا للرجال قفوا واستشرحوا خبري ... مني وغيري لم يصدقكم الخبرا
ان لنت ذلا قسى عزاً علي وإن ... دانيته بان أو آنسته نفرا
هذا هو الميت عندي كيف عندكم ... هيهات ان يستوي الصادي ومن صدرا

وقال يمدح طبيباً من اصحابه :

يا وارثاً عن أب وجد ... فضيلة الطب والسداد
وضامناً رد كل روح ... همت عن الجسم بالبعاد
أقسم لو كان طب دهرا ... لعاد كوناً بلا فساد

وله دوبيت بديع وهو قوله :

ألراح هو الروح فواصل يا صاح ... صفراء بلطفها تنافي الاتراح
لولا شبك يصدها فى الأقداح ... طارت فرحاً الى محل الأرواح

وقال أيضاً :

ما لاح لناظري من العين عيون ... إلا وجرت من ادمعي (١) فيض عيون
غزلان نقا بين أراك وغصون ... أعرض جنى فزدنني فيها (٢) جنون

وله ايضاً قوله :

بالله عليكما ألما وسلاه ... كم يقتلني ويحسب القلب سلاه
قد أوعد (٣) بالوفا فان خان وفاه ... قبلت جبينه وعينيه وفاه

ومن شعره ايضاً قوله :

اطف نكد العيش بماء وشراب ... فالدهر كما ترى خيال وسراب
واغنم زمن اللذة بين الاتراب ... فالجسم مصيره كما كان تراب

٩٦ – الملا صفي الدين الكيلاني (*) ٠٠٠ – ١٠١٠ هـ

الملا صفي الدين بن محمد الكيلاني نزيل مكة المشرفة الاديب الطبيب فريد عصره . كان اعجوبة في الذكاء والفهم . اشتغل في الطب حتى اتقن العلوم العربية والمنطق . ثم تعانى الطب حتى رأس فيه ، وأخذ بمكة عن عبدالرؤوف المكي عدة علوم ، وروى عنه كثيراً .

وله مؤلفات عديدة في الطب وغيره ، وله شرح القصيدة الخمرية لابن الفارض شرحها شرحا حسناً ، وجعله باسم الشريف الحسن بن نمى ، وقد اجازه عليها جائزة عظيمة وانتفع به جماعة فى الطب وغيره ، ويحكى عنه فى الطب غرائب ، منها انه اجتيز عليه بجنازة بعض الطرحاء الفقراء . فدعى بها وأوقفها . ثم اخذ من دكان أحد العطارين شيئاً نفخه في أنف الطريح . فجلس وعاش مدة . فسأله بعض اصحابه عن ذلك فقال : رأيت قدميه واقفتين وهو محمول فعلمت أنه حي ، ومنها

---

(١) كذا وردت مع ان الألف من الكلمة لا تحذف فى الدرج (٢) لا يخفى اختلال الوزن (٣) اوعد خطأ والصواب وعد ومثل هذا لا يباح فى الضرورة الشعرية .

(*) معجم الاطباء ص ٢٥٢

أن بعض التجار كان يطعن فيه ويتكلم عليه . فلما بلغه ذلك ارسل بعض الفقراء بغصن من نبات له رائحة طيبة . فلما شمه التاجر انتفخ بطنه ثم عجز الاطبـــاء غير صفي الدين عن علاجه فاضطر اليه فجاء ولم يمتنع ، ولما رآه اعطاه مسحوقاً من ذلك النبات فعوفي من ساعته .

ونظير ذلك ما وقع لابن البيطار الشهير ، وهو ان بعض معاصريه امتحنه عند السلطان اذ جاء للسلطان بنبات وقال : اذا طلع عليك ابن البيطار مره ان يشمه من هذا المحل يتبين لك جهله ، فلما طلع اليه امره بذلك ، ولما شمه رعف من وقته رعافا شديداً . فقبله وشمه من الجانب الآخر فسكن رعافه . ثم قال للسلطان مر الذي جاء به ان يشمه من الموضع الآخر فان عرف ان فيه الفائدة الاخرى فهو طبيب والا فهو دجال . فلما طلع أمره ان يشمه من الموضع فرعف فقيل اقطعه فعجز ، وكاد ان يهلك فأمره ان يقلبه ويشمه ففعل فانقطع .

وكان يأمر من مرض من اهل مكة ان يخرج الى خارجها فان هواء مكة وان كان في غاية الاعتدال عنده لكن يقول : ان روائح البالوعات وما اشبهها يفسده ، ولهذا فقد بنى بيتاً في المحصب ، يسكن فيه من به مرض كالمصحات اليوم ، وبالجملة فقد كان من اعاجيب الدنيا .

وانا رغم شدة تمحصنا وكثرة التتبع لم نعثر له على مؤلف ولا على شعر . على انا نرى كل من ترجمه ذكر انه اديب وله نظم بديع .

وكانت وفاته في سنة ١٠١٠ هج

٩٧ — الدكتور محمد صالح عبد المنعم (*) ١٣٢٩ هج — ...

الدكتور محمد صالح بن عبدالمنعم بن احمد بن محمود بن سعيد بن احمد بن نجم الدين البغدادي الكرخي . نزح جده السادس نجم الدين المذكور من ديار

(*) ارسل الينا هذه الترجمة هو بنفسه من بغداد فرسمناها بتصرف فى الترتيب لا فى المعنى .

ربيعة أقدم قبائل العراق وأشهرها منذ مائتي سنة وقطن بغداد . فكانت منه أسرة المترجم له .

ولد الدكتور في محلة السيف من جانب الكرخ فى بغداد سنة ١٣٢٩ هـ من ابوين عربيين ، وكان ابوه عبدالمنعم يزاول مهنة التعليم في العهد التركي ، ولما كان عهد الاحتلال البريطاني في العراق تركها وعاد الى مهنة ابيه (احمد) وهي التجارة وكان يجمع بين العلم والأدب والصناعة ، ويجيد من اللغات العربية والفارسية والتركية والافرنسية .

كان المترجم منذ طفولته ذكيًا فطنًا ، قرأ القرآن ، وتعلم الكتابة والقراءة وبعض ما كان يحسنه والده من اللغات على أبيه وغيره من المدرسين ، غير أنه شغف بالعربية فأجادها ونال اعجاب مدرسيه فيها ، ولما رأى أبوه ولعه بطلب العلم لم يكتف بتعليمه إياه بنفسه . بل ذهب به الى علامة بلده وفقيهها المرحوم الشيخ شكر البغدادي فكان من أحب تلامذته عنده واقربهم منه لما كان يتوسم فيه من الذكاء على صغر سنه . فقرأ عليه قطر الندى لابن هشام وألفية ابن مالك ، ولكن لما عاجلت المنية استاذه الشيخ توقف عن المضي فى دراسته العربية مدة . ثم دخل المدارس الرسمية فكان على الدوام هو المتقدم في صفه ، وهكذا حتى اكمل دراسته الثانوية ، وقد كان فى أثناء تدرجه فى الدراسة يخير نفسه بين المضى فى سلكه الأدبي العلمى الذي شغف به منذ الطفولة ، وبين الانخراط في سلك الطب الذي أحبه وعلق في ذهنه منذ تنبأ له أحد مشاهير الأطباء فى بغداد ، وذلك أن والده كان قد أخذه ذات مرة الى طبيب شهير ليعالجه من مرض أصابه . فقال له الطبيب فى معرض كلامه بعد أن قاس بعض قياسات فى وجهه وأنفه وجبهته : ان ولدك هذا سيصبح طبيبا وطبيبًا حاذقا فى المستقبل .

وهكذا كان فقدم مال إلى الطب ، ودخل الكلية الطبية في بغداد وحاز الأولية في كل صفوفه ، ومارس الجراحة فشغف بها حتى نال شهادة دكتور جراح بعد

أربع سنوات ، وها هو اليوم من مشاهير جراحي بغداد الحذاق ، وممن يعتمد عليهم في مستشفى (المجيدية) في الجراحة .

أدبه وشعره

لقد كان المترجم مع هذا العمل المتواصل في مدرسته لم يترك الأدب والتسلي به في ساعات الوحدة والأنس . فكان يشغل ساعات فراغه بقراءة ديوان المتنبي ، وترتيل قصائده البديعة فيرتوي بها ارتواء الصادي بالماء الزلال ، ويجد فيها البلسم الشافي والعلاج الوافي لاتعابه في حله ومرتحله . فاذا ما وجد فرصة سانحة هاجت قريحته الوقادة . فنظم القصيدة الطويلة والمقطوعة القصيرة ، أو البيت والبيتين لدى كل مناسبة .

وقد قال الشعر وهو ابن خمسة عشر سنة ، وقد اشتهرت له في ذلك الوقت قصيدة بديعة في رثاء الامام أبي الشهداء الحسين بن علي عليه السلام .

واليك بعض نظمه الرائع لتعرف ما حوى من رقة وانسجام ومتانة ونظام ، تدل على لطف قريحة واريحية وظرافة قال تحت عنوان (أديبة) .

فتى أرق الشوق الملح عيونه ... وأغفت جفون الخلق إلا جفونه
فتى لا يسليه النديم ولا الطلا ... وليست تسلي المطربات شجونه
أديبة قلبي المستهام أديبتي ... بعثت اليك القلب هل تنظرينه
لقد طال نجواه وطالت شكاته ... ولم ير من رد ألا ترحمينه
أديبة ما هذا الصدود ترفقي ... بصب شغوف صار حبك دينه
شغلت فؤادي ليله ونهاره ... فهلا تراعين الذي تشغلينه
وقفت وما شوق لغيرك هزني ... وعاهدت نفسي في الهوى ان اصونه
تغلغلت في اعماق قلبي محبة ... ألا فاجعليني بعض من تذكرينه
أذيبة ما أحلى المنى وأعزه ... أيحسن من يهواك ان تقطعينه
أتيتك في حكم الغرام مقيداً ... أسيراً وها اني كما ترتئينه

فلا ترهقي قلباً غدا لك مسكناً   أخاف على البيت الذي تسكنينه

الى ان يقول :

فياليت ما بي كان عندك مثله   لكي تدركي آلام قلبي وهونه
منحتك آمالي وكل عواطفي   لأحظى بعطف الود لو تمنحينه

وهي طويلة يختم وصفها بقوله :

كريمة خلق لا يمل حديثها   تحادث مجنوناً فتشفي جنونه
ملاك لها بين الملائك رفعة   وبين الغواني رائد يقتفينه

الى آخرها وله شعر كثير ولكنه لم يرسل لنا سوى هـــذه القصيدة وقد اختصرناها حسب رغبته .

حرف الضاد

٩٨ — ضياء الدين المناوى (*) ...

ضياء الدين بن عبد الكريم وجيه الدين المناوي ، قال الشيخ أثير الدين ابو حيان : كان عنده علم الطب والادب ، وكان أصما ، رأيته في القاهرة ، وجالسته بالمشهد ، وأنشدني من شعره مقطعات منها قوله :

بروحي معبود الجمال فما له ... شبيه ولا في حبه لي لائم
تثنى قمات الغصن من حسد به ... ألم تره ناحت عليه الحمائم ؟

وله في عطار جميل :

من كان يشكو في الفؤاد حرارة ... فعليه بالعطار غير مقصر
في ثغره ماء اللسان (١) مروّق ... عطر وفي وجناته الورد الطري

وقال متغزلا :

لا غرو ان صاد قلبي ... هذا الغزال الربيب
اشراك جفنيه هدب ... بها تصاد القلوب
وفيه أوصاف حسن ... يروق فيها النسيب
فطرفه المتنبي ... والسحر وهو حبيب

وله ايضاً قوله :

قربت كأس الراح من خده ... أزف معطاراً لمعطار
قال لي الندمان هذا الذي ... يسعى الى الجنة بالنار

وقال وقد أجاد :

جاء من لحظه بسحر مبين ... بفتور من جفنه وفتون

(*) فوات الوفيات (٢) أي ماء لسان الثور العقار المعروف ، ولا يخفى انه قد ذم محبوبه وجعله ثوراً .

وثنى قده الصبا في تثنيه   فوا خجلة الصبا والغصون
قمر بعت في هواه رشادي   بضلال ولست بالمغبون
لا عجيب اني ضللت بليل   الشعر لكن اهدى بصبح الجبين
فيه ما تشتهي النفوس من الحسن وتلتذه لحاظ العيون
سال دمعي اذ سال في خد من أهوى عذار كالمسك للتزيين
فعجيب من سائلين غني   بنضار وسائل مسكين
ويك يا سعد ذر قديم حديث   عن أناس وخذ حديث شجون
كل حسن الأنام دون الذي اهوى وكل العشاق في الحب دوني
قسما بالقدود مالت مع التيه وما فى اغصانها من لين
وسهام الالحاظ ترمي بها الاصداغ عن قوس حاجب كالنون
ودلال الحبيب والوصل والتيه يمين ويا لها من يمين
لا تناسيت بالملام عهوداً   احكمت عقدها علي يميني
لو تناسيتها لضاق مجالي   في اعتذاري الى وفاء ودين

حرف الظاء

٩٩ ـــ ظافر السكرى الطبيب (*)

هو ابو حكيم ظافر بن جابر بن منصور السكري . كان مسلم الفضيلة في صناعة الطب ، متقنا للعلوم الحكمية متحليًا بالعلوم الادبية محبًا للاشتغال ، والتضلع بالعلوم والفنون .

اشتغل مع ابي الفرج الطبيب ببغداد ، وهو موصلي الأصل ثم انتقل الى حلب واقام بها وعمر طويلا حتى مات ، ولم نطلع رغم تفحصنا فى كتب التراجم على سنة وفاته . غير اننا علمنا أنه كان موجوداً حيًا سنة ٤٨٢ هج .

وله شعر جميل ، ومؤلفات مطبوعة مقبولة ذكرها مترجموه ، ونحن لم نعثر له إلا على مقالة صغيرة يبحث فيها عن أن الحيوان يموت مع أن الغذاء فيه يخلفه بدلا عما تحلل منه .

ومن نظمه قوله :

ما زلت أعلم اولا فى اول ... حتى علمت بأنني لا علم لي
ومن العجائب أن كوني جاهلا ... من حيث كوني أنني لم أجهل

(*) عن عيون الانباء وغيره .

حرف العين

١٠٠ ــ السيد عبدالله الصنعاني (*) ١١٦١-١٢٤٤ هـ

عبدالله بن اسماعيل بن الحسين بن محمد بن الخوثي الحسيني . العلامة التقي ، والعالم الفاضل والطبيب الحاذق ، وهو ابو ابراهيم مؤلف نفحات العنبر المذكور في حرف الألف من كتابنا هذا .

ولد في صنعاء سنة ١١٦١ هـ وأخذ القراءة عن صالح الضرير ، والنحو عن الفقيه احمد جارالله السري ، والصرف عن لطف‌الله ، والمعاني والبيان والمنطق عن احمد بن صالح بن أبي الرجال ، والاصول عن ابن المفتي ، والفقه عن ابن الامام القاسم ، والحديث عن الحسن بن زيد الشامي . ثم لازم السيد علي ابن صلاح‌الدين ملازمة كلية استفادمنه علوماً جمة . ثم درس سائر العلوم الحكمية والرياضية على آخرين فبرع فيها وتقدم على اقرانه في الحساب والمساحة والتاريخ والادب والتفسير كما كان له اقتدار باهر على مطالعة الاسفار في جميع العلوم وفهمها . اما الطب والعقاقير فقد كانت له فيهما المعرفة التامة لا سيما في خواص الادوية ومنافعها ، كل ذلك مع أدب جم وذوق سليم وطبع دقيق ونظم جيد . فمن نظمه مورياً قوله :

وعاذلة رأتني في اغتراب ... أحث السير حثاً نحو خلي

فقالت لا أدل عليك ان لم ... تقل لي اين تبغي قلت دلي

وتوفي في صنعاء سنة ١٢٤٤ هـ عن ٨٣ عاماً :

١٠١ ــ عبدالله بن حمزة الحكيم (*) ٠٠٠ ــ ١٢٦٩ هـ

عبدالله بن حمزة بن هادي بن يحي بن محمد القاضي الدوار الصنعاني الفاضل العالم والحكيم الماهر والفلكي الحاسب مؤلف كتاب (بلغة المقتات) في علم الأوقات

(*) نيل الوطر

(*) عن نيل الوطر

كان فخر زمانه وبطليموس أوانه له مشاركة في اكثر العلوم وبراعة في علمي الطب والنجوم ، وقد أتقن قواعد علم الفلاك وصار عمدة لطلابه ، وحصل بخطه عدة مجلدات في علم الطب والحساب ، وله كتاب (معدن الجواهر) في اخراج الضمائر نحو كراستين ، وله ملحمة ذكر فيها ما يكون في جميع البلدان ، وهي دالة على ما له من اليد الطولى في علم الفلاك ، وهي منظومة الى مائتي بيت من الشعر باسم المهدي عبدالله بن التوكل احمد ، وقد قال في آخرها مميزاً نفسه عن اعتقاد التأثير للنجوم . كما هي عقيدة البعض من المنجمين والطبيعيين وذلك قوله :

وسميتها بالمهدوية كونها … برسم امام العصر دام له العلا
مع العلم والاقرار لله وحده … بعلم علوم الغيب علماً مفصلا
ولكنه ظن وعلم بحدسنا … يدل على المظنون ظناً مخيلا
وان اعتقادي ان ربي قادر … على فعل مايختار إن شا وان بلا

ومن نظمه مورياً باسمه ولقبه قوله :

ومذ أشرقت بالعلم كالشمس انواري … صعدت الى الافلاك قاض(١) ودواري
ولي قلم في العلم جلّ صفاته … يدل على ما كان من حكمة الباري

وقد توفي في صنعاء سنة ١٢٦٩ هج على مهاجها السلام والتحية .

١٠٢ — عبدالله بن على الشيخ السديد (*) ٠٠٠ـ٥٩٢ هج

الشيخ السديد عبدالله أبو منصور بن القاضي الاجل ابن الشيخ السديد علي . وكان المترجم يلقب بلقب شرف الدين ، ولكن تغلب عليه لقب ابيه .

قال ابن ابي اصيبعة : كان عالماً بصناعة الطب خبيراً بأصولها وفروعها جيد المعالجة كثير الدربة حسن الاعمال باليد ، خدم الخلفاء المصريين ، وحظى فى ايامهم ونال من جهتهم الأموال الوافرة والنعم الجسيمة ما لم ينله غيره من

(*) دائرة معارف فريد وجدى وعيون الانباء وحسن المحاضرة للسيوطي

(١) كذا

الأطباء المعاصرين له ، ولا القريبين من زمنه ، وكانت له عندهم المنزلة العليا والجاه العظيم ، وقد عمر طويلا ، وكان من بيت طب وحكمة ، لأن أباه كان طبيباً للخلفاء المصريين مشهوراً في ايامهم .

اما المترجم فقد كان كبير النفس سخياً كريم الطبع ، ذا همة عالية وانعام عام وعطايا سنية . قال الشيخ رضي الدين الرحبي الطبيب :

لما وصل المهذب بن النقاش الطبيب من بغداد الى الشام ، اقام بدمشق ولم يحصل له بها ما يقوم بكفايته ، ثم سمع بكرم خلفاء مصر واحسانهم لا سيما للعلماء والفضلاء تاقت نفسه اليها ، وسافر حتى وصلها وأقام بها اياماً ، وكان قد سمع بالشيخ السديد ، طبيب الخلفاء وما هو عليه من الاتصال وسعة الحال والاخلاق الجميلة والمرونة والكرم ، فقصده الى داره وسلم عليه وعرفه بصناعته وانه اتى قاصداً اليه وأعلمه بغايته . فتلقاه الشيخ بما يليق بمثله وأكرمه غاية الاكرام ، ثم قال له : كم تؤثر أن يطلق لك من الجامكية اذا كنت مقيما بالقاهره ؟ فقال : والله ! ان اطلق لي في كل شهر من الجاري (١) عشرة دنانير مصرية فاني أراها شيئاً كثيراً . فقال له : لا . هذا القدر لا يقوم بكفايتك على ما ينبغي ، وأنا اقول : لو كيلي ان يوصلك في كل شهر خمسة عشر ديناراً ، وقاعة قريبة مني تسكنها وهي بجميع فرشها ، وطرحها وجارية حسناء تكون لك ، ثم اخرج بعد ذلك خلعة سنية فاخرة ألبسه إياها ، وأمر الغلام ان يأتي له ببغلة من اجود دوابه . ثم قال له : هذا الجاري يصلك في كل شهر ، وجميع ما تحتاج اليه من الكتب وغيرها فهو يأتيك على ما تختاره ، واريد منك ان لا تخلو من الاجتماع والانس معي ، وانك لا تتطاول الى شيء آخر من جهة الخلفاء ، ولا تتردد الى احد من رجال الدولة فقبل ذلك منه ولم يزل ابن النقاش مقيما في القاهرة على هذه الحال الى ان رجع الى الشام ، وأقام بدمشق الى حين وفاته .

---

(١) الجاري : كلمة مصطلح عليها في العملة المستعملة في العصر

أخذ الطب عن الموفق ابي نصر عدنان بن العين زربي ، ثم ظهر نبوغه وحذقه لدى الخلفاء فكان مبجلا محترماً ، وقد خدم خمسة من الخلفاء المصريين ، وهم : الآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد ، ثم لما استبد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بالملك فى القاهرة واستولى على الدولة كان الشيخ ايضاً محترماً لديه يتفقده بالانعام الكثيرة مدة وجوده في القاهرة ، وحتى غادرها الى الشام ، وكان يستطب منه ويعمل بوصفه وما يشير به عليه ، ولم يزل الشيخ رئيساً للاطباء حتى وفاته سنة ٥٩٢ هج (١)

وكان يسكن بالقاهرة على باب زويلة فى دار مشيدة البناء ، قد بولغ فى تحسينها ولكنه في اواخر عمره احترقت هذه الدار ، وذهب ما فيها من اثاث ، وآلات ثمينة وامتعة حتى سال الذهب وظهر منه للناس سبائك الذهب .

قال ابن ابي اصيبعة عن القاضي نفيس الدين : ان الشيخ كان قد رأى فى منامه ان داره تحرق فاهتم لذلك ، واشتغل ببناء دار اخرى لينتقل اليها ، ولكنها لم تتم حتى احترقت الاولى قبل الانتقال .

قال الحسن بن علي بن ابراهيم الجويني الكاتب ، وقد كان صديقاً للشيخ يعزيه على هذه الدار المحترقة :

أيا من حق نعمته قديم ... على المرؤوس منا والرئيس
فكم عاف اعدت له العوافي ... وكم عنا نضوت لباس بوس
ويا من نفسه اعلى محلا ... من النفوس يعدم والنفيس
جرعت مرارة احلى مذاقاً ... لمثلك من كميت خندريس
فعاين ما عراك بنور تقوى ... خلائقك التي هي كالشموس
عطاء لله يوم العرض يسمو ... مماثله على العرض الخسيس
هموم الخلق فى الدنيا شراب ... يدور عليهم مثل الكؤوس

(*) كما في حسن المحاضرة للسيوطي

تروم الروح في الدنيا بعقل ترى الارواح منها في حبوس
وكل حوادث الدنيا يسير اذا بقيت حشاشات النفوس

ادبه وشعره

لقد كان المترجم مع ما له من المكانة السامية العلمية والفضل والنبل البارزين ذا طبع رقيق وعاطفة سامية وادب جم وشعر ينم عن تضلعه فى فنون الادب . ولكننا مع الاسف لم نعثر له الا على هذين البيتين فى مجموعة أحد الفضلاء الثقاة وهما قوله :

انا لا ارتضى لنفسى سوى خدمة جنسى علماً وطباً ومالا
اسعد الروح بالعلوم وبالطب سقيما وبالدراهم حالا

١٠٣ — عبد الله بن علي بن البيمارستانية (*) ٠٠٠-٥٩٩ هج

عبدالله ابو بكر بن علي ابي الفرج بن نصر بن حمزة . عرف بابن البيمارستانية كان فاضلا في صناعة الطب وسمع شيئاً كثيراً من الحديث وكان عنده تميز وأدب .

تولى نظر البيمارستان العضدي وتوفي فى ذي الحجة ٥٩٩ هج بموضع يقال له (جرخ بند) ودفن هناك .

١٠٤ — عبد الله بن عمر الانصاري الوزان (*)

٠٠٠ — ٦٧٧ هج

عبدالله بن عمر (١) بن نصر الله ابو محمد موفق الدين الانصاري المعروف بالوزان .

كان أديباً فاضلا مقتدراً على النظم ، وله مشاركة فى علوم كثيرة منها الطب

(*) عن تاريخ البيمارستانات في الاسلام للدكتور احمد عيسى بك .
(*) معجم الاطباء والوفيات ، وفوات الوفيات .
(١) وفي الوفيات بن عز .

والكحل وغير ذلك كالفقه والنحو والادب والوعظ ، وكان حلو النادرة لا تمل مجالسته حسن المحاضرة ، وعلى ذهنه من التواريخ والحكايات والأشعار وأيام الناس شيء كثير ، وكان اقام بالديار المصرية في السنة الخالية واستوطنها فلم تطل مدة اقامته بها حتى ادركته منيته فتوفي ليلة الجمعة مستهل شهر صفر فى القاهرة سنة ٦٧٧ هج من غير مرض بل عرض له (قولنج) ليلة وفاته فمات من وقته وقد نيف على الخمسين .

وشعره كثير جداً ، وتقع فيه المعاني الجيدة ، وكان يكتب خطاً حسناً ويترسل في مكاتباته ، وعنده لطافة كثيرة ودقة حاشية ودماثة اخلاق ، وقال فى فوات الوفيات : وأقام (ببعلبك) مدة ، وخمس مقصورة (ابن دريد) مرثية في الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام .

اقول ومنها قوله كما رأيتها في مجموعه مخطوطة عند العلامة الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ طاهر السماوي قال فى مطلعها :

لما أبيح للحسين صونه ... وخافه يوم الطراد عونه
نادى بصوت قد تلاشى كونه ... اما ترى رأسي حاكى لونه
طرة صبح تحت أذيال الدجى
مضمخاً بدمه في خده ... لم ترع فيه حرمة لجده
والسيف من مفرقه بغمده ... واشتعل المبيض في مسوده
مثل اشتعال النار فى جمر الغضا
وصيـــة بالله فى مخلف ... يا راكباً بالهودج المشرف
ما هتكوا من سره المسجف ... فكان كالليل البهيم حل فى
أرجائه ضوء صباح فانجلى

وهكذا الى ان يقول في ختامها :

لا يحسبن دهري قضى بقربة ... اني اليه أشتكي من كربة

او شاكر لرفعة في رتبة ... أو أن أرى مختضعاً لنكبة
او لابتهاج فرحاً أو مزدهى

وقد رأيت في هـــذه المجوعة ايضاً ثلاث تخاميس أخر المقصورة غير هذا التخميس احدها مجهول الاسم فى مدح الناصر العباسي ، والثاني للمرحوم الشيخ (محمد رضا) بن الشيخ احمد النحوي النجفي الحلي في مدح الحجة السيد مهدي الطباطبائي الشهير جدُّ آل بحر العلوم ، والثالث للشيخ موسى شريف الجامعي جدّ آل محيي الدين في مدح الامام امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

أدبه وشعره

قد تقدم لك ما يدل على شاعريته من تخميس (الدريدية) ولنذكر لك غير ذلك من نظمه فمن ذلك قوله :

يذكرني نشر الحمى بهبوبه ... زماناً عرفنا كل طيب بطيبه
ليال صرفناها من الدهر خلسة ... وقد أمنت عيناي عين رقيبه
فمن لي بذاك العيش لو عاش وانقضى ... ليسكن قلبي ساعة من وجيبه
الا أن لي شوقاً الى ساكن الغضى ... أعيذ الغضى من حره ولهيبه
أحن لذياك الجناب ومن به ... ويسكرني ذاك الشذا من جيوبه
أخا الوجد ان جاوزت رمل محجر ... وجزت بمأمول الجناب رحيبه
دع العيس تقضى وقفة بربى الحمى ... ودع محرماً يجري بسفح كثيبه
وقل لغريب الحسن ما قيل رحمة ... لمفرد حزن في هواك غريبه
متى غرد الحادي سحيراً على النقا ... أمال الهوى العذري عطف طروبه

وقال متغزلا :

أسائل طرفي عن جنابك في الكرى ... فيخبر سهدي ان جفنك راقد
ويحسب وكراً ناظري طائر الكرى ... وما هو إلا للسهاد مصائد

وله ايضاً قوله :

أنا أهوى حلو الشمائل ألمى ... مشهد الحسن جامع الأهواء
آية النمل قد بدت فوق خديـــه فهيموا يا معشر الشعراء

وقال أيضاً :

قلبي وطرفي في ديارهم ... هذا يهيم بها وذا يهمي
رسم الهوى لما وقفت بهـا ... للدمع أن يجري على الرسم

ومن نظمه قوله :

حار في لطفه النسيم فأضحى ... رائحاً نحوه اشتياقاً وغادي
مذ رأى الطرف منه طرفاً وجيداً ... هام وجداً عليه في كل وادي

ومن شعره ايضاً قوله :

جميعي لسان وهو باسمك ناطق ... وكلي قلب عند ذكرك خافق
واني وان لم اقض فيك صبابة ... فما انا في دعوى الصبابة صادق
خليلي ما للبرق يخفق غيرة ... أبرق حماها مثل قلبي عاشق
تميل قدود البان شوقاً لقدهـا ... فتنطق اشفاقاً عليها المناطق
وينشق قلبي للشقائق غيرة ... اذا حدقت يوماً عليها الحدائق

الى غير ذلك من النظم البديع والشعر الرائق .

١٠٥ ـ عبدالله بن محمد عماد الدين العراقي (*)

٠٠٠ ـ ٦٤٣ ـ ٧٢٤ هـ

عبدالله بن محمد بن عبدالرزاق العراقي . الامام البارع عمادالدين ابن الخوام الطبيب (١) الاديب المتفلسف احد أعيان بغداد .

برع في فنون من العلوم العقلية والنقلية وقرأ عليه جماعة في انواع من العلوم

(*) معجم الاطباء ص ٢٤٣ .

(١) كما في الدرر الكامنة .

والمعارف الجدية والهزلية ، وجالس الملوك وحصل اموالا تضيق بدررها السلوك ، ودرس مذهب الشافعي بدار الذهب ، وأغار على ما في كتب المذهب من الجواهر ونهب ، ومنح الطلبة ما عنده من ذلك ووهب ، وولي رئاســـة الطب ومشيخة الرباط ، وعمل اشياء بالاحتيال والاحتياط ، ولم يزل على حاله الى ان زال سلطانه وفارقته مع الحياة اوطانه وتوفي سنة ٧٢٤ هج و كان مولده سنة ٦٤٣ هج

وهو الذي علم شرف الدين هارون ابن الوزير وابن عمه علاء الدين صاحب الديوان فن الحساب فكثرت امواله ، وكان اخذ في المعقول (عن النصير الطوسي) وأنشأ داراً وقفها على امام ومؤدب وعشرة ايتام وله تصانيف وانشاءات ، وأخذ عنه (العز الاربلي) وله من التصانيف القواعد البهائية في الحساب ، ومقدمة في الطب ، وغير ذلك .

قال في تفسير رشيد الدولة : هو انسان رباني بل رب انساني تكاد تحل عبادته بعد الله . فشهدوا عليه بعد موت الرشيد فدخل على قاضي القضاة قطب الدين فحقن دمه ومات .

وقد ذكر له نظم في التراجم ولكننا لم نعثر على ذكر شيء منه .

١٠٦ ـــ عبد الله بن ناصيف اليازجي (*) ...

عبدالله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي اللبناني الحمصي .

هاجر جده سعد المذكور من حمص مع جماعة من ذويه نحو سـنة ١٦٩٠ م لحيف لحقهم في تلك الديار . فتوطن اناس منهم في ساحل لبنان في الجهة المعروفة بالغرب ، وآخرون في وادي التيم ، وتفرق بعضهم في مواطن اخرى ، ولا تزال بقية اسرتهم في حمص ونواحيها ؛ وهم عشيرة كبيرة من ذوي الوجاهة واليسار .

(*) عن تراجم مشاهير الشرق لجرجي زيدان ضمن ترجمة والده الشيخ ناصيف اليازجي ج ٢ ص ٩

كان المترجم من الاطباء المشهورين في وقته على مذهب ابن سينا ، وكان مع ذلك أديباً شاعراً . الا أنه كان قلما يتعاطى النظم لقلة الدواعي اليه اذ ذاك .

ومن شعره ابيات قرظ بها ديوان الخوري (حنا المنير) احد شعراء ذلك العصر لم تحفظ منها الا بيتان رواهما لنا حضرة حفيده اللغوي الشهير الشيخ (ابراهيم اليازجي) صاحب (مجلة الضياء) وقد اعتمدنا عليه في تحقيق اكثر ما اثبتناه في هذه الترجمة .

أما البيتان فهما قوله :

عش بالهنا والخير والرضوان … يا من عنيت بنظم ذا الديوان
اني لقد طالعته فوجدته … نظما فريداً ماله من ثان

ولم يذكر له جرجي زيدان سنة ولادة ولا وفاة .

١٠٧ — عبيدالله ابوالحكم الاندلسي (*) ٤٨٦-٥٤٩ هج

عبيدالله بن مظفر بن عبدالله بن محمد الباهلي الاندلسي المرسي المعروف بالحكيم الاديب المغربي .

كان في علوم الفلسفة وصناعة الطب وفنون الادب ونظم الشعر وحيدعصره وأشهر رجالات العلم فى الدولة العباسية ، وقد عمر فى ايام المقتدي والمستظهر والمسترشد والراشد والمقتفي ، وكان معاصراً لامين الدولة ابن التلميذ الحكيم الطبيب الشهير .

ساح في البلدان العراقية والمصرية وتكلف ادارة بيمارستان بغداد العسكري مدة من الزمن .

قال ابن الدهان في تاريخه : قدم ابوالحكم بغداد وأقام بها مدة يعلم الصبيان وقد كان ذا معرفة بالطب والادب والهندسة ، وقال غيره : كان اعور ولكنه

(*) معجم الاطباء ، نفح الطيب ، عيون الانباء ، وفيات الاعيان .

حسن الأخلاق كثير الهزل لطيف المزاح سيما مع المرضى والمراجعين غيرانه كان مدمنا مكثراً محباً للهو والخلاعة ماجناً مشهور المجون .

واتفق ان شرب ذات ليلة في دار احد اصدقائه واكثر حتى غاب رشده ، وعند ما رجع الى منزله اصطدم بجدار فسقطت عمامته وشج رأسه وجبهته . فلزم الفراش فعاده اصحابه ومعاريفه ، ولما كثر عليه السؤال عن حاله وعن سبب مرضه وهو لا يقدر على الكلام الكثير ضجر . فنظم الواقعة شعراً ووضع الورقة الى جنبه وجعل يشير لكل سائل الى القرطاس ليقرأه ويعرف السبب وهو قوله :

وقعت على رأسي وطارت عمامتي　　وضاع شمشكي[1] وانبطحت على الارض

وقمت واسراب الدماء بلحيتي　　ووجهي وبعض الشر أهون من بعض

قضى الله اني صرت في الحال هتكة　　ولا حيلة للمرء فيما به يقضي

ولا خير في عمر ولا في لذاذة　　اذا لم يكن سكر الى مثل ذا يفضي

واخذ المرآة يوماً فرأى الجرح في وجهه غائراً تحت الجفن بعد وقعته هذه فقال .

ترك النبيــــذ بوجنتي　　جرحا ككس (٢) النعجة

ووقعت منبطحاً على　　وجهي وطارت عمتي

. وبقيت منهتكا ولولا　　الليل بانت سوأتي

وعلمت ان جميع ذلك　　من تمام اللذة

من لي بأخرى مثل　　تلك ولو بحلق اللحية

وله في الخمرة قوله :

ألا ان شرب الراح من اوكد الفرض　　على الورد والريحان والنرجس الغض

وكل امرء اعطى الوضاعة حقها　　فذلك في عيش لذيذ وفي خفض

(١) نوع من الخف فارسي معرب بضم الشين الاولى و كسر الميم .
(٢) كذا ورد بالكاف والسين كما رقم وان خالف ذكره الآداب .

ومهما تكن بي دائماً من دعابة فاني نقي الثوب والنفس والعرض
واني على اشياء مما تريبني اذا صاحب زلت به قدم اغضي

وقال يهجو الاديب نصير الحلبي على سبيل المرثية مداعباً له وهو حي ، وقد كان نصير هذا قد اشتغل بالكتابة وتعرض للشعر والطب والنحو :

يا هذه قومي اندبي مات نصير الحلبي
يرحمه الله لقد كان طويل الذنب
قدضجت الاموات من نكهته في الترب
وودهم لو عوضوا عنه بكلب أجرب
والقوم بين صارخ وممعن في الهرب
ومنكر يقول ذا اوضع ميت مرّ بي
ما ضم بطن الارض بين شرقها والمغرب
اخبث منه طينة في عجمها والعرب
يا قوم ما انحسه نصباً على التعجب
اوصافه من فحشه مسطورة فى الكتب
وقوله لمنكر اسرفت يا معذبي
اما علمت انني شيخ من اهل الأدب
والنحو والحكمة والمنطق والتطبب

وقال في من اسمه عبدالكريم ملغزاً :

بمهجتي يا صاح افدي الذي تيمني تفتير عينيه
صرت له ثلث اسمه (١) طايعاً وهو بوصلي ضد ثلثيه (٢)
كأنما وجنته اذ بدت انجم خيلان (٣) بخديه

(١) أي عبد وحروفه ثلث حروف عبدالكريم (٢) ثلثاه الكريم وضده البخيل (٣) انجم جمع نجم وهو نبت عديم الساق وهو فاعل بدت .

هلال تمّ والثريا له مقلوب ما يشبه صدغيه (١)

وله اخبار وماجريات (٢) كثيرة ظريفة تدل على خفة روحه ولطف قريحته . قال ابن خلكان : رأيت في ديوانه أن أبا الحسن أحمد بن منير مهذب الدين الطرابلسي كان ذات يوم عند الامراء من بني منقذ بقلعة (شيرز) وكانوا مقبلين عليه ، وقد كان بدمشق رجل شاعر يقال له ابو الوحش وكانت فيه دعابة وله مع أبي الحكم صداقة فسأل من أبي الحكم أن يكتب له كتابا الى ابن منير الشاعر المذكور وهو عند الامراء بالوصية عليه . فكتب له ابو الحكم مرتجلا :

أ أبا الحسين اسمع مقال فتى | عوجل فيما يقول فارتجلا
هذا ابو الوحش جاء ممتدحا | للقوم فاهنأ به إذا وصلا
واتل عليهم بحسن شرحك ما | انقله من حديثه جملا
وخبر القوم أنه رجل | ما أبصر الناس مثله رجلا
تنوب عن وصفه شمائله | لا يبتغي عاقل به بدلا
وهو على خفة به أبداً | معترف أنه من الثقلا
يمت بالثلب والرقاعة (٣) | والسخف واما بغير ذاك فلا
إن أنت فاتحته لتخبر ما | يصدر عنه فتحت منه خلا

ثم ختم الكتاب وأغلقه وناوله إياه .

وله مقصورة هزلية تضاهي مقصورة ابن دريد وهي طويلة لا محل لذكرها هنا ولكن نذكر بعضها . قال منها وقد سماها معرة البيت وذكر فيها ما ينال الانسان اذا عمل دعوة للندماء من المضرة والندامة (٤)

— وخيلان بكسر الخاء جمع خال ، ووجنته مبتدا وهلال خبر له فيكون المعنى ان وجنته لما بدت فيها انجم الخيلان المشبه بها عذاره كانت كهلال تم تبرقع بالثريا . (١) الذي يشبه صدغيه هو عقرب ومقلوبه برقع (٢) نكات ونوادر (٣) خفة العقل (٤) ذكرها ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء ج ٢ ص ١٤٩

معرة البيت على الانسان ‏ تطرا بلا شك من الاخوان
فاصغ الى قول أخي تجريب ‏ يأتك بالشرح على الترتيب
جميع ما يحدث في الدعوات ‏ وكل ما فيها من الآفات
فصاحب الدعوة والمسرّه ‏ لابد أن يحتمل المضرّه
أولها لابد من ثقيل ‏ يكرهه القوم وذي تطفيل
صاحبها ان قدم الطعاما ‏ لابـــد أن يحتمل الملاما
لو أنه يندس في حر أمّه ‏ لابدّ أن يسرّعوا في ذمه
يقول بعض عازه ابزار (١) ‏ وبعضهم طافت عليه النار
وآخر هذا قليل الملح ‏ يظهر أني فطن ذو نصح

الى آخرها وهي طويلة كلها على هذا النمط من الهزل المزيج بالحقيقة .

وسكن في أواخر أيامه دمشق وانزوى عن الناس واقتصر في المعيشـة على معالجة بسيطة وبيع العقاقير والمعاجين في حانوت له بجيرون (٢) حتى توفي سنة ٥٤٩ بدمشق وكانت ولادته سنة ٤٨٦ على ما ذكره ابن خلكان عن ابن الدبيني في ذيله . وقال اللاهيجي في (محبوب القلوب) : وبعد مدة كره العراق واختار الفراق ولما دخل دمشق قال : هذا بلد لا يحل لذي عقل أن يتعـداه فاشترى له منزلا وسكنه الى أن وافاه الأجل .

وله من الشعر عند وفاته قوله :

يا لهف نفسي اذا ادرجت في كفني ‏ وغيبوني عن الأهلين والوطن
وقيل لا يبعدن من كان ينشدنا ‏ انا الذي نظر الأعمى فلم يرني

وللشعراء فيه مدح وذم كثير . ومن ذلك ما ذكره صاحب مطرح الانظار : ان أبا الفضل الشاعر مدحه بقصيدة منها قوله :

اذا ما جرى الله امرءاً بفعاله ‏ فجازى الاخ البر الحكيم أبا الحكم

---

(١) الافاويه عربيتها وفي الشهرة بهارات .

(٢) باب من ابواب دمشق ، وباب من ابواب الجامع بدمشق .

هو الفيلسوف الفرد والفاضل الذي أقرّ له بالحكمة العرب والعجم
يدبر تدبير المسيح مريضــه ولو رامه بقراط زات به القدم

وهجاه الشاعر حسان بن نمير الكلبي بقوله :

لنا طبيب شاعر أشتر اراحنا من شخصه الله
ما عاد في صبحة يوم فتى إلا وفي باقيــه رثّاه

و كان قد شترت عينه بسقوطه على وجهه حالة سكره .

وقال الشاعر عرقلة الدمشقي يرثيه هاجياً :

يا عين سحي بدمع ساكب ودم على الحكيم الذي يكنى أبا الحكم
قد كان لا رحم الرحمن شيبته ولا سقى قبره من صيب الديم
شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم

وللشعراء فيه من هذا القبيل شيء كثير .

وله ديوان شعر اسماه (نهج الوضاعة) أتى فيه بكل غريب (١)

١٠٨ — عبيد الله بن غلنده الاموي (*) ٤٨٤ـ٥٨١هـ

عبيدالله بن علي بن عبيدالله بن غلنده الأموي من أهل سرقسطة ، وسكن اشبيلية . يكنى أبا الحكم ، ولتغلب العدو على بلده خرج مع أبيه وجده الى قرطبة وأخذ هناك عن ابي عبدالله بن ابي الخصـــال ، وعن ابي بكر يحيي بن ابي الفتح الحجازي . ثم رحل عنها الى اشبيلية فاستوطنها .

و كان أديباً شاعراً مترسلا ، وطبيباً ماهراً صناع اليدين (٢) ابرع الناس خطّاً وأحسنهم ضبطا ، وكتب علماً كثيراً ، وكلما وجد من تقييداته ففي غاية الافادة ، وأنشدني له بعض اصحابنا من لزومياته :

---

(١) نفح الطيب وعيون الانباء .

(*) معجم الاطباء ص ٢٨٤ عيون الانباء ج ٢ ص ٧٩

(٢) رجل صناع اليدين ماهر وصنع اليدين في عمل اليدين حاذق في الصنعة .

اذا كان اصلاحي لجسمي واجباً فاصلاح نفسي لا محالة اوجب
وان كان ما يفنى الى النفس معجباً فان الذي يبقى الى العقل اعجب

وتوفي بمراكش سنة ٥٨١ هـ وحدثني الثقة انه بلغ سبعاً وسبعين سنة .

قال ابن ابي أصيبعة : مولده ومنشأه في اشبيلية وكان أديباً شاعراً حسن الشعر متميزاً في صناعة الطب محمود الطريقة وكان متفنناً خدم بطبه المنصور وكان مكيناً عنده وجيهاً في دولته . وكان ابن غلنده صاحب كتب كثيرة ، ويكتب بخطين اندلسيين وتوفى بمراكش ودفن بها . ،

١٠٩ ــ عبيد الله بن محمد المدحجي (*) ٥٢٨ـ٦١٢ هـ

عبيدالله بن محمد بن عبيدالله بن عبدالرحمن بن عبـدالله بن ابراهيم بن الوليد المدحجي من اهل باغة وسكن قرطبة ، ويكنى أبا الحسن .

أخذ عن أبيه القراءات والطب والادب كما أخذ عن كثيرين غيره . ثم اكمل الطب على ابي مروان عبدالملك بن محمد ، وكان حافظاً للقرآن كثير التلاوة له . أديباً ناظما ناثراً ماهراً في الطب وعليه المعول ، وله بعد حسن الضبط وهو بارع الخط . حدث عنه ابوالطيلسان ووصفه وحكى انه كان يروي الطب عن ابيه وابوه عن ابيه الى جدهم الوليد الاكبر ، وانهم كلهم كانوا اطباء وان الوليد هوالذي دخل الاندلس مع عبدالرحمن بن معاوية وهو كان مدبر علاجه . ثم قال : وتوفى يوم الثلاثاء ودفن يوم الاربعاء ١٤ ربيع الثاني سنة ٦١٢ وكان مولده سنة ٥٢٨ هـ

١١٠ - عبد الباسط الظاهري (*) ٨٤٤ هـ ...

عبدالباسط زين الدين بن خليل بن شاهين الظاهري ، ولد في رجب عام ٨٤٤ هـ

(*) معجم الاطباء .

(*) عن كتاب الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى للدكتور زكي محمد حسن .

وكان ابوه من امراء المماليك ، واعلام رجال الادارة في عصره ، ولكن ولده المترجم لم يتبع أباه . بل درس الفقه والادب والطب ، واشتغل بالتجارة والتأليف ومن آثاره (كتاب الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم) ، وقد قام برحلة طويلة فى بلاد المغرب للتجارة ، ودراسة الطب على اعلام الاطباء هناك . كما كان في كل رحلاته الطويلة يربح نفقات أسفاره من التجارة في العبيد والبضائع المصرية والمغربية ، وكان يجتمع بالفقهاء والعلماء لا سيما رجال الطب ، وكان ينظم الشعر ويكافأ على قصائده باعفائه من ضرائب التجارة ، من ذلك انه نظم قصيدة في مدح صاحب تلمسان . فكتب له ظهيراً بمسامحته في كل ما يتصرف من نوع المتجر ، وفي سنة ٨٦٤ انشد المتوكل على الله صاحب تونس بيتين فى مدح بني حفص وهما :

ألا يا آل حفص يا ملوك ... ويا درراً بهم نظمت سلوك

لقد فقتم ملوك الارض طراً ... فما من بعدكم أحد مليك

فأعجب المتوكل به وكتب له ظهيراً باعفائه من المغارم واللوازم فيما يتجر به . ولم يذكر صاحب كتاب الرحالة سنة وفاته .

١١١ — عبد الحسين بن المهدي الخليلي — ١٢٩٤ — ١٣٥٦ هـ

عبدالحسين بن المهدي بن الحسن بن الخليل بن علي الرازي الشهير نزيل الحلة الفيحاء .

ولد فى النجف الاشرف سنة ١٢٩٤ هـ ونشأ بها ، قرأ القرآن وشيئاً من النحو فيها ثم سافر مع والده الى الحلة وعمره ١٣ عاماً حيث كان والده هو الطبيب المنفرد فيها ، وبعد مدة قليلة رجع الى النجف فأكمل النحو ودرس المنطق والادب ، ولما بلغ مبالغ الفضل ، ونال مكانة سامية فى العلم والادب . غادر النجف مرة ثانية الى مقر والده ، وهناك درس على ابيه الطب ، ولازمه في العلاج طيلة حياته حتى نبغ واشتهر فى حسن العلاج ، وعرفته الحلة كما كانت تعرف أباه فى جودة

التشخيص والمداواة ، واصبح هو المرجع الوحيد لمعضلات الامراض ، تفد عليه المرضى من كل جانب فيرون عنده الأخلاق الفاضلة والعلاج الشافى العجيب .

وقد كان ذكيا فطنا حاد الذهن كثير الاصابة ، اديباً كاملا شاعراً كثير الحفظ سريعه ، دقيق الادراك حاضر النكتة ، يحفظ من الشعر العربي ونوادر أيام العرب واشعارهم الشيء الكثير ، حتى لا تكاد تمر عليه حادثة او نكتة الا وكان له عليها شاهد من شعرهم ونوادرهم .

وقد توفي فى الحلة سنة ١٣٥٦ هج بمرض الاستسقاء عن ٦٢ عاماً .

مؤلفاته

لم أجد له مؤلفاً خاصاً عدا بعض التعاليق على شرح ابن نفيس وحواش على القانون وارجوزة بديعة في النبض كاملة النظم غير مطبوعة . قال فى مطلعها :

الحمد لله العلي القادر	الخالق المحي المميت الناشر
فهو العليم والحكيم المطلق	وكل خلق بثناه ينطق
وأفضل الصلاة والسلام	على النبي اشرف الأنام
وآله الأطائب الكرام	على مرور الدهر والأعوام
وبعد فالعبد الحقير المفتقر	لرحمة الله الغني المقتـــدر
يقول وهو القاصر الكليل	عبـدالحسين جده الخليل
والده الهدي وابن الحسن	نجل الخليل النجفي المسكن
في الحلة الفيحاء قد أقاما	طبيبها حل بها اعواما
تقدمت لجدنا الكبير	ارجوزة(١)عزت عن النظير
يوصى بها اولاده بالمعرفه	وما يراه لهم خير صفه
احببت أن اجري على طريقته	واكمل المقصود من ارجوزته

الى ان يقول :

---

(١) يشير بهذا الى الارجوزة الطبيـة المتقدمة في ترجمـة جدنا الاعلى الخليل بن علي الرازي .

الطب علم منه قد كان الغرض ... معرفة الصحة منه والمرض
غايته الصحة للابدان ... موضوعه في بدن الانسان

ثم يذكر المزاج والاعضاء والقوى ثم المقولات العشر على رأي قدماء الحكماء ومنها :

حركة الكيف هي استحاله ... للجسم من حالته لحاله

ويقول في مقولة الكم :

حركة الكم لديهم تحصل ... في اربع تكاثف تخلخل
ثم نمو بعده ذبول ... والشرح والتفصيل فيه طول

وبعد هذا يبتدىء في النبض فيقول :

حركة النبض أتت وضعيه ... وقيل قولا انها أينيه

الى آخر الأرجوزة على هذا المنوال السهل الممتنع بديع المعاني متين المباني وكلها موجودة عند ولده محمد بن عبد الحسين فى الحلة .

ادبه وشعره

لقد كان رحمه الله مع محله العظيم فى النفوس وفضله المعروف خفيف الروح لطيف المحضر فكه الحديث لا تكاد تمل مجالسته لعذوبة منطقه وسحر بيانه ، وقد نشأ بين الحلة والنجف وهما مهدا العلم والأدب . فكان بطبيعة الحال أديباً شاعراً وفاضلا أريحياً ينظم الشعر الجيد ويجيد فى اكثره . فمن نظمه ما قاله معاتباً أحدهم :

يا من أقام على الجفاء وما درى ... نار الغرام لهيبها فى أضلعي
أمن المروءة مذ رحلت تركتني ... حيران لا روحي ولا قلبي معي
فسلبت من عيني الكرى يا جعفر ... ورحلت لم تعطف على المتوجع
قد كنت ارتقب الوداع اذ اللقا ... لم أحظ فيه من المحب المدعي
أسفاً رأيتك معرضاً عني لدى ... الحالين لم تعبأ بقلب مفجع

كيف ابتعدت وأنت أقرب أسرتي ... ان كنت في ودّ الاقارب تدعي

وله من قصيدة ارسلها إلي معزيًا بوفاة والدي :

اني برزء ابي الخليل كئيب ... دمعي يسيل وفى حشاي لهيب
فافقده الأجفان فارقت الكرى ... وخياله عنهن ليس يغيب
صبري وفكري نافذ وموله ... والدمع من عيني عليه سكوب
والقلب مجروح لعظم مصابه ... حزنًا وفي وسط الفؤاد ندوب
ما كنت أحسب قبل هذا انه ... بدر السما تحت الثرى محجوب
فقروح جفني ليس تبرأ بعده ... وجروح قلبي مالهن طبيب
والنوم بعد أبي محمد ذاهب ... والعيش لا يهنا وليس يطيب
لا ضير من موتي أسى من بعده ... لكن عيشي والحياة عجيب

ثم يقول منها :

أمحمد صبراً على دهر وان ... صبت عليك مصائب و كروب
أنت الصبور وأنت خير بقية ... ولأنت يابن الأكرمين أديب
يا سلوتي في أسرتي دم سالمًا ... فلانت لي بين الأنام حبيب

وله شعر كثير لم يجمع ، ولو جمع لكان ديوانًا .

١١٢ — عبد الرحيم بن علي الدخوار (*) ٠٠٠ — ٦٢٨ هجـ

عبدالرحيم (١) بن علي بن حامد ابو محمد مهذب الدين الطبيب الاديب المعروف بالدخوار .

كان في صناعة الطب بحيث انتهت اليه الرئاسة الطبية واعترف بفضله وعلمه وتقدمه الخاص والعام والقريب والبعيد ، وقد نال بصناعته المال الجزيل والجاه الخطير ، وكان معززاً محترماً حتى وفاته ، وقد كان قبل أن يدرس الطب ويشتهر

(*) عيون الانباء (١) وقيل عبدالرحمن .

به كحالا مثل أبيه علي وأخيه حامد بن علي ، ولكنه سار الى أن وصل إلى ما لم يصلا اليه من المنزلة والجاه عند الملوك .

تلمذ في الطب اولا على الطبيب الشيخ رضي الدين الرحبي ، ثم على موفق الدين ابن مطران ولازمه ملازمة طويلة . حتى كان يصحبه فى حضره وسفره . ثم قرأ على فخر الدين الماردينى مدة فى قانون ابن سينا ، وحضر العربية على الكندي .

برع في الطب واشتهرت علاجاته فخدم بها الملك الكامل ابن الملك العادل ووزيره الصاحب صفى الدين ابن شكر . ثم ولى رئاسة الطب في مصر والشام ، وبقى بعد وفاة الملك بالشام . ثم ولاه الملك المعظم بن الملك الكامل رئاسة المارستان هناك وتدبيره . فأقام فيه واشتغل بالتدريس في الطب ، واجتمع اليه جماعة كبيرة من أكابر الأطباء للقراءة عليه والاستفادة منه .

قال ابن ابي اصيبعة : وقد حضرت أنا عليه في كتب (جالينوس) ولازمته حتى في معالجاته في المارستان ، وقد كان مع رئاسته في الطب ملازماً للسيف الآمدي الطبيب حتى حصل معظم مصنفاته . ثم نظر في الهيئة والنجوم فبرع فيهما ثم طلبه الأشرف فتوجه اليه فأقطعه ما يغلّ في السنة الف وخمسمائة دينار . كما اتفق أن مرض الكامل فعالجه فبرىء وحصل من أجل ذلك ١٢٠٠ دينار مع اربعة عشر بغلة بأطواق من الذهب مع خلع سنية .

معالجاته

كان ابن دخوار حسن المعالجة دقيق النظر صائب الحدس . له في معالجاته ما يشبه السحر مما يعجز عنه فكر غيره من أقرانه ، وأمثال هذه المعالجات هي التي قربته من قلب السلطان ومنحته لديه محلا منيعاً .

قال ابن ابي اصيبعة : ورأيته يوماً وقد أتي اليه بمحموم بحمى محترقة وقواريره في غاية الحدة فأمر بأن يفرك له في قدح مقداراً من الكافور عينه هو في نظره وأمره بأن يشربه ولا يستعمل غيره ، ولما جاء من الغد وجدناه وقد انحطت

حرارته وقلت الحمى وعدمت قارورته الحدة ، وأمر لمريض في المارستان كان قد أصيب بمرض (مانيا) وهو الجنون السبعي . ان يضاف الى ماء شعيره مقداراً متوفراً من الافيون فصلح حاله ، وزال ما كان به من المرض ، ومنها : انا كنا ذات يوم في قاعة المارستان ، وقد وقف الأطباء كلهم ، وهو معهم على مريض ليفحصوه . فجس الأطباء كلهم نبضه وحكموا بشدة ضعفه . ثم تقدم هو وجس نبض اليد اليمنى ثم اليسرى ثم التفت الى الأطباء وقال لهم جسوا نبض اليمنى فجسوه واذا به قوي ثم قال جسوا اليسري فجسوها واذا بنبضها ضعيف من جانب الكوع قوي فيما عداه فتعجبوا فقال لهم : ان من الناس من يكون نبضه هكذا وهو طبيعي فيشتبه على الطبيب حاله اذا لم يتحقق اليدين معاً .

ومنها انه كان مع جماعة من الأطباء على باب دار السلطان فخرج لهم الخادم ومعه قارورة فنظر اليها الأطباء ووضعوا لصاحبها الدواء . اما هو فقد انكر ذلك العلاج وقال ليس هذا الذي ترونه داء ، ويوشك أن يكون ماء حناء . فاعترف الخادم لهم وخجل الأطباء ، وزادت ثقة السلطان به ، وله امثال ذلك الشيء الكثير .

وفي اواخر أيامه ثقل لسانه فكان لا يمكنه افهام تلامذته ومرضاه ، وبقي مدة يكتب جواب من يسأله عن شيء ، وعالج بالأدوية الحارة فعرضت له حمى ، وتوالت عليه الامراض حتى توفى سنة ٦٢٨ هـ .

وقد ذكروا في صفاته انه كان اعرجاً ، ولكنه قوي البدن كريم النفس يحب الخير لكل احد ، ويخدم النوع بكل ما لديه من حول وطول ، وقد وقف داره لتكون بعده مدرسة طبية وهكذا كانت بعده ، وزاد على ذلك فوقف لها ضياعا يصرف نتاجها عليها ، ووصى ان يكون المدرس فيها الطبيب الشهير شرف الدين بن علي الرحبي ، وهو ابن استاذه ومدرسه الشيخ رضي الدين ابن الرحبي لما كان يرى فيه من الكفاءة واللياقة ومكافأة لأستاذه ابيه .

وقد خلف بعده في الرئاسة والتدريس الشيخ الحكيم بدر الدين بن المظفر ابن قاضي بعلبك .

وقد رثاه بعد موته كثير من الشعراء والأدباء وكلهم كانوا يرون انه مستحق لذلك حتى الشعراء الذين كانوا قد هجوه في حياته حسـداً منهم له لمكانته عند السلطان منهم ابن خروف الذي هجاه في حياته بقوله :

لا ترجون من الدخوار منفعة ⁂ ولو شفى علتيه العجب والعرجا
طبيّب (١) ان رأى المطبوب طلعته ⁂ لا يرتجي صحة منه ولا فرجا
اذا تأمل في دستوره سحراً ⁂ وقال أين فلان قيل قد درجا
فشربة دخلت مما يركبـه ⁂ جسم العليل وروح منه قد خرجا

وهو القائل ايضاً فيه :

طبع المهذب طبه ⁂ سيفاً وصال على المهج
باب السلامة لا يرى ⁂ منه ولا باب الفرج

وهو القائل فيه وقيل غيره :

ان الأعيرج حاز الطب أجمعه ⁂ أستغفر الله إلا العلم والعملا
وليس يجهل شيئاً من غوامضه ⁂ إلا الدلائل والأمراض والعللا
في حيلة البرء قلت عنده حيل ⁂ بعد اجتهاد ويدري للردى حيلا
الروح تشكو لجثمان العليل على ⁂ علاته فاذا ما طبـه رحلا

مؤلفاته

ان للدخوار مؤلفات كثيرة ومصنفات جمة . نذكر اشهرها بين الاطباء ، وهي اختصار الحاوي للرازي ، واختصار الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، ومقالة في الاستفراغ وكتاب الجنينة في الطب ، وكتاب الرد على ابن ابي صادق لمسائل حنين ، ومقالة في الرد على رسالة ابي الحجاج يوسف الاسرائيلي في الاغذية اللطيفة والكثيفة ، وغيرها .

---

(١) طبيّب تصغير طبيب .

أدبه وشعره

ان لمهذب الدين شعراً بديعـاً ونظما رقيقاً يجعله في مصاف الادباء والشعراء المعدودين . غير أنه مقل لانشغاله بالعلم والعمل ، ولان توجهه في التدريس اكثر من توجهه الى ناحية الادب ونظم الشعر ، ولاجل ذلك فانا لم نعثر له إلا على هـذه الابيات الثلاثة ؛ وكان قد كتبها إلى صديق له قد مرض ؛ وقيل انه كان رشيدالدين ابن خليفة عم الطبيب المؤرخ الشهير ابن ابي اصيبعة وهي قوله :

يا من أؤمله لكل ملمة — وأخاف انحدثت له اغراض
حوشيت من مرض تعادلأجله — وبقيت ما بقيت لنا اغراض
انا نعدك جوهراً في عصرنا — وسواك ان عدوا فهم اعراض

١١٣ — عبدالرحمن بن علي ابوالفرج بن الجوزي (*)

٥٠٨ — ٥٩٧ هج

عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله بن عبدالله بن حمادي بن احمد ابن محمد بن جعفر بن عبدالله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبـدالله ابن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق عبدالله بن ابي قحافة . العلامة جمال الدين ابوالفرج ابن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي . صـاحب التصانيف المشهورة في انواع العلوم . من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ والطب وغير ذلك . ولد تقريباً سنة ٥٠٨ أو سنة ٥١٠ هج وعرف جدهم بالجوزي لجوزة كانت في داره بواسط ، ولم يكن بواسط جوزة سواها (١) . وكان واعظاً بليغ الوعظ ، عظيم الاثر في النفوس ، وهو الذي سئل في مجلس وعظه ، ايما افضل ، علي أم ابو بكر ؟ فقال افضلهما من كانت ابنته تحته . ثم ذكر له عن العماد في الخريدة قوله :

(*) وفيات الاعيان وغيره ، وقد اجملنا ترجمتة (١) وقيل نسبة الى فرضة الجوز وهو موضع مشهور .

يودّ حسودي أن يرى لي زلة ... اذا ما رأى الزلات جاءت اكاذيب
أرد على خصمي وليس بقادر ... على ردّ قولي فهو موت وتعذيب
ترى أوجه الحساد صفراً لرؤيتي ... فان فهت عادت وهي سود غرابيب

قال ، وقال ايضاً :

يا صاحبي ان كنت لي أو معي ... فعج إلى وادي الحمى نرتع
وسل عن الوادي وسـكانه ... وانشد فؤادي في ربى لعلع
حيّ كثيب الرسل رسل الحمى ... وقف وسلم لي على المجمع
واسمع حديثاً قد روته الصبا ... تسنده عن بانة الأجرع
وابك فما في العين من فضلة ... ونب فدتك النفس عن مدمعي
رفقاً بنضو قد براه الأسى ... يا عاذلي لو كان قلبي معي
لهفي على طيب ليال خلت ... عودي تعودي مدنفاً قد نعي

وفي اواخر عمره وشي عليه لدى الخليفة فاعتقله وأرسله الى واسط وحبس فيها خمس سنين . وكان عمره اذ ذاك ثمانين سنة ، وتوفي ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٥٩٧ . ودفن في مقبرة باب حرب (١) وأوصى أن يكتب على قبره :

يا كثير الصفح عمن ... كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو العفو ... عن جرم يديـه
أنا ضيف وجزاء الضيف ... احسان اليه

قال الموفق عبداللطيف : « كان ابن الجوزي لطيف الصورة حلو الشمائل ، رخيم النغمة ، موزون الحركات والنغمات ، لذيذ المفاكهة يحضر مجلسه مائة الف أو يزيدون ، لا يضيع من زمانه شيئاً ، وله في كل علم مشاركة ولكنه في التفسير من الاعيان ، وفي الحديث من الحفاظ ، وفي التواريخ من المتوسعين ، ولديه فقه

(١) كما ذكره ابن خلكان .

كاف ، وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية ، ان ارتجل أجاد ، وان روى أبدع . وله في الطب كتاب اللغط مجلدان . وكان يراعي حفظ صحته ، وتلطيف مزاجه ، وما يفيد عقله قوة ، وذهنه حدة اكثر مما يراعي قوة بدنه ، ونيل لذته . جل غذائه الفراريج والمزورات(١) ، ويعتاض عن الفاكهة بالاشربة والمعجونات . ولباسه أفضل لباس ، الأبيض الناعم الطيب . ونشأ يتيما على العفاف والصلاح . له ذهن وقاد ، وجواب حاضر ، ومجون لطيف ، ومداعبات حلوة ، وسيرته في منزله المواظبة على القراءة والكتابة .

١١٤ — عبدالعزيز بن مسلمة الباجي (*)

عبدالعزيز بن مسلمة الباجي ، اصله من باجة الغرب ، وكان من اعيان اهل الأندلس وأجلائها ويعرف بابن الحفيد ، وكان فاضلا في صناعة الطب متميزاً في الأدب ، وله شعر جيد ، وكان تلميذ المصدوم الطبيب الشهير (وسوف نذكره في حرف الميم) وقد خدم بالطب الخليفة المستظهر وتوفي في دولته بمراكش .

ولم يذكر له ابن ابي اصيبعة شعراً ولا ولادة ولا وفاة .

١١٥ — عبدالفتاح بن مغيزل (*) ١١٢٢ - ١١٩٥ هج

عبدالفتاح بن مغيزل بن مصطفى بن عبدالباقي بن عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن مغيزل الدمشقي . الفاضل الأديب البارع الطبيب الماهر . كان له في الأدب وفنونه الوقوف التام ، مع مهارة في علم الطب والحكمة ، وكان دمث الأخلاق ، حسن العشرة ، طيب المذاكرة ، قد سلم الناس من يده ولسانه ، وكان لا يعنى بما لا يعنيه ، ولا يشغل نفسه بشيء من المذلة يدنيه . ولد بدمشق سنة ١١٢٢ كما اخبر عن نفسه ، واشتغل بالعلم بعد ان تأهل له . فقرأ على جده السيد عبدالباقي

---

(١) المزورة : معربتها الشوربا ؛ (*) عيون الانباء لابن ابي اصيبعه ج ٢ ص ٧٩ (*) دائرة معارف البستاني ومعجم الأطباء .

وجماعة من افاضل وقته خصوصاً على الأستاذين العلامتين الشيخ عبدالغني النابلسي والشيخ مصطفى الصديقي ، وفي اواخر عمره لازم الشيخ عمر البغدادي نزيل دمشق ، وكان يكثر التردد على بني حمزة النقباء بدمشق وهو من خواصهم ، وكان في الطب يراجع ويعالج المرضى . وفي آخر امره حصل له داء المفاصل فنكد عيشه وأعله وأضناه ، ولم يزل مرضه يزداد الى ان مات سنة ١١٩٥ هـ ودفن بتربة الذهبية في مرج الدحداح ولم يعقب إلا بناتاً .

ادبه وشعره

قال البستاني في دائرة معارفه ج ١١ ص ٦١٤ كان اديباً بارعا وقد تعاطى فن الطب وله شعر رائق منه قوله :

وروض بهيج قد تفتق نوره كسته يد التدبيج احسن ملبس
بأحمر منثور وأزرق سوسن وأخضر ريحان وأصفر نرجس

وقال أيضاً :

وربّ ليل بدرّ الغيث جاد لنا وقد كسى حلة التدبيج للافق
فأبيض البرق وضاح بأسوده وأزرق الغيم غطى أحمر الشفق

١١٦ — عبدالقادر بن شقرون (*)

عبدالقادر ابن العربي المنبهي المعروف بابن شقرون المكناسي ، فقيه نحوي اديب اريب لغوي ، حكيم طبيب خير فاضل علامة مشارك كامل مدرس نفاع ، رحل إلى الحج وزيارة قبر النبي (ص) ودخل الاسكندرية وغيرها من البلاد ، وأفاد واستفاد .

قال ابو عبدالله ابن الطيب الشريف العلمي في حقه في كتابه (انيس المطرب) ما نصه : شاعر مصيب ، رتع في البلاغة بمرعى خصيب ، وأحرز من الديانة أوفر

(*) معجم الاطباء ص ٢٧١ .

نصيب ، ودخل بيوت العربية من اوضح المسالك ، وطرّز في حديث السنن نحو ابن مالك بفقه مالك ، واختار الوحدة ، وانفرد بالخمول وحده ، ورغب عن الولدان واعتزل الاخوان والأخدان ، وضم إلى علم الأديان علم الأبدان فركب الادوية ، وانتشرت له بين الحكماء أي الوية وعرف الامراض وأرسل سهام الرقي فأصابت الأغراض .

ثم ذكر له الشريف كلاماً طويلا فى الفقه والطب وغيره مما لا محل لذكره هنا . اخذ بفاس عن جماعة ، وتلمذ فى الطب على الطبيب الشهير ابي العباس احمد ابن الطبيب ابي عبدالله محمد بن ادراق ، واخذ بمكناسة الزيتون عن جماعة ايضاً وأكمل الطب على الطبيب الماهر ابراهيم بن القائد علي الطبيب الاندلسي ، وأخذ في مصر عن الشيخ احمدالزيداني مسائل كثيرة من كتاب ابن نفيس الذي اختصر القانون وشيئاً وافياً من كتاب الارشاد لابن جميع .

وقد اخذ عنه كثيرون ، وله شعر كثير وقصائد فى مدح النبي (ص) ولم يذكر له الدكتور احمد عيسى في معجمه شعراً ، كما انا لم نعثر على شيء من ذلك في غير هذا المكان .

مؤلفاته

له مؤلفات نذكر لك ما رأينا ذكرها فى كتب التراجم وهي :

شرحه لكتاب المكودي مع البسط والتعريف ، وارجوزة في الطب تعرف بالشقرونية ، نظمها باشارة من أبي المعالي الصالح بن المعطى الشرقاوي العمري ، لماقدم على مكناسة الزيتون عام ١١١٣ هج فطلب من المترجم له فى ابيات رجزية ، ان يقيد له في الطب ارجوزة تتضمن مسائل مخصوصة منه عينها الشيخ المذكور في أبياته المذكورة .

ولم نقف على تاريخ وفاته غير انا علمنا انه كان حياً يرزق سنة ١١٤٠ هج .

١١٧ ـ عبدالمنعم الجلياني حكيم الزمان (*) ٥٣١ـ٦٠٤ هـ

عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله بن احمد بن خضر بن مالك بن حسان ابوالفضل حكيم الزمان الأندلسي الغساني الجلياني .

ولد في الاندلس سنة ٥٣١ وتوفي سنة ٦٠٤ وفي دائرة معارف البستاني سنة ٦٠٣ كان طبيباً حاذقاً وكحالا ماهراً وأديباً فاضلا ، له معرفة بعلم الباطن ، وكلام على طريقة القوم ، وكان مليح السمت حسن الاخلاق .

رحل من الاندلس فدخل بغداد ثم غادرها الى الشام ، وبقي فيها حتى توفي .

قال ابن ابي أصيبعة : كان علامة زمانه فى صناعة الطب والكحل واعمالها ، بارعا في الأدب وصناعة الشعر له حانوت فى اللبادين في دمشق لصناعة الطب ، وكان السلطان صلاح الدين يعظمه ويحترمه وله فيه مدائح كثيرة ، وكان يعاني صناعة الكيمياء ايضاً ، وله عشرة دواوين في اغراض شتى مختلفة .

خاف ولداً اسمه عبدالمؤمن بن عبدالمنعم ، وكان كحالا ، ويقول الشعر ايضاً (١) وقد خدم ولده هذا بصناعة الكحل الملك الأشرف أبا الفتح موسى ابن الملك العادل ، وتوفي بمدينة الرها .

مؤلفاته

ان تصانيف الحكيم كثيرة نذكر أشهرها ، وهي : كتاب مسارح المادح وكتاب روضة المفاخر والمآثر فى خصائص الملك الناصر ، وكتاب جامع انماط السائل فى العروض والخطب والمسائل ، وتعاليق فى الطب ، وكتاب صفات الأدوية قال الأستاذ فريد وجدي فى دائرة معارف القرن العشرين : ان كل مؤلفات

(*) دائرة معارف البستاني ، ودائرة المعارف لفريد وجدي ، وعيون الانباء (١) لم نعثر على ترجمته .

حكيم الزمان كانت فى الادب ، مثل ديوان الحكم وميدان الكلم ، وديوان أدب السلوك ، وديوان المشوقات إلى الملأ الأعلى ، ونوادر الوحي .

ادبه وشعره

أما أدبه وشعره فهو لا يحتاج إلى إطراء أو بيان ، لشهرته بين الأوساط الأدبية ، ويكفيك دواوينه المذكورة آنفاً ، وهاك نبذة من شعره دلالة على أدبه وكماله .

فمن ذلك قصيدته الشهيرة (بالتحفة الجوهرية) في مدح الملك صلاح الدين ، عند محاصرته الافرنج فى (عكا) . يقول في مطلعها :

رفاهية الشهم اقتحام العظائم　　طلاباً لعز أو غلاباً لغانم

الى آخرها وهي طويلة .

ومن بديع نظمه قوله :

كليني لمتن الخيل يا أم مالك　　فما الأمن إلا في متون الصواهل
فبحر الوغى لولا السوابح صادرت　　بنا لجة لم نحظ منها بساحل
فلا تخطبي ياهند لي غادة سبت　　بنطق وشاح او بصمت خلاخل
فليست ذيول فوق حجل تروقني　　ولكن خيول تحت سحب قماطل
فلا هلك إلا في نحور نواهد　　ولا ملك الا في صدور عوامل
ولا ملك يأتي كيوسف آخر　　كما لم يجيء مثل له في الأوائل
فتى ركب الأهوال خيلا سروجها　　عزائم شدت للثبات بكاهل

ومن حكمه قوله :

وأبخس شيء حكمة عند جاهل　　وأهون شيء فاضل عند ظالم
فلو زفت الحسناء للذئب لم يكن　　يرى قربها إلا لأكل المعاصم

وله قوله :

بذلت وقتاً للطب كيلا　　القى بني الملك بالسؤال

فكان وجه الصواب في أن … أصون نفسي بالاعتزال
لا بد للجسم من قوام … فخذه من جانب اعتدال
واقرب من العز باتضاع … واهرب من الذل في المعالي

وقال أيضاً :

قالوا نرى نفراً عند الملوك سموا … وما لهم همة تسمو ولا ورع
وأنت ذو همة في الفضل عالية … فلم ظمئت وهم في الجاه قد كرعوا؟
فقلت باعوا نفوساً واشتروا ثمناً … وصنت نفسي فلم أخضع كما خضعوا
قد يكرم المرء اعجاباً بخسته … وقد يهان لفرط النخوة السبع

ومن بديع نظمه قوله :

اقبل ذو دولة فقالوا … لمثل ذا فاتخذ ملاذا
فقلت للحاضرين حولي … أجائز أن يموت هذا ؟
قالوا نعم قلت فهو طل … يعطش من ظنه رذاذا
قد ذل من لاذ بالفواني … وعز من بالقديم لاذا

وقال :

من لم يسل عنك فلا تسألن … عنه وان كان عزيز النصر
وكن فتى لم تدعه حاجة … إلى امتهان النفس إلا نفر

وله أيضاً قوله :

أؤمل لقياكم وان شطت النوى … وازجر قرباً في مرور السوانح
ويذكي اشتياقي زند تذكار عهدكم … وما الشوق الا بعض نار الجوانح

١١٨ — عبد المجيد الزبادي (*) ... — ١١٦٣ هـ

عبد المجيد الزبادي (١) ابو محمد من رهط ينتسبون للشرف بفاس .

(*) عن معجم الاطباء عن نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري .

(١) بزاي فباء موحدة مخففة فألف فدال بياء النسبة .

كان له مهارة في علم اللغة والعروض ، وشارك في النحو والبيان والتصوف والحديث ، وكان له مهارة في الطب والعلاج ، وكان له اخلاق متسعة حسنة جداً ، ينظم الشعر وله قصائد كثيرة .

أخذ عن الشيخ الوجاري ، وشيخنا ابي عبدالله الجندور وابي عبدالله محمد بن قاسم جشوس ، وابي عبدالله محمد بن عبدالسلام بناني وابي العباس ابن المبارك ، ولقي أبا العباس احمد السوسي وصافحه بالسند .

توفي ثاني عشر شعبان عام ١١٦٣ هج .

ولم يذكر له شعراً ولا تأليفاً .

١١٩ — الحكيم عبدالوهاب النيسابوري (*)

هو صاحب منصب في الفلسفة ، ومن شعره قوله :

اهدى الى الصب الجوى بصدوده ... ريم يروم الحسن بعض جنوده
إياك عذل المستهام ولا تكن ... ممن يطيل القول في تفنيده
جازى السيادة والشباب بغاية ... والعمر في اقباله ومزيده
الفضل دار وهو عامر ربعها ... والحمد شخص وهو حبل وريده
ما كان نيسابور لولا عدله ... إلا غزالا بين فكي سيده

ولم يذكر عام وفاته ، ولا شيئاً اكثر مما ذكر من ترجمته .

١٢٠ — عبدالوهاب بن سحنون (*) ٦١٩ - ٦٩٤ هج

عبدالوهاب بن احمد بن سحنون الحكيم الملقب بمجدالدين خطيب النيرب ، خطيب مصقع مشهور ، وطبيب نطاسي معروف وشاعر اديب كامل ، روى عن

(*) عن معجم الاطباء وهو عن تمام صوان الحكمة .

(*) فوات الوفيات ، ومعجم الاطباء .

خطيب مرداء له شعر وادب وفضائل ، وكان من فضلاء الحنفية درس بالدماغية وعاش خمساً وسبعين سنة وكان يتولى طبابة مارستان الجبل وتوفي في شوال سنة ٦٩٤ هـ .

ومن شعره قوله :

لا تجزعن فما طول الحياة سوى ... روح تردد في سجن من البدن
ولا يهولنك أمر الموت تكرهه ... فانما موتنا عود الى الوطن

وقال وقد هدى نرجساً لاحد اصحابه :

لما تحجبت عن عيني وارقني ... بعدي ولم تحظ عيني منك بالنظر
ارسلت مشبهها من نرجس عطر ... كيما اراك بأحداق من الزهر

وله في الورد ايضاً :

وورد ابيض قد زاد حسناً ... فعند الصد للخجل احمرار
يمثله النـــديم اذا رآه ... مداهن فضة فيها نضار

وله في النيلوفر قوله :

يا حسنه نيلوفراً في مائه ... طاف وفي الاحشاء نار تسعر
تحكى أنامل غادة مضمونة ... جمعت وزينها خضاب اخضر

١٢١ — عبدالوهاب ادراق (*) ٠٠٠ — ١١٥٩ هـ

عبدالوهاب بن احمد ادراق خاتمة الحكماء جليل القدر رفيع الذكر محبوب العام والخاص جهينة الزمان ويتيمة الاوان فقيه عالم وطبيب ماهر واديب ناظم ناثر ، له معرفة بالنحو واللغة والشعر ، انتهت اليه في زمانه الرئاسة في فن الطب . فكان لا يجارى فيه ولا يبارى مع لطف وجاه ، تقف الوزراء فما دونهم ببابه وقوف المماليك بأبواب الملوك ، وكان الطبيب الخاص لدى الجلالة الاسماعيلية وكذلك لدى ولده ابي محمد عبدالله ، وكانت له مكانة عظيمة لديهما بحيث لا ترد شفاعته ، ولا تهمل اشارته .

(*) معجم الاطباء ، وهو عن نشر المثاني .

نوادره الطبية

كان له في الطب استنباط يحق لبقراط وابن سينا أن يخضعا له ، وله فيه نظام ونظم لاسيما في العشب بأنواعه والفواكه وخواصها ومنافعها ما لو جمع لكان ديوانًا نافعًا ، وسيمر عليك نزر منه في شعره .

ومن نوادره وذكائه : ان شخصين أرادا ان يختبراه في الطب وكانت طريقته في العلاج ان من كان عنده مريض يأتيه عند الصباح بزجاجة فيها بوله ويقال لها (المهراقة) . فعمد احدهما الى بول كبش سمين وجعله في زجاجة وعمد الآخر إلى سقف قديم تنزل منه القطرة وجعل ماء القطرة في زجاجة اخرى ثم اختلطا في الناس فجعل الطبيب ينظر في كل زجاجة ويصف لمريضها الدواء حتى وصل إلى صاحب الكبش فجعله في ناحية ، ثم وصل لصاحب السقف فجعله في ناحية اخرى حتى فرغ من أمور الناس فقال لصاحب الكبش : هذا غلب عليه الشحم ان لم تذبحه عن قريب مات ، وقال لصاحب السقف : اجعل لهذا حريرة والا سقط ، ثم قبضهما واراد أن يذهب بهما الى الحاكم ثم عفا عنهما .

ومنها : انه كان يمر على رأس الشراطين فيجد انسانًا في طراز ينشد الشعر بصوت حسن فكان يقف لاستماع صوته ، ومرّ به ذات يوم فسمع صوته وقد تغير فصعد الى الطراز وطلب الآنية التي يشرب منها فوجدها برادّة فكسرها واذا فيها وزغة . فقال هذه هي التي غيرت صوته .

إلى غير ذلك من العجائب الفنية والذكاء المفرط الدالة على معرفته الكاملة .

مؤلفاته

له عدة مؤلفات . منها تعليق على (النزهة) للشيخ داود الانطاكي ، وارجوزة ذيل بها ارجوزة ابن سينا في الطب ، وارجوزة في حب الافرنج المعروف لدى العامة (بالنوار) ، ورسالة هزّ السمهري فيما نفى عيب الجدري ردّ بها على من

يقول انه ليس من عيوب الرقيق ؛ ومنظومة في مدح صالحي مكناسة الزيتون ، وغير ذلك .

ادبه وشعره

ليس من المستحسن الاطراء على من طار صيته وطبق الارجاء ادبه وشعره ، اذ هو من قبيل تحصيل حاصل او توضيح واضح ، ولكنا نذكر نبذة من شعره كيلا يخلو منه الكتاب . فمن ذلك ارجوزته الجميلة في الكبر ومنافعه .

افضل شيء للتداوي يوكل — الكبر المملح المخلل
فطبعه الحر وقيل البرد — والحر اشهر على ما يبدو
وقيل بل بحسب الاقاليم — حراً وبرداً عن ذوي التعاليم
مسخن للمعدة المبرودة — مفتح للكبد المسدودة
يفتت الحصى وللبول يدر — وفي الطحال سره امر شهر
منبه لشهوة الغذاء — بعد سقوطها بلا ايذاء
ويخرج الخام من المفاصل — ان حلها من خارج وداخل
ويطرد الرياح والسموما — يبرؤها والبهق المذموما
ويبرىء القروح والاسنانا — يعيدها قوتها استنانا
ويجبر الكسر وما ضاهاه — من هتك او من وهن حواه
كذا يحل كل صلب من ورم — وشبهه وفي الخنازير أتم
ويخرج الديدان عن قريب — ولو من الاذن على تجريب
وهذه الخصائص المذكورة — لقشر اصله ترى مذكورة
والكبر الحائز كل فخر — ما كان منه نابت في الصخر

توفي عن سن عالية يوم ٢٨ صفر عام ١١٥٩ هج ودفن بالقليعة بفاس داخل قبة سيدي محمد بن الطالب قرب سيدي ابي غالب .

١٣٢ — عتيق بن تمام ابن ابي لبون (*) ...

عتيق بن تمام ابن ابي لبون الأزدي المكنى بأبي بكر ، طبيب أبرء الاسقام وحاز من الفضل أوفر الأقسام ، جرى فى طلق الوفا ، وجرب منه مطلق الشفا ، هذا وهو شاعر لايذعر له جنان ، ولا يشعر إلا وفي فيه سنان يبعث سمام الارقم ، ويجرّع الحمام فى كأس العلقم .

قال ابن رشيق : غلب عليه اسم الطب فعرف به لحذقه فيه ومكان ابيه منه ، وهو شاعر حاذق ، مفتوق اللسان ، حاضر الجواب ، لم أر قط اسهل من الشعر عليه ، يكاد لا يتكلم الأبه ، وكان اكثر تأدبه في الأندلس ، لقي بها ناساً وملوكا واخذ الجوائز ، ونازع فحول الشعراء ، ومما انشده قوله :

ولم أنسها كالشمس اسبل فوقها ... من الشعر الوحف الاثيث عذوق (١)
فلو ذاب ذا او سال جريال (٢) خدها ... جرى سيّح منها وسال عقيق
فمت تسترح ياقلب ان كنت عاشقاً ... فانك فيها بالممات خليق
ومن لم يمت في اثر الف مودع ... فليس له بالعاشقين لحوق

ومن نظمه قوله :

تركت اهلي واوطاني لقصد فتى ... يداه اخصب من اهلي ومن وطني
علي الماجد الحر الجواد ومن ... في حزمه جمع الاشتات للحسن
ومن اذا استمطر العافون راحته ... سقتهم فوق سقي الوابل الهتن
ومن حوى رتباً لم يحوها بشر ... الا الذمي والدوه معدن المنن
والفرع عن جده ينمى ومحتده ... والخير والشر مشروبان في اللبن

(*) معجم الاطباء عن مسالك الابصار (١) الوحف : الشعر الاسود الحسن . والاثيث : الكثير العظيم . والعذوق : جمع عذق وهو عنقود العنب وقنو النخلة (١) الجريال : الخمرة او لونها .

تجري النجابة طبعاً في شمائله والمجد والبشر جري الماء في الغصن

وله ايضاً قوله :

يا قائداً ما مثله قائد يشكره القائم والقاعد
وواحداً ما ان له مشبه وماجد ما مثله ماجد
ان قلت كالبحر عطاء فان البحر لا يشكره الوارد
أو قلت كالقطر سماحاً فان القطر مع كثرته نافد
او قلت كالبدر فقد ينقص البدر وهذا ابداً زائد
هذا علي واحد للعلا اوجده في عصره الواحد
أنا الفتى الشاكر احسانه والله فيما قلته شاهد

١٢٣ — عثمان بن ناجية الطائي (*) ٦٦٢ - ٧٣٩ هج

عثمان بن علي بن عمر بن اسماعيل بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب بن علي ابن عبدالله بن ناجية الطائي الحلبي .

ولد كما ذكره ابن حجر عن الصفدي في شهر ربيع الاول سنة ٦٦٢ هج ، وتدرج في القراءة والدرس مدة طويلة حتى مهر في الفنون ، وكان يدرّس كل من قصده في أي كتاب أراد ، وأي علم طلب ، ولم يرى الناس له في ذلك نظيراً ، فكان يدرّس في الفروع والاصول الفقهية ، والقراءات وانواع الحساب والعربية والحكمة والطب وغير ذلك .

حضر (الحاوي) علي تاج الدين محمد بن احمد الآمدي ، ومن شيوخه في العلوم نجم الدين ابن مكي ، وشمس الدين بن بهرام .

وبالجملة فقد كان اماماً عالماً في الفقه والأصول حكيما فيلسوفاً مشاراً اليه بالبنان في الحكمة والطب وسائر الفنون ، كما كان مرجعاً لعلماء عصره فيها ، وفي اواخر

(*) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني .

ايامه ولي القضاء في حلب بعد الشيخ شمس الدين ابن النقيب ثم طلبه السلطان ، الى القاهرة ، ولما مثل بين يدي السلطان هو وولده بدر من الملك كلام اغلظ له فيه فرجع مرعوباً . فمرض هو وولده وماتا جميعاً في مارستان المنصوري سنة ٧٣٩ هج ودفن بصوفيا .

مؤلفاته

مؤلفاته على ما نقلوا كثيرة ، نذكر منها ما وجدناه ، وهي شرح التعجيز ، وشرح الشامل الصغير ، وشرح المختصر لابن الحاجب ، وشرح البديع لابن الساعاتي ، وشرح على الحاوي كالحاشية ، ونظم في الفرائض والمناسك وفي اللغة الى غير ذلك .

أدبه وشعره

كان المترجم ابن ناجية مع تولعه في الطب والحكمة اديباً كاملا وشاعراً بديع النظم متوسط المعاني والاسلوب .

ومن شعره قوله :

تأمل تجد حالي بديعاً وقصتي — وانعم رعاك الله فكرك في امري

حويت الذي رزق الخلائق كلهم — بأحكامهم طول الزمان به تجري

ولو رمت مما في يد الناس حبة — عجزت ولم ابلغ مرامي مدى الدهر

لقد تم الجزء الأول منتهياً بترجمة عثمان بن ناجية الطائي ويليه الجزء الثاني بعون الله مبتدءً بترجمة علي ابن ابي علي سيف الدين الآمدي . والحمد لله اولا واخيراً .

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤	٨	نضوج	نضج
١٠	١٦	لم نهتدى	لم نهتد
١١	١٠	عل	على اخ
١٥	٢٢	(٣) كذا ولو قال ذنوب الكان انسب	(٥) كذا وهي حاشية الى ص١٦ س١٩
١٦	١٥	(٣)	(٤)
٢١	١	صفى	شفى
٣٥	١٦	٢٢	٢١ ثم يستمر العدد الى ٢٥
٤٧	٢٢	ابن الرشيد	أي الرشيد
٥٧	٢١	أسباب	اسبابا
٧٢	٧	كان يفعل	كما كان يفعل
٧٩	٥	ناعية	داعيه
٩٧	٦	لا تقتصر	لا تقصر
١٠١	٩	دخول الحمام	في دخول الحمام
١٠١	١٥	الاداء	الادواء
١٠٢	١	السود	السواد
١١٣	٢	وانتهيت	وانهيت
١١٤	٢٣	تلقلد	تقلد
١٣٩	١٥	منسوبات	منسوبة
١٤٤	١٥	آل الخيلي	آل الخليلي
١٤٤	٢٢	(٢)ـ(٣)	(٣)ـ(٤)
١٤٨	١٢	ذراعهيا	ذراعيها
١٦١	٣	الامير	الأمر
١٧٣	٢	٨٧	٧٨

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٨٤	١٩	فلم يجيبه	فلم يجبه
٢١٣	١١	في الطب	في الطلب
٢١٤	٨	فقبله	فقلبه
٢٢٠	٦	بغداد	في بغداد
٢٢٢	٤ـ١٥	العلدان ـ على مهاجها	البلدان ـ على مهاجرها
٢٣٠	١٠	جوجي	جرجي
٢٣٥	٢٣	ماهر	توضع بعد صنع اليدين

فهرس المعجم

فهرس المعجم

فهرس المعجم

فهرس المعجم